بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــة اليرموك
كليـــــّـــة الآداب
قسم اللغة العربيّة

قراءة نافـــع
(دراســـة لغويّـــــة)

إعداد الطالب
عمر عبد أحمد الدراوشة

إشراف
الدكتور : محمد خلف الهزايمه

حقل التخصص : النحو والصرف

جامعة اليرموك / إربد
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــة اليرموك
كليـــــّـة الآداب
قسم اللغة العربيّة

قراءة نـافع
دراســـة لغويّــة

إعداد
عمر عبد أحمد الدراوشة
بكالوريوس لغة عربيّة / جامعة اليرموك ١٩٩٦م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص اللغة والنحو في قسم اللغة العربيّة وآدابها في جامعة اليرموك ــ إربد ــ الأردن

وافق عليها

١. الدكتور : محمد خلف الهزايمه ..... ــ مشرفاً ورئيساً
٢. الدكتور : فارس فندي البطاينة ..... ــ عضواً
٣. الدكتور : سالم مرعي الهدروسي ..... ــ عضواً
٤. الدكتور : خالد محمد الهزايمه ..... ــ عضواً

الخميس : ٨ / جمادى الآخرة / ١٤٢٤ هـ
الموافق : ٧ / آب / ٢٠٠٣ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى والدتي ... إلى روح أبي الطاهرة ...

إلى إخوتي ...

إلى أساتذتي الكرام في جامعة اليرموك الغرّاء ...

... أهدي هذه الرسالة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

الشكر كلّ الشكر لله أولاً ، كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى الدكتور محمد الهزايمه الذي قدم كثيراً من العون والإرشاد والتوجيه والمتابعة للرسالة حتى نهاية إعدادها ، كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى الدكتور فارس البطاينة على ما قدّمه من ملاحظات واقتراحات ، وإلى الدكتور سالم الهدروسي والدكتور خالد الهزايمه عضوي لجنة المناقشة بالغ الشكر والتقدير .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحتوى

الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
المحتوى	هـ
الملخّص	و
المقدّمة	١
التمهيد	٥
الفصل الأول : القضايا الصوتيّة في قراءة نافع :	١٣
المبحث الأول : الهمز	١٤
المبحث الثاني: الإدغام الأصغر	٥٢
المبحث الثالث : التقاء الساكنين	٧٧
المبحث الرابع : المتحرك والساكن	٨٧
الفصل الثاني : القضايا الصرفيّة في قراءة نافع :	٩٩
المبحث الأول : الاشتقاق	١٠٠
المبحث الثاني: الأفعال	١٢٢
المبحث الثالث : المفرد والجمع	١٤٣
المبحث الرابع : الإدغام الأكبر	١٥٦
الخاتمة	١٦٧
فهرس المصادر والمراجع	١٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص

الدراوشة ، عمر عبد .
قراءة نافع / دراسة لغويّة ،
رسالة ماجستير بجامعة اليرموك ، ٢٠٠٣ .
المشرف : الدكتور محمد خلف الهزايمه .

قمت في هذه الرسالة بجمع النصوص القرآنيّة في الاختلافات الصوتيّة ، والصرفيّة في قراءة الإمام نافع المدنيّ مع النصّ القرآنيّ في رواية حفص عن عاصم الكوفيّ ، ومن ثمّ قمت بدراسة مقارنة للنصوص القرآنيّة المختلف فيها ، وبيان الوجه اللغويّ واعتراضات علماء اللغة على عدد من نصوص هذه القراءة ، ومن ثمّ قمت بالمقارنة مع نصوص أخرى حتى وصلت إلى الحقائق المقنعة في ردّ الاعتراضات الواردة من علماء لغة لهم شأن عظيم ، وبالتالي بيان الصورة الحقيقية لوجوه الاختلاف الصوتيّ والصرفيّ في هذه القراءة .

ففي المجال الصوتيّ تبيّن أنّ منهج الإمام نافع ممثل لهجة أهل الحجاز بعامة ، قد اعتمد في إخراج الصوت وتجويده أبسط السبل ؛ فاشتملت هذه القراءة على كثير من القواعد الصوتيّة في تقريب الأصوات بعضها من بعض ، والحذف ، والإبدال ، وغيرها ، فجاءت صورة جميلة لمنهج من مناهج تجويد القرآن ، واختيار أبسط المخارج الصوتية في التجويد .

كما تبيّن في هذه الرسالة ــ وهو ما يهمّ كثيراً من الدارسين ــ أنّ الاختلافات في البنى الصرفيّة ــ في مجال النصّ القرآني ــ قد خضعت في أغلب الأحيان لقوانين خارجة عن كلام البشر ، في أنّ كلّ زيادة في المبنى يلحقها زيادة في المعنى ، فتبيّن أنّ هذا القانون ليس دقيقاً أمام المعجزة اللغويّة في القرآن الكريم ، وهي أنّ النصّ القرآنيّ استطاع أن يستوعب في مواطن كثيرة جملة من البنى الصرفية المختلفة ؛

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليبقى المدلول واحداً لا تغيّر فيه بحيث لو طبقت هذه الاختلافات على مـــا يســـتخدمه الناس من تراكيب ؛ لكانت الصورة غير مطابقة لما جاء في القرآن ، بالرغم مـــن أنّ بعض هذه الاختلافات قد أعطت معنىً إضافياً ؛ فكانت ذات فائدة في مجـــال التفســـير القرآنيّ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

إنّ مدارسة كتاب الله تعالى والبحث فيه من أعظم الأعمال وأكثرها ثواباً ، كما أنّ الدراسات اللغوية في مجال القراءات القرآنية سلاح ذو حدّين : أحدهما : خدمة كتاب الله وهو من أعظم الأعمال ، وثانيهما : أنّ القراءات القرآنية مجال رحب فسيح في حقل الدراسات اللغويّة ذات الأهمية بمكان في كشف الحقائق والظواهر ذات الأثر الطيب .

وتكمن أهمية هذه الدراسة التي تناولت قضايا الاختلاف الصوتي والصرفي بين قراءتي نافع المدني وعاصم الكوفي ، في أنّ الجدل والخلاف الذي دار حول كثير من القراءات بقي إلى حدّ ما يشوبه الغموض وعدم انجلاء الصورة بحقيقتها الناصعة ، كما أنّ الاعتراضات التي جاءت من عدد من علماء اللغة حول بعض القراءات بحاجة إلى التحقيق كون هذه القراءة صحيحة السند (متواترة) ، وصاحبها ثقة لا سبيل إلى ردّه.

وفي هذه الدراسة التي اعتمدت فيها منهجاً وصفياً معيارياً سيكون التركيز فيها على بيان مدى التوافق بين الاختلافات في القراءات ، وكذلك كشف الظواهر اللغويّة وبيان مواطن الاستغراب التي لاحظها اللغويّون القدماء ، وأدّى بهم إلى رفض هذا أو ذاك منها .

وبما أنّ القراءة ستهتمّ بكشف الظواهر اللغويّة ؛ فلا بد أن ترتبط ارتباطاً مباشراً بدراسة بعض القضايا اللهجية لربط القراءة ببيئتها الأصلية وصولاً إلى أسباب الظاهرة وبالتالي ملاحظة مواطن السهولة واليسر بالإضافة إلى مواطن الغرابة والتعقيد التي اشتملت عليها هذه القراءة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ قراءة الإمام نافع لم تحظَ بذلك القدر من الدراسة المتخصّصة ، ولذلك فإنّ الدراسات السابقة التي سأعتمد عليها في هذه الدراسة هي أمهات الكتب في القراءات القرآنية التي حوت وصفاً متفرقاً لهذه القراءة .

وقد جاءت هذه الدراسة في فصلين على النحو التالي :

الفصل الأول : القضايا الصوتية في قراءة نافع ، واشتملت على دراسة الظواهر الصوتية التالية :

١. المبحث الأول : الهمز : وفيه ستكون هنالك دراسة للاختلافات الصوتيّة ، فيما يتعلّق ببيان طرق التسهيل والتحقيق (النبر أو الهمز) ، التي اعتمدها الإمام نافع ، وبيان أوجه المخالفات اللغويّة التي أثارت ضجّة في أوساط اللغويّين الأولين .

٢. المبحث الثاني : الإدغام الأصغر : في هذا المبحث ستركز الدراسة على بيان الظواهر اللغوية فيما يتعلّق بقضيتي الإمالة ، و"الروم والإشمام" ، بيان مدى تمثيل الإمام نافع للهجة الحجازية ، بالإضافة إلى بيان المخالفات اللغوية التي جاءت بها القراءة وكشف الظواهر الجديدة .

٣. المبحث الثالث : التقاء الساكنين : وستكون الدراسة منصبّة على بيان الطرق المختلفة التي استخدمها الإمام نافع ، والتي حوت على جماليات صوتيّة مختلفة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإنّ الدراسة لهذه الظاهرة ستركّز على دراسة المخالفات اللغويّة ، التي تمثلت بالقدرة على النطق بالساكنين في بعض الألفاظ ، والتي يظهر فيها طابع الاستحالة ، وبالتالي كانت مثار جدل وتأويلات مختلفة من قبل علماء اللغة .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٤. المبحث الرابع : المتحرك والساكن : وفيما يتعلّق بهذه الظاهرة ، ستركز الدراسة على معالجة قضيتي الإشباع ، وياءات الإضافة من حيث اقتصاره في الإشباع على إشباع الحركة الأخيرة في عدد من الكلمات ، وخاصة حركات الضمائر المتصلة نحو : عليهم ، ومنهم ، وإليه ، ... وفي ياءات الإضافة سيكون هنالك بياناً لقضيتي "الفتح والإسكان" ، و"الحذف" في ياء الإضافة مع بيان القواعد العامّة والأسباب الداعية لذلك .

الفصل الثاني : القضايا الصرفيّة في قراءة نافع ، واشتملت على دراسة الظواهر الصرفيّة التالية :

١. المبحث الأول : الاشتقاق : وفي هذا المبحث سيكون هنالك تناولاً للاختلافات الاشتقاقية في قراءة الإمام نافع عن غيره من القرّاء ، وبيان مدى التأثير المعنوي في هذه الاختلافات وأثره في التفسير ، وبيان دور النصّ القرآنيّ ، وعوامل أخرى في توحيد المعنى الذي تؤديه المشتقّات المختلفة .

٢. المبحث الثاني : الأفعال : وفي هذا المبحث ستكون الدراسة منصبّة على دراسة قضيتي المجرد والمزيد ، والبناء للمعلوم والبناء للمجهول من ناحية اختلاف الإمام نافع فيها عن غيره من القرّاء ، وبيان مدى التوافق المعنويّ رغم هذه الاختلافات .

٣. المبحث الثالث : المفرد والجمع : وفي هذا المبحث ستكون هنالك دراسة لقضية المفرد والجمع من حيث الاختلاف في الصيغ من جهة ، والاختلاف في استخدام المفرد موقع الجمع ، والجمع موقع المفرد من جهة أخرى ، وبيان أثر ذلك على قضية التفسير القرآنيّ ومدى توحيد المعاني .

٤. المبحث الرابع : الإدغام الأكبر : وستكون الدراسة ، فيما يخصّ هذه الظاهرة ، منصبّة على كشف مدى مطابقة ، واختلاف الإمام نافع عن القواعد الصوتية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التي رسمها علماء اللغة ، وبيان أهداف المخالفات التي جاء بها الإمام نافع والدور الذي لعبه الإدغام في تخفيف العبء على أعضاء النطق .

أمّا عن سبب وضع الإدغام الأكبر ضمن الأبواب الصرفيّة ، فيعود إلى ما نراه في كتب السابقين من إدراج الإدغام الأكبر ضمن الأبواب الصرفيّة .

هذا ، وقد اقتصرت الرسالة على دراسة الجانبين الصوتيّ والصرفيّ ، وذلك لأمور تتعلق بحجم الرسالة .

وفي ختام هذه المقدمّة ، أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلّ من الأساتذة الكرام :

الدكتور : محمد الهزايمه

الدكتور : فارس البطاينة

الدكتور : سالم الهدروسي

الدكتور : خالد الهزايمه

على ما قدموه من دعم علميّ وملاحظات هادفة بنّاءة في إخراج هذه الرسالة بصورتها النهائية .

والله من وراء القصد

الباحث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد

أولاً : التعريف بعلم القراءات :

علم القراءات هو : " علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ، ومبادؤه مقدمات تواترية ، وله أيضاً استمداد من العلوم العربيّة ، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ، وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطرق التحريف والتغيّر ، وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات غير المتواترة الواصلة إلى أحد الشهرة ، ومبادؤه مقدمات مشهورة ، أو مرويّة عن الآحاد الموثوق بهم " [1] ، والقراءات وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة ، وهذا الاختلاف على هذا النحو هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضادّ وتناقض ؛ لأنّ التناقض والتضارب دليل بطلان الشيء ، وكتاب الله يتنزّه عن التناقض والتضارب لأنّه " **لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديه ولا من خلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد** " [2] ، والتناقض لا يجتمع مع الإبانة والوضوح والقرآن نزل " **بلسانٍ عربيٍّ مبين** " [3] ، و " علم القراءة جزء من علم التفسير أفرز عنه لمزيد الاهتمام إفراز الكحالة من الطب والفرائض من الفقه " [4] ، فهو ملازم لعلم التفسير ، فالمفسر لا يكون مفسراً إلا إذا كان ملمّاً بعلم القراءة كما أنّ الفقيه لا يكون فقيهاً إلا إذا كان ملماً بالفرائض .

---

١. كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون . مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (-١٠٦٧هـ) ، ١٣١٧/٢ ، تحقيق : حاجي خليفة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ . وانظر : أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم . القنوجي ، صديق بن حسن ((-١٣٠٧هـ) ، ٤٢٨/٢ ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٢. سورة فصّلت ، آية ٤٣ .

٣. سورة الشعراء ، آية ١٩٥ .

٤. كشف الظنون ، ٤٢٧/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ اختلاف التنوع والتغاير الذي تؤديه الفروق بين القراءات ، يمكن إجماله في ثلاثة أنواع هي : [1]

١. اختلاف اللفظ ، والمعنى واحد ، ومثاله : الإبدال الصوتيّ نحو : الاختلاف في قراءة كلمة (السراط ــ الصراط) ، وقضيّة الإشباع مثل قراءة كلمة (عليهم) بالإسكان ، والكسر ، والضمّ ، وإشباع هاتين الحركتين .

٢. اختلاف اللفظ والمعنى ، والتقاؤهما جوازاً في بؤرة أو هدف واحد ، ومثاله : (مالك ــ ملك) [2] ، فبالرغم من أنّ الملك يزيد عن المالك معنى السلطة ، إلا أنّ المراد بهما واحد ، وهو الله تعالى ، وقراءة كلمة (ننشزها ، ننشرها) بين الراء والزاي ، فالمراد بهما واحد ، وهو العظام ؛ لأنّ الله أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت ، فيجتمع معنيا القراءتين في بؤرة واحدة.

٣. اختلاف اللفظ والمعنى ، واتفاقهما في وجه يساير المعنى العامّ ، وينتفي معه التضادّ ، ومثال ذلك قوله تعالى : " **وهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ** " [3] ، بالبناء للمعلوم ثم للمجهول ، وقرئ بعكس هذه القراءة المشهور بالبناء للمجهول ثم للمعلوم في قراءة شاذّة ، والوجه الذي تتفق فيه القراءتان هو أنّ الضمير في القراءة المشهورة يعود إلى الله ، وفي القراءة الشاذة يعود على الوليّ ، والمعنى العام للآية ينسجم مع القراءتين .

---

١. انظر : النشر في القراءات العشر . ابن الجزريّ ، شمس الدين أبو الخير محمد ، ١١١/١ ، ١١٢ ، تحقيق : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢. سورة الفاتحة ، آية ٤ .

٣. سورة الأنعام ، آية ١٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً : أصول الاختلاف في القراءات :

إنّ الاختلاف في القراءات لا يقوم على اجتهاد شخصيّ ، أو اتفاق جماعات ، أو وجهات نظر علمية تقوم على قياس يراعي قواعد اللغة ، ولكنّ القراءة سنّة متّبعة تقوم على سند متواتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومن هنا فإنّه تحظر القراءة بغير ما ورد عن القراء حتى لو وافقت القراءة وجوه اللغة ، ومن هنا ، فقد أورد العلماء شروطاً ثلاثة للقراءة الصحيحة وهي :

١. صحّة سندها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
٢. موافقتها لرسم المصحف الشريف .
٣. موافقتها وجهاً من وجوه اللغة .

والقراءة التي تستوفي هذه الشروط لا يجوز ردّها ، ولا يحلّ إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة ؛ وصفت بأنّها ضعيفة أو شاذّة ، أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم ، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف [١].

ثالثاً : معنى القراءة

القراءة : هي مجموع العمليّات الصرفيّة ، والصوتيّة ، والنحويّة لألفاظ القرآن الكريم التي نسبت لأحد القرّاء السبعة ، أو العشرة ، أو غيرهم ممن تتوفّر لقراءاتهم شروط القبول التي ذكرت سابقاً ، كأن يقال : قراءة نافع ، أو قراءة ابن كثير ، أو قراءة

---

١. انظر : النشر في القراءات العشر . ابن الجزريّ ، ٥٤/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عاصم ... ، أو ممن لا تتوفر فيهم الشروط كأصحاب القراءات الشاذّة نحو : قـراءة الحسن البصري ...

رابعاً : الأحرف السبعة :

ورد في الأثر عن ابن عبّاس ــ رضي الله عنهما ــ أنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " أقرأني جبريل على حرف ، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف " [1] ، وأورد مسلم في صحيحه نصّاً آخر لحديث يروي قصّة نزول القرآن على سبعة أحرف ، فعن أبيّ بن كعب قال : كنت في المسجد. فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتهـا عليه ، ثمّ دخل آخر ، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه . فلمّا قضينا الصّلاة دخلنا جميعا على رسول الله ، فقلت : إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله فقرأا. فحسّن النّبيّ شأنهما ، فسقط في نفسي من التّكذيب . فلمّا رأى رسول الله ما قد غشيني ضرب في صدري . ففضت عرقا . وكأنّما أنظـر إلى الله ــ عزّ وجلّ ــ فرقاً ، فقال لي : " يا أبيّ أُرسل إليّ : أن أقرئ القرآن على حرف . فرددت إليه : أن هوّن على أمّتي . فردّ إليّ الثانية : اقرأه على حرفين . فرددت إليه : أن هوّن على أمتي . فردّ إليّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحـرف . فلـك بكـل ردّة رددتكها مسألة تسألنيها . فقلت : اللّهمّ اغفر لأمّتي . اللّهمّ اغفر لأمّتي ، وأخّرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلّهم حتى إبراهيم " [2].

---

١. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم . الإمام مسلم بن الحجّاج (-٢٦١هـ) ، رقم الحديث ١٨٥٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢. صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٥٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خامساً : التعريف بالإمام نافع [1] :

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدنيّ الذي أخذ القراءة عن أبي جعفر القارئ ، وعن سبعين من التابعين ، وهم أخذوا عن عبد الله بن عبّاس وأبي هريرة عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة [2] ، وهو الإمام الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد التابعين ، وقد كان مولى لجعونة بن شعوب الليثيّ (الشجعيّ) حليف حمزة بن عبد المطلب ، وقد أشارت المؤلّفات إلى أنّه كان له كنى عدّة منها : أبو عبد الرحمن وأبو الحسن وأبو نعيم .

ولد في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين ، ويعدّ من الطبقة الثالثة بعد الصحابة ، وعن أصله قال الأصمعي " قال لي نافع بن أبي نعيم أصلي من أصبهان " [3] .

وهو إمام المدينة ، فقد صار أهلها إلى قراءته ، ورجعوا إلى اختياره ، حيث كان عالماً بوجوه القراءات متبعاً لآثار الأئمة ، زاهداً ، جواداً ، وتلقّى القراءة على سبعين

---

١. وردت ترجمة الإمام نافع في كثير من المصادر ، ولكنّ الترجمة جاءت موجزة لا تفصيل فيها ، نذكر منها : وفيات الأعيان . ابن خلكان ، ٣٦٨/٥ ، سير أعلام النبلاء . الذهبيّ ، ٣٣٦/٧ ، ٣٣٧ ، غاية النهاية في طبقات القرّاء . ابن الجزريّ ، ٦١٥/١ ، النشر في القراءات العشر . ابن الجزري ، ١٦٥/١ ، الأعلام . الزركلي ، ٣٥٦/٢ ، معرفة القرّاء الكبار . الذهبيّ ، ٩٠/١ــ ٩٢ .

٢. انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن . الزرقانيّ ، محمد عبد العظيم ، ٣١٨/١ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ .

٣. السبعة في القراءات . ابن مجاهد ، أبو بكر (-٣٢٤هـ) ، ص ٥٤ ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من التابعين عرضاً ، وفي هذا قال نافع : " قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته ، وما شكّ به واحد تركته حتى ألّفت هذه القراءة في هذه الحروف " [1]

أقرأ نافع القرآن نيفاً وسبعين سنة ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة ، وتمسك أهلها بقراءته ، قال عبد الله بن وهب : " قراءة أهل المدينة سنّة ، قيل له : قراءة نافع ؟ ، قال : نعم . وعلى قراءة نافع اجتمع الناس بالمدينة العامّة منهم ، والخاصّة ... " [2] .

و " لما حضرت الوفاة نافعاً ، قال له ابناه : أوصنا . قال : **"فاتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينِكم وأطيعوا اللهَ ورسولَه إنْ كنتم مؤمنين"** ومات سنة تسع وستين ومائة " [3] .

أساتذة نافع :

أخذ نافع القراءة عن جماعة من التابعين فهو يقول : قرأت على سبعين من التابعين ، وأشهر هؤلاء الأساتذة القراء [4] :

١. أبو داؤد المدني عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، مولى محمد بن ربيعة أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة ، وابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ .

---

١. القواعد والإشارات في أصول القراءات . أبو الرضا الحموي ، شهاب الدين أحمد بن عمر (-٧٩١هـ) ، ٣٧/١ ، ٣٦ ، تحقيق : عبد الكريم بكار ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦ .

٢. السبعة في القراءات . ابن مجاهد ، ص ٦٢، ٦٣ .

٣. المرجع السابق ، ص ٦٣ .

٤. انظر : معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار . الذهبيّ ، محمد بن أحمد بن عثمان (-٧٤٨هـ) ، ٧٢/١ ــ ٨١ ، تحقيق : بشار معروف ، شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢. أبو جعفر يزيد بن القعقاع مولى عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ ، وكان أبو جعفر إمام الناس بالمدينة لا يتقدّمه أحد في عصره ، فقد أخذ القراءة عن ابن عباس ، وعن أبي هريرة ــ رضي الله تعالى عنهما ــ ، وعن مولاه عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ ، وكان عبد الله بن عيّاش قد قرأ على أبيّ بن كعب ــ رضي الله تعالى عنه ــ وقرأ أبيّ على النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٣. شيبة بن نصّاح بن سرجس بن يعقوب مولى أم سلمة ــ رضي الله تعالى عنها ــ زوج النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكان قد أدرك عائشة وأم سلمة ــ رضي الله تعالى عنهما ــ وكان ختن أبي جعفر على ابنته .

٤. مسلم بن جندب الهذلي ، الذي روى عن الزبير بن العوّام ، وابن عمر ــ رضي الله عنهم ــ ، وكان من فصحاء الناس ، وكان يقصّ بالمدينة .

٥. أبو روح يزيد بن رومان الذي كان من فقهاء أهل المدينة ، وهو مولى لآل الزبير بن العوام ــ رضي الله عنه ــ ، وكان الغالب عليه القرآن ، روى عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ ، وقرأ على ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ ، وهو ثقة ، حديثه في الكتب الستّة .

تلامذته :

أخذ القراءة عن الإمام نافع جماعةٌ كبيرة أشهرهم : سليمان بن مسلم بن جماز الزهري ، وإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير ، وأخوه يعقوب بن جعفر ، وإسحاق بن محمّد بن عبد الله المسيّبيّ ، وإسماعيل وأبو بكر ابنا أبي أويس ، وعيسى بن مينا (قالون) ، ومحمد بن عمر الواقديّ ، وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ ، وعثمان بن سعيد (ورش) ، وخارجة بن مصعب أبو الحجاج وغيرهم ، وأشهر رواته على

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الإطلاق راويان هما : قالون وورش [1] ، اللذان قيل فيهما : " فأمّا الكريم السرّ في الطيب نافع ، فذاك الذي اختار المدينة منزلاً ، وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم بصحبته المجد الرفيع تأثلا " [2] .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

١. قالون : هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله المدني ، وجدّه عبد الله سبيّ من الروم في عهد عمر بن الخطاب ، وبيع في المدينة ، فاشتراه أحد الأنصار ، فأعتقه ، فهو مولى للأنصار . ولد سنة مئة وعشرين في أيام خلافة هشام بن عبد الملك ، وقرأ على نافع سنة مئة وخمسين ، فهو مقرئ المدينة ونحويّها ، و إمام مجوّد ، وقد كان تلميذ نافع وربيبه ، وأنّ نافعاً هو من لقبه بقالون وذلك لجودة قراءته ؛ لأنّ قالون معناه الجيد في أصل وضعها بالرومية ، وقرأ على الإمام نافع ، واختص به كثيراً ، وكان ملازماً له ما يزيد على عشرين سنة ، وقرأ القرآن عليه مرّات كثيرة ، وتوفي سنة عشرين ومائتين.

ورش : هو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن سابق المصري يكنى أبا سعيد وأبا القاسم ، ولد بمصر سنة مئة وعشر للهجرة ، كان يلقب بورش لشدّة بياضه لأنّ الورش شيء يصنع من اللبن ، وقيل : لقد كان قصيراً أشقر أبيض اللون ويلبس ثياباً قصاراً ؛ فشبّهه نافع بطائر الورشان . رحل إلى المدينة ، فقرأ على نافع ، وعرض عليه القرآن ختمات عدّة سنة خمس وخمسين ومائة ثم رجع إلى مصر ، فانتهت إليه رئاسة الإقراء بها ، فقد كان حسن الصوت جيّد القراءة ، وشيخ القرّاء المحقّقين في عصره ، إماماً في أدائه وترتيله حسن الصوت لا يمله سامعه ، وتوفيّ سنة سبع وتسعين ومائة في خلافة المأمون .

٢. مناهل العرفان . الزرقاني ، ٣١٩/١ .

الفصل الأول

القضايا الصوتيّة في قراء نافع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

الهمز

الهمز لغةً : " الهاء والميم والزاي كلمة تدل على ضغط وعصر ، وهمزت الشيء في كفّي ومنه الهمز في الكلام وكأنّه يضغط الحرف " [1] ، " قال الخليل : الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفّه عن الهمز كان نفساً يحوّل إلى مخرج الهاء " [2] .

والهمزة عند القدماء : " حرف* مجهور من أقصى الحلق " [3] ، أوهي " حرف مجهور سفل في الحلق ، وبعد عن الحروف ، وحصل طرفاً ، فكان النطق به تكلّفاً " [4] ، أو " هي حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ، ولا يشركه في مخرجه شيء ، ولا يدانيه إلا الهاء والألف " [5] .

أمّا الهمزة عند المحدثين فهي : " صوت شديد لا هو بالمجهور ، ولا بالمهموس ؛ لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين ، ولا يسمح

---

١. معجم مقاييس اللغة . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، مادة "همز" ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٩١ .

٢. لسان العرب . ابن منظور ، محمد بن مكرم ، مادة "هتت" ، تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ .

* إنّ مصطلح الحرف هو نفسه مصطلح الصوت ، حيث استخدم القدماء مصطلح الحرف بدلاً من الصوت ، والمدلول واحد من وجهة نظرهم ؛ لذا فإنّ وجود مصطلح الحرف سيقتصر على نصوص القدماء .

٣. الكتاب . سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ٢ /٤٠٥ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ .

٤. سر صناعة الإعراب . ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ١ / ٧١ ، تحقيق : حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ .

٥. المقتضب . المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، ١ / ١٥٥ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

للهواء بالمرور إلا حين تنفرج فتحة المزمار "[1] ، وهي صوت صامت حنجريّ انفجاريّ يحدث بأن تُسدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيّين ، وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً ، فلا يُسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، ويُضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران ، فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً ، كما أنّ وضع الوترين حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمّى بالجهر أو الهمس .

إنّ هذا التعريف الموجز لصوت الهمزة يحمل في طيّاته عالماً من البحث ، وخلاصة أبحاث علماء اللغة ، ليوحي لنا المعنى اللغويّ بالضغط والعصر ؛ أي الشدّة والصعوبة الواقعة على ناطق هذا الصوت كما أنّ الضغط والعصر يقودنا إلى لفظة من متعلقات الشدّة والقوة وهي النبر لا سيما أنّ المعنى اللغويّ للنبر يؤدي معنى الهمز " فالنبر بالكلام الهمز وفي الحديث ، قال رجل للنبيّ : يا نبيء الله ، فقال : لا تنبر باسمي ؛ أي لا تهمز ، وفي رواية ، فقال : إنّا معشر قريش لا ننبر ، والنبر همز الحرف ، ولم تكن قريش تنبر في كلامها، ولما حجّ المهدي قُدّم الكسائي يصلي بالمدينة فهمز فأنكر أهل المدينة عليه ، وقالوا : تنبر في مسجد رسول الله بالقرآن ؟ "[2] .

ولقد شعر المتكلم العربي منذ القدم بحجم الصعوبة الواقعة عند نطق هذا الصوت لا سيما إذا التقت همزتان في درج الكلام ، فراحت بعض القبائل العربية في منطقة الحجاز ، وما جاورها ، وبطريقة عفويّة لا تكلف فيها تميل إلى التخفيف من الثقل الحاصل ؛ لأنّها وصلت من التحضّر حداً يجب معه التغيير الصوتيّ ، فأبدلوا ، وخففوا ، وحذفوا تبعاً لنوع الصعوبة ودرجتها ، فوصلنا عن بعض القبائل العربية أنّها أبدلت من الهمزة عينا وهي اشتهرت في قبيلة تميم ، وسمّوها عنعنة تميم وذلك لأنّ العين من الأصوات القريبة من الهمزة " فيقولون في نحو أعجبني أن نفعل : عن نفعل ، قال ذو الرمّة :

---

١. الأصوات اللغوية . أنيس ، إبراهيم ، ص ٧٨ ، ط ٥ ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٢. لسان العرب ، مادة " نبر " .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وكذا يفعلون في أنّ المشددة فيقولون : أشهد عنّ محمداً رسول الله " [1] ، ويروي أبو عليّ القاليّ عن قبيلة " غنيّ " إبدال الهمزة عيناً عند النطق ، إذ أسند إلى الأصمعيّ أنّه قال : سمعت أبا تغلب ينشد بيت طفيل الغنويّ :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير معتلي

يريد : مؤتلي . وذكر أنّه يقال : موت زؤاف وزعاف وذعاف ونؤاف . وبعض العرب يقول : أردت عن تفعل " [2] ، غير أنّ بعض القبائل تمسكت بالإبقاء على نطق الهمزة كما هي ، في حين أنّ بعضها الآخر أبدل من الأسهل إلى الأصعب ، ومن ذلك أنّ تميم " تقول بدل لعلّني : لأنّني .وأنشدوا عليه بيت الشاعر :

أريني جواداً مات هزلاً لأنّني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

يريد لعلّني " [3] . في حين أنّ قبائل عربية غلب على نطقها طابع التخفيف ، وأحياناً الحذف ، حيث ظهر هذا الميل عند القبائل الحضريّة في شمال وغرب الجزيرة العربيّة ، وقد ورد النصّ على بعض القبائل في كلام أبي زيد الأنصاريّ : " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون " [4] ، ولا يعني هذا أنّ القبائل جميعها في هذه المناطق يتخلّصون من الهمز ، بل هو عند القبائل المتحضرة فقط ، مع وجوده في القبائل الأخرى ، وبنسب مختلفة . حيث قال سيبويه : " وقد بلغنا أنّ قوماً من أهل

---

١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام ، جلال الدين الأنصاريّ ، ١ / ١٤٩ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٨٧ . البيت من البسيط ، وهو لذي الرمة في ديوانه ص٣٧١ ، وجمهرة اللغة ص٧٢٠ ، ٨٨٦ ، والخصائص ١١/٢ ، وشرح المفصل ٧٩/٨ ، وغيرها (انظر : المعجم المفصل لشواهد اللغة العربية . أميل يعقوب ٢٠٤/٧) .

٢. الأمالي ، القالي ، أبو علي إسماعيل بن قاسم ، ٢ /٧٧ ، تحقيق : عبيد الله البكري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ ، والبيت من الطويل ، وهو لطفيل الغنويّ في ديوانه ص ٦٦ ، وفيه مؤتلي مكان معتلي ، وأمالي القالي ٧٧/٢ ، وسرّ صناعة الإعراب ٢٣٥/١ ، ومعجم البلدان ٢٤١/٢، وغيره (انظر : المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية . أميل يعقوب ، ٧٦٤/٢) .

٣. المرجع السابق ، ٢ /٧٧ . والشاهد لحاتم الطائيّ ، في ديوانه ص٨ ، ولمعن بن أوس ، في ديوانه ص٤٩ ، ولحطائط بن يعفر ، في الشعر والشعراء ٢٤٨/١ ، ٢٥٦ (انظر : معجم الشواهد النحوية . حنا حدّاد ، ص٢٩٥ ، وهو الشاهد رقم ٢٩٢) .

٤. لسان العرب ، مادة " نبر " .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة ، وذلك قليل رديء "[1] ، وهذا دليل على أنّ بعض قبائل الحجاز تميل إلى التحقيق ، وهذه القبائل تتفاوت في ذلك ، فكلما اقتربت من وسط الجزيرة حيث سكان الباديّة كان الميل إلى الهمز أكثر ، وكلّما ابتعدت عن البادية إلى الحاضرة رأينا الميل إلى التخفيف أكثر ، وهذا ما كانت عليه قراءة نافع قارئ المدينة المنورة .

الهمز في ضوء قراءة نافع

لمّا كانت الهمزة صوتاً بعيد المخرج شديداً يحتاج إلى الضغط والعصر ؛ فقد مال العرب إلى تخفيف هذا الصوت بالإبدال ، أو بالتسهيل ، أو بالنقل ، أو بالحذف ، وقد قرأ نافع بذلك كلّه . في الوقت نفسه قرأ بهمز ألفاظ لم يهمزها غيره من القرّاء ، ممّا ينتج عن هذا التغيّر الصوتيّ تغيّر صرفيّ في بنية الكلمة . الأمر الذي يستدعي عدم الفصل بين الجانبين في مناقشة قضايا التغيّر في صوت الهمزة ، وفيما يلي عرض لجوانب هذا التغير مع التطرق لقضايا التغير الصوتي والصرفي :

أولاً : الهمز المفرد

الجدول الآتي يوضح شواهد التسهيل في قراءة نافع :

الهمزة المتحركة	الهمزة الساكنة
أولاً : المسبوقة بمتحرك وهي: **١. الهمزة المفتوحة المسبوقة ب :** **أ. فتح :** وهذه الهمزة تخفيفها أن تجعلها "بين بين " أي بين صوتي الهمزة والألف ولم تصل	المقصود بالهمزة الساكنة هنا الهمزة التي تقع في أصل بنائها ساكنة وكذلك التي سكنت لعامل ما قبل الإبدال ، وهي تقسم إلى الهمزة المسبوقة ب :

١. كتاب سيبويه ، ٣ / ٥٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حدّ الإبدال لأنّ الهمزة إذا جعلتها بين بين اقتربت من الألف . وأمثلة ذلك : "لأملأن " [الأعراف ١٨] " واطمأنوا " [يونس ٧] " منسأته " [سبأ ١٤] ، "سأل [المعارج ١]، أرأيتكم" [الأنعام ٤٠] وغيرها .

ب. **ضم أو كسر** : وهنا تبدل مع الضم واواً مفتوحة ومع الكسر ياء مفتوحة نحو : "فليؤدّ" [البقرة٢٨٣] ، " لا تؤاخذنا "[البقرة٢٨٦] المؤلّفة " [التوبة ٦٠] "يؤيّد"[آل عمران ١٣] وما شابه ذلك.

٢. **الهمزة المكسورة** : فهي سواء في أن تجعلها بين بين ، سواء كان قبلها ضم أم فتح أم كسر نحو : "الصابئين " [البقرة ٦٢] " ثلاثة قروء " [البقر٢٢٨]

٣.**الهمزة المضمومة** : وهي سواء في جعلها بين بين سواء كان قبلها مضموما أم مفتوحا أم مكسورا نحو : "الصابئون "[المائدة ٦٩] ، "الخاطئون" [الحاقة ٣٧] "يستهزئون " [الأنعام٥].

ثانياً : المسبوقة بساكن : وأمثلتها : "قالوا الآن " [البقرة ٧١] ،"عاداً الأولى" [النجم ٥] ، " الظمآن " [النور ٣٩] " أصحاب الأيكة " [الشعراء ١٧٦] ، "مذؤوماً " [الأعراف ٨٠] ، " شطأه " [الفتح ٧٩] وغيرها .

١. **الكسر** : وأمثلتها: وَرِءْياً [مريم ٧٤] بَارِئِكُمْ [البقرة ٥٤] ، بِئْسَمَا [البقرة٩٠ ائْتُونِي [يوسف ٧٩] ، ٱلذِّئْبُ [يوسف ١٣] ، وَبِئْرٍ [الحج ٤٥]

٢ .**الفتح** : وأمثلتها : يَأْتُوكُمْ [البقرة ٨٥] ، يَأْمُرُكُمْ [البقرة ١٦٩] ، أَخْطَأْنَا [البقرة٢٨٦] تَأْثِيمٌ [الطور٢٣]، تَأْسَ [المائدة٢٦] يَسْتَأْخِرُون [الاعراف٣٤] وَأْتُونِي [يوسف ٩٣] ،لَيَأْتِيَنِّي [النمل٢١] يَأْتَلِ [النور ٢٢] ،يَسْتَأْذِنكُمُ[النور ٥٧] ، مَّأْكُولٍ [الفيل ٥] ، يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ [الكهف ٩٤] ،

٣.**الضم** : وأمثلتها :وَٱلْمُؤْتَفِكَاتِ [التوبة٧٠]

يُؤْفَكُونَ [العنكبوت ٦١] ، تُؤْمَرونَ [البقرة ٦٨] ، يُؤْمِنُونَ [البقرة ٣] .يُؤْلُونَ [البقرة ٢٢٦] ، نُؤْتِهِ [آل عمران ١٤٥] ، مُّؤْصَدَةٌ [الهمزة ٨] ، " ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ " [البقرة ٢٨٣] .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً : التسهيل

أ.الهمزة الساكنة :

إذا خففت الهمزة الساكنة أبدل مكانها الحرف الذي منه حركة ما قبلها [1] ، فإذا كان ما قبلها مفتوحاً أبدلتها ألفاً ، وإذا كان ما قبلها مضموماً أبدلتها واواً ، وإذا كان ما قبلها مكسوراً أبدلتها ياءً ، وهذا النوع من التخفيف هو لغة أهل الحجاز ، وبالأخصّ لغة قريش الذين لا يهمزون ، إنّ هذه القبائل في ميلها إلى التخفيف كما هو واضح قد خالفت الأصول اللغويّة للبنى الصرفيّة للكلمات ، ومن الواضح أنّ مخالفتهم هذه للأصول جاءت لتشكّل بحدّ ذاتها قواعد لها أصولها أيضاً ، فهذا التطور الصوتيّ هو نوع من أنواع البناء اللغويّ ، والرقيّ الصوتيّ دعت إليه أنماط المعيشة التي كان فيها أهل الحجاز ، ومن جاورهم ، وهذا البناء اللغويّ الجديد في حدود التطور الصوتيّ قد وضع علماء اللغة له قواعده التي عُدّ الخروج عليها مخالفةً للأصول ولوجوه اللغة مما أدّى بهم إلى رفض بعض القراءات حتى لو جاءت على لسان ثقة كالقرّاء السبعة ، أو عالم لغة من القرّاء له مكانته كالكسائيّ وأبي عمرو بن العلاء ، غير آبهين بدقّة السند وصحّته إلى رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ متجاهلين كل المقاييس ، ناظرين إلى مقياس عدم مخالفة الوجه اللغويّ الذي هم من قيّدوا اللغة به والذي يفتقر إلى كثير من القواعد اللغويّة التي ضاعت وضاع أكثر اللغة بها ، ولذا يجب رأب الصدع من خلال الدراسات القرآنيّة الممثلة في أوجه التطور ، والرقيّ اللغويّ الذي جاء على لسان أفصح العرب ، والسؤال الواجب طرحه ، ومناقشته هو : إذا كان الابتعاد عن الأصل اللغويّ يعدّ محموداً لأنّه وافق الاستقراء ، والقواعد المسموعة ، فلماذا عدّ غيره من مخالفة الأصول مذموماً ومرفوضاً ؟ مع أنّ علماء اللغة أنفسهم اعترفوا بنقص هذا الاستقراء ، وبضياع أكثر اللغة وخصوصاً قواعد الصرف والصوت مما جعل كثيراً من قضايا اللغة محوراً للجدل الدائم ، وعدم الحلّ المطلق كقضية اللفظ الأعجميّ في

---

١. انظر : الكتاب . ٣ /٥٤٤ ، المقتضب . ١ /١٥٧ ، الخصائص . ٤ /١٧٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآن ، والمعرّب ، والدخيل ، وأصل اللغات ، وما إلى ذلك من القضايا التي لا تقبل الحسم.

إنّ إجابة مثل هذا السؤال ستأتي ــ إن شاء الله ــ في المواطن التي يكون فيها رفض القراءة ، حيث سيكون التحليل المناسب لهذا الرفض ، والوقوف على دقائقه . وفي هذا الصدد لابد من ذكر نصّ يدل دلالة أكيدة على ضعف الاستقراء ، والتعصب اللغويّ عند علماء اللغة قديماً قبل الدخول في مناقشة وجوه إبدال الهمزة الساكنة . وذلك أنّه "حكى أبو العبّاس عن أبي عثمان عن أبي زيد أنّه قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ : فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن " [1] فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة ، قال أبو العباس : فقلت لأبي عثمان : أتقيس هذا ؟ قال : لا . ولا أقبله " [2] .

وبما أنّ الهمزة الساكنة صوت ميّت ، بلغ درجة كبيرة من الضعف ، و لذلك وجب عدم جعلها بين بين أو حذفها [3] ، فقد لزمت البدل ، وليس صوت أقرب إلى الهمزة من الألف والواو ، والياء شبيهة بها ، وقد " روى ورش عن نافع ترك الهمزة الساكنة في مثل "يؤمنون" ، وما أشبه ذلك ، وكذلك "يأكلون" و "يُؤمرون" " [4] ، والمقصود بالبدل هو ترك الهمز فالتخفيف في الهمزات الساكنة لا يكون إلا بحذف الهمزة ، واتّحاد الحركتين قبلها وبعدها ، والسبب في الميل إلى تخفيف هذا النوع من الهمزات هو ثقلها ، والذي سهل على متحدّث اللغة أن يترك هذا الصوت هو سكونها ، وبعد مخرجها ، ولذلك فقد "كان طرحها في ذلك لا يخلّ بالكلام ، ولا يحيل المعنى ،

---

١. سورة الرحمن ، آية ٣٩ .

٢. المنصف . ابن جني ، ١ / ٢٨١ . والأعلام الذين وردوا في النص هم : أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد ، أبو عثمان المازنيّ ، أبو زيد الأنصاريّ .

٣. انظر : كتاب سيبويه ، ٣ / ٥٤٤ .

٤. حجة القراءات . ابن زنجله ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، ص ٨٥ ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فإن كان تركها أثقل من الإتيان بها أثبتها " [1] ولذا فقد أدرك العلماء التكلّف في نطق هذا النوع من الهمزات فاستملحوا هذا التطور الصوتيّ ، " ولهذا قيل: النطق بها كالتهوع " [2] أي : كالتقيؤ .

أمّا الذئب في قولة تعالى : **"وأخاف أن يأكله الذئب "** [3] وقوله : **" وبئر معطلة "** [4] فقد روي أنّ الأصمعي قال : "سألت نافع بن أبى نعيم : أتهمز البئر والذئب ؟ ، فقال : إن كانت العرب تهمزهما فأهمزهما " [5] ، فأهل الحجاز كانوا يهمزون في مثل هذه الكلمات في حين أنّ نافعاً في رواية ورش كان لا يهمز ، ومن هنا فإنّ " الأصل في الذئب الهمز ، وهو من قولهم : تذأبت الريح إذا جاءت من كلّ وجه كما أنّ الذئب كذلك ، ويقرأ بالياء على التخفيف " [6] .

وقوله تعالى : **" يأجوج ومأجوج "** [7] فقد" همزهما عاصم ولم يهمزها غيره " [8] ، ولذا فإنّ " الهمز جعلهما مشتقين من أجيج النار عند الكسائي ، ويكونا عربيين ولم يصرفا جعلا اسمين لقبيلتين" [9] ، في حين أنّ النحويين قد اختاروا عدم الهمز كأصل لهذه الكلمة مؤكدين على أعجميتها معللين هذا الاختيار بأنّ الأسماء الأعجمية سوى هذا الاسم غير مهموزة ، نحو : طالوت وجالوت وهاروت وماروت ، فهذه القضيّة تستحق

---

١. الحجة في القراءات السبع . ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، ص ٦٥ ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ، ١٩٩٠ .

٢. حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ٨٤ .

٣. سورة يوسف ، آية ١٣ .

٤. سورة الحجّ ، آية ٤٥ .

٥. انظر : السبعة في القراءات . ابن مجاهد ، ص ٤٣٨ ، إعراب القرآن . النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد المصري ، ٢ /٤٠٧ ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧ .

٦. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن . العكبري ، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين ، ٢/ ٥٠ ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، ط ٢ ، مكتبة الحلبي ، مصر ، ١٩٦٩ .

٧. معاني القرآن . الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، ٢ / ١٥٩ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٨. سورة الكهف ، آية ٩٤ .

٩. إعراب القرآن . النحاس ، ٢ / ٢٩٤ ، وانظر : إملاء ما منّ به الرحمن ، العكبري ، ٢ / ١٠٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدراسة ، والوقوف عليها وقفة متأنية من منطلق قول علماء اللغة ، بأنّ الأصل عدم الهمز ، وأنّ همز ما لم يكن مهموزاً لم يكن مقبولاً عند علماء اللغة ، ولهذا فقد رفضوا قراءة نافع "معائش " بالهمز ، وأغلظوا القول في حقّه ، وهذا التقلّب لدى علماء اللغة في القبول والرفض دليل على نقص الاستقراء لديهم ومحدوديّة علمهم ، فاللغة العربيّة أعظم من أن يحيط بها إنسان أو يتمكن من قواعدها ، وخصوصا الصوتيّة والصرفيّة متمكّن ، كما أنّه لا فرق بين معائش بالهمز ومعايش بالياء ؛ لأنّ الهمزة صوت صامت والياء صوت صامت ، فلا يوجد فرق من حيث الوصف الصوتيّ بين صوتي الياء والهمزة في هذه الكلمة ، فكلاهما تكوّن من صامت وحركة قصيرة ، ولكنّ نافعاً كلّف نفسه همزاً شاذاً في حين أنّه لجأ سابقاً إلى التخفيف في نحو : بئر ، يأكلون ، يأجوج التي تشبه ما حدث في معائش صوتياً .

أمّا في قوله تعالى : " **فتوبوا إلى بارئكم** " [1] ، فقد ذكر النحّاس أنّه يجوز " إلى باريكم " تبدل من الهمزة ياء " [2] أمّا أبو حيان فقال : " إنّ الأصل الهمزة ، وأنّه من برأ فخفّف الهمزة بالإبدال المحض من غير قياس ؛ إذ قياس هذا التخفيف جعلها بين بين " [3] ، وقد أشار سيبويه إلى أنّ الهمزة المكسورة إذا سبقت بكسر لم يجز فيها الإبدال المحض بل يجب جعلها بين بين خشية تحولها عن بابها " [4] ،

لقد أجاز أبو جعفر النحاس الإبدال في حين عدّه أبو حيّان الأندلسيّ خروجاً على القياس ، وفي الواقع أنّ الإبدال في هذه الكلمة قياسيّ تمّ عبر أكثر من تبدّل صوتيّ واحد ، فمراحل هذا التبدل قد تكون غابت عن ذهن بعض العلماء ، وهذه المراحل ثلاث هي :

---

١. سورة البقرة ، آية ٥٤ .

٢. إعراب القرآن . النحاس ، ١ / ١٧٦ .

٣. تفسير البحر المحيط . أبو حيّان النحويّ ، أثير الدين محمّد بن يوسف الأندلسيّ (-٧٥٤هـ) ، ١ / ٢٠٦ ، تحقيق : علي محمد معوض ، ط ٢ ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٨٣ .

٤. انظر : كتاب سيبويه ، ٥٤٢/٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١. أنّ بعض القبائل العربية تلتزم تسكين الحركة ، وهذه اللهجة معروفة في قبيلة تميم [١] ، كما أنّه قد روي عن أبي عمرو بن العلاء إسكان الهمزة من "بارئكم" في حين روى سيبويه عنه باختلاس الحركة ، فزعم أبو العباس المبرّد أنّه لحن لا يجوز في كلام ، ولا شعر لأنّها حرف الإعراب ، وقد أجاز ذلك النحويّون القدماء الأئمة ، فالتزام التسكين أوّل هذه المراحل .

٢. أمّا المرحلة الثانية ، فكانت بتخفيف الهمزة الساكنة تبعاً للهجة الحجاز في التخفيف ، فأبدلت الهمزة ياء .

٣. تحريك الياء من باريكم ، وهذه لهجة معروفة ؛ لأنّ الياء أصلاً صوت متحرك.

ولتقريب الصورة ، فإنّ هذه الظاهرة الصوتيّة ربما تمثلت في لهجات القبائل الواقعة ما بين تميم والحجاز ، حيث تأثّر من الأولى بالتزام التسكين حتى أصبح قاعدة ، ثم تلا هذا التأثّر الصوتيّ على القاعدة الجديدة تأثّر جديد من بيئة أخرى ، ثم تلاه تأثّر من بيئة ثالثة ، فالكلمة قد عاشت دورة حياة من التحوّل الصوتيّ والصرفيّ ، ولكنّ الأصل يبقى الميزان الضابط لهذه الكلمات من الضياع ، وربّما غابت مثل هذه التحوّلات عن ذهن بعض العلماء كأبي العبّاس المبرّد .

وبما أنّ الهمزة صوت صامت ، فإبدالها بالياء حسن ؛ لأنّ الياء صائتة فهي سهلة وخفيفة في القراءة ، فالفرق بين باريكم وبارئكم هو أنّ عدد المقاطع الصوتيّة أصبح أقلّ بالتخفيف الصوتيّ في باريكم منه في بارئكم ، فكان لتخفيف الهمزة نتيجة إيجابية في اختصار عدد المقاطع الصوتيّة .

---

١. انظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية . الراجحي ، عبده ، ص ١٥٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ . همع الهوا مع في شرح جمع الجوامع . السيوطي ، جلال الدين بن أبي بكر ، ١٨٧/١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أمّا قوله تعالى : " الذي اؤتمن " [1] ، فقد أبدلت الهمزة ياء ، وهذا المثال دليل على ضعف همزة الوصل ، مما جعل تأثيرها معدوماً ، فتأثرت الهمزة بالياء في كلمة "الذي" ، " فإذا خففت الهمزة لم يجز أن تأتي بواو بعد كسر " [2] ، وأيضاً بالنسبة لقوله تعالى : " وقال فرعونُ ائتوني " [3] ، حيث أبدلت الهمزة واواً ، والسبب في ذلك أنّ همزة الوصل كسرتها ضعيفة ، فأبدلت الضمّة واواً تبعاً لضمّة فرعون .

لقد أشار الدكتور سمير ستيتية إلى أنّ القدماء قد توهّموا بأنّ الهمزة تبدل صوت علّة ولكنّها في الحقيقة تبدل حركة من جنس الحركة السابقة لها ، فتصبح الحركتان صوت مدّ ، حيث قال : " إنّ الهمزة هنا أبدلت ضمّة ، لا واواً كما كان العلماء السابقون يتصورن ،لأنّ حركة الياء الضمّ في "يؤمرون " ونظيرتها ، ولما أبدلت الهمزة ضمة أصبحت الضمتان واو مدّ ، وقد كان العلماء السابقون يتصورن وجود ضمّة مستقلة عن الواو ، وسابقة لها مباشرة ، وهذا غير صحيح من الناحية الصوتيّة " [4] ، وهذا الرأي ليس دقيقاً ذلك لأنّ صوت العلة والحركة من الناحية الصوتية هما من عائلة صوتية واحدة ، كما أنّ قوله بأنّ الضمتين قد أصبحتا واو مدّ ليس دقيقاً أيضاً ، وذلك لأنّ الصوتين لا يمكن أن يشكّلا صوتاً واحداً دون ظهور فاصل دقيق في هذا الصوت ، وهو ما أشار إليه القدماء من وجود حركة مستقلّة سابقة عن الواو ، وبهذا يجب القول بأنّ التخفيف على متحدث اللغة كان بإسقاط صوت الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) مع بقاء صفة من صفات الهمزة ، وهي الشّدّة التي أعانت الحركة السابقة ، فصارت صوت مدّ طويل ، فأحدث هذا راحة وسهولة في النطق ، ولم يتأثر المعنى ، ولم يختلّ ، فكان هذا التبدّل الصوتيّ جماليّة من جماليات التطور اللغويّ ظهر في لهجة أكثر العرب فصاحة ، وهم قريش .

---

١. سورة البقرة ، آية ٨٣ .

٢. إعراب القرآن . النحاس ، ١ / ٣٠٣ .

٣. سورة يوسف ، آية ٥٤

٤. تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة . ستيتية ، سمير ، ص ٢٦ ، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، جامعة عمان الأهلية ، ١٩٩٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي كلمات نحو : يأكلون ، الذئب ، يأجوج ، مأجوج ، يؤمرون ، ائتوني ، اؤتمن ... يتبين فيها أنّ التخفيف كان بإسقاط الهمزة ، وليس بإبدالها ، وإنّما تركت الهمزة أثراً من آثارها ، وهو الشّدّة ، فقوّت هذه الصفة الحركة السابقة لها وأغنت عن وجود الهمزة .

ب. الهمزة المتحرّكة

١. الهمزة المتحرّكة المسبوقة بمتحرّك :

يذكر ابن يعيش [١] أنّ قوماً من العرب ــ لم يذكرهم تحديداً ــ يبدلون من هذه الهمزات التي تكون (بين بين) أصوات لين ، فيبدلون من المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفاً ، فيقولون في سأل : سال ، وفي منسأته : منساته ، ومن المضمومة المضموم ما قبلها واواً ، ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء . وذلك شاذ ليس بمطرد ، ويقول ابن جنّي :" إذا كان الحرف قبل الهمزة متحرّكاً لزم الهمزة ما يلزم (النّطَع)* من الإشمام ، وإجراء المجزوم ، وروم الحركة " [٢] ، وهذا القول يشير إلى إبقاء أثر من آثار الهمزة ، لا حذفها تماماً ، وربما يكون هذا الأثر صفة من صفات الهمزة ، وهو ما عبّروا عنه بهمزة " بين بين " ، ومن هنا قال سيبويه : " فكلّ همزة تقرّب من الحرف الذي حركتها منه ، فإنّما جعلت بين بين ، ولم تجعل ألفات ، ولا ياءات ، ولا واوات ، لأنّ أصلها الهمز ، فكرهوا أن يخفّفوا على غير ذلك ، فتحوّل عن بابها ، فجعلوها بين بين ليعلموا أنّ أصلها عندهم الهمز " [٣] ، وبهذا وضع سيبويه يده على الأسباب الداعية

---

١. شرح المفصل . ابن يعيش ، أبو البقاء يعيش بن علي النحويّ ، ٩ / ١١٧ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

* . النطع : بالكسر والفتح والتحريك ما ظهر من الغار الأعلى " القاموس المحيط "وفي اللسان : " النطع المتشدقون في كلامهم وتنطع في الكلام إذا تأنق فيه وتعمق " .

٢. الخصائص ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ٤ /١٧٨ ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

٣. كتاب سيبويه ، ٣ /٥٤٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلى مثل هذا التبدل الصوتي الناتج عن التخفيف ، فكان منع البدل ههنا نتيجة عدم الإخلال باللغة ، وخشية تحوّل الكلمة عن بابها ، ولهذا فقد غبي على بعض علماء اللغة قراءة نافع "سال" بإبدال الهمزة ألفاً خالصة دون أن يجعلها بين بين ، فقالوا إنّ قراءة "سال" بالألف جاءت من يسيل ، وليس من يسأل ، فاختلط عليهم أصل الكلمة هل هي من يسيل أم من يسأل ؟ ، ومن هنا قال سيبويه : " واعلم أنّ الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز ، وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين ، تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً ، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً ، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً ، وليس ذلك بقياس متلئب* " [1] ، فسيبويه أشار إلى حقيقة وجود هذا الأمر فأقرّه ، ولكنّه أبقاه محصوراً في السماع لا يقاس عليه ، ثم يضيف : " فمن ذلك قولهم : منساة . وإنّما الأصل منسأة ، وقد يجوز في ذا كلّه البدل حتى يكون قياساً متلئباً إذا اضطر الشاعر" [2] ، فجعله قياساً مطّرداً للضرورة الشعريّة ، وكان من قبل قد جعله محصوراً في السماع في غير هذا إلا أنّ الأخفش قد خالف جمهور النحاة في جعل القياس في الهمزة المكسورة المسبوقة بالضم ، أو الفتح أن تبدل خالصة [3] .

على الرغم من هذا فقد رفض عدد من علماء اللغة المُحدثين القول بوجود همزة بين بين ، فالدكتور إبراهيم أنيس يقول :" أما التكيّف الصوتيّ لهذه الحالة ، فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً ، وإذا صح النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القرّاء تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركة حركة وراءها ، فالذي نسمعه حينئذ لا يمتّ إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير يسمّى عادة حركة الهمز من فتحة أو ضمة أو كسرة ، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين قصيرين " [4] ، بل ذهب غيره إلى أكثر من هذا حين نفى نفياً قاطعاً وجود همزة بين بين ، وفي ذلك يقول عبد الصبور شاهين : " وقد قمنا في دراستنا

---

١. كتاب سيبويه ، ٣ / ٥٥٤ . * المتلئب : المستقيم المستوي ، والمراد هنا المطّرد .

٢. المرجع السابق ، ٣ / ٥٥٤ .

٣. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . شاهين ، عبد الصبور ، ص١٠٠ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، والأخفش المقصود هنا هو : الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة .

٤. الأصوات اللغوية . أنيس ، ص ٧٩ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

للماجستير ببعض التجارب العلمية على جهاز " سبكتروجراف " ، أثبتنا بها هنالك أنّ "بين بين " ليس في الواقع سوى حركة ، ونضيف هنا أنّ بين بين يعني في الواقع سقوط الهمزة أساساً ، واتصال الحركتين قبلها ، وبعدها مباشرة بحيث يتكوّن لدينا المزدوج بالمعنى الكامل ، وفي هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذي تنشأ عنه أنصاف الحركات " الواو والياء " ، ومن ثمّ نعدّه دليلاً على أنّ الهمزة ليست في الغالب سوى وظيفة صوتيّة يعمد إليها المحقّقون ، وهم الذين يريدون أن يؤكّدوا نبرهم للمقطع المنبور ، أمّا المخفّفون ، فلم يريدوا هذا التأكيد ، واكتفوا بهذا المزدوج الذي يعني تتابع حركتين لهما من الطول أو التوتر ما يؤدي مهمة النبر ، ويبرز وجود المقطع المنبور" [1] ، فقوله هنا بانّ الطول أو التوتر يؤدي مهمة النبر يحمل المعنى الذي قاله سيبويه من أنّ وظيفة همزة بين بين الحفاظ على عدم تحوّل اللفظة عن بابها .

إنّ مثل هذه الحقائق من شأنها أن تخفف من وطأة الاعتراضات على القراءات ، ونسبة هذه القراءة أو تلك الواردة على لسان قارئ ثقة إلى الشذوذ ، والى حدّ تحريم القراءة بها أحياناً ؛ لأنّها خالفت الوجه اللغويّ . ومن هنا وجب القول بانّ الذين نحوا إلى تخفيف الهمزة استعاضوا عن النبر بطول الحركة والتوتر ، فعندما قرأ نافع "أرأيتكم " و"أرأيت" أينما وقعت في القرآن ، ونحا التسهيل فيها قال أريتكم وأريت ، فقد قرأها "من غير همز والألف على مقدار ذوق الهمز " [2] ؛ أي أنّه سهّل الهمزة الثانية ، وأذاقها أو أشمّها الهمز قليلاً ، فهو إذن يسقط الهمزة ويعوّض منها ألفاً مع بقاء صفه من صفات الهمزة موجودة ، وهي الشدّة ، والمقصود بها الحبس التامّ للصوت ثمّ خروجه دفعة واحدة ، وقد أحدث هذا التخفيف تقليصاً في عدد المقاطع الصوتيّة ففي كلمة " أرأيت " أربعة مقاطع صوتيّة أمّا كلمة أريت بالتخفيف فتكوّنت من ثلاثة مقاطع صوتية .

---

١. القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث . شاهين ، ص ١٠٥ .

٢. السبعة . ابن مجاهد ، ص ٢٥٧ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنّ التخفيف الصوتيّ الذي نلحظه يكون بإسقاط صوت الهمزة ، وبقاء حركتها ، وليس بالبدل ، فاختصار المقاطع الصوتيّة نتج عن إسقاط الهمزة ، واتّحاد الحركتين قبلها وبعدها .

أمّا قوله تعالى : " سأل " [1] ، فقد قرأها نافع بالألف ، وهذا النوع من التخفيف والتزام البدل التام هو لهجة متأصلة ذكرها سيبويه في قوله السابق على أنّه لا يقاس عليها ، ولكنّها تكون باباً يقاس عليه إذا اضطر إليها شاعر ، ومن ذلك قول حسّان بن ثابت – رضى الله عنه – : [2]

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

قال المبرّد : " هذا إنّما جاز للاضطرار ، كما يجوز صرف ما لا ينصرف ، وحذف مالا يحذف مثله في الكلام ، وقد يقال في معنى سألت : سِلْت أسال مثل خِفت أخاف ، وهما يتساولان ، كما يختلف اللفظان والمعنى واحد ... فإنّما هذا على ذلك لا على القلب " [3] ، ومن هنا فقد كان البدل عندهم مرفوضاً من أصله ؛ لأنّه يتعارض مع القاعدة التي وضعت ، ومن هنا ذهب العكبريّ إلى تأويل هذه القراءة بقوله :" أي سال بالعذاب كما يسيل الوادي بالماء " [4] ، ولكنّ هذا يؤدي إلى اختلاف المعنى في الآية ، وفي الواقع أنّ نافعاً في قراءته خفف الهمزة كما كانت القبائل العربيّة تفعل في التخفيف ، وذلك بإسقاط صوت الهمزة ، وليس بقراءتها بين بين كما كان يتوهّم القدماء الذين تثبت النصوص أنّ قياسهم لقواعد الصوت لم يكن دقيقاً ، والذي يؤكد هذا ، ويؤكد عدم دقة القدماء في قولهم أنّ الهمزة نطقت بين بين ، ما جاء في كتاب الخصائص : " ورأيت مع هذا أبا عليّ ـ رحمه الله ـ كغير المستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم ، ولعمري إنّه لم يصرّح بإجازته ، لكنّه لم يتشدّد في إفساد إجازة ابتداء العرب

---

١. سورة المعارج ، آية ١ .

٢. الشاهد لحسّان بن ثابت في ديوانه ص٦٣ ، والكتاب ، ٥٥٤/٣ ، والمقتضب ، ١٦٧/١ ، والمفصّل ، ص١٩٤ ، وشرح المفصّل ، ١١٤/٩ (انظر : معجم الشواهد النحويّة . حنّا حدّاد ، ص٢٩٥ ، والشاهد رقم ٢٩٢) .

٣. المقتضب ، ١٦٧/١ .

٤. إملاء ما منّ به الرحمن ، ٢٦٨/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بالساكن ، قال : وذلك لأنّ العرب قد امتنعت من الابتداء بما يقارب حال الساكن ، وإن كان في الحقيقة متحركاً ، يعني همزة بين بين ، قال : فإذا كان بعض المتحرك لمضارعته الساكن لا يمكن الابتداء به ، فما الظنّ بالساكن نفسه ؟ ... وأمّا أنا فأسمعهم كثيراً إذا أرادوا المفتاح قالوا " كليد " ، فان لم تبلغ الكاف أن تكون ساكنة ، فانّ حركتها جدّ مضعفة حتى أنها ليخفى حالها عليّ فلا أدري أفتحه هي أم كسرة ، وقد تأملت ذلك طويلا ، فلم أحل منه بطائل " [1] ، وهذا خير دليل على أنّ بعضاً من التبدلات الصوتيّة عقب تسهيل الهمزة قد خفيت على القدماء ؛ لأنّ اعتمادهم في ذلك القياس كان سماعياً ، ومعروف أنّ القياس لا يكون دقيقاً دون اللجوء إلى الآلات التي تساعد الإنسان على الوصول إلى الملاحظة الدقيقة ، ومن هنا كانت آلات مقياس الترددات الصوتية مهمة وضرورية في إطلاق الأحكام ، وتصحيح عثرات السابقين ، وهذا التخفيف أحدث في الكلمة تقليصاً في عدد المقاطع الصوتيّة ، فكلمة " سأل " فيها ثلاثة مقاطع ، وكلمة " سال " بالتخفيف تكونت من مقطعين صوتيّين ، فالتخفيف الصوتيّ في هذه الهمزة كان بإسقاط الهمزة ، وبقاء حركتها ، فاتّحدت حركتها مع حركة ما قبلها ، فكوّنت صوتاً صامتاً طويلاً .

أمّا قوله تعالى "مِنْسَأته " [2] ، فقد قرأها نافع بالألف ، وهذا يحتاج إلى وقفة من المناقشة ، فالفراء قال فيها : " ولم يهمزها أهل الحجاز ، ولا الحسن ، ولعلّهم أرادوا لغة قريش ، فإنّهم يتركون الهمزة ، وزعم لي أبو جعفر الرؤاسيّ * أنّه سأل عنها أبا عمرو فقال : "مِنْساته" بغير همز ، فقال أبو عمرو : لأنّي لا أعرفها فتركت همزها " [3]

---

١. الخصائص ، ٩٢/١ ، ٩٣ .

٢. سورة سبأ ، آية ١٤ .

* أبو جعفر الرؤاسيّ : هو أبو جعفر محمد بن أبي سارة الرؤاسيّ ، وهو أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو وهو أستاذ الكسائي والفرّاء ، وتوفي سنة ١٨٧ هـ (انظر : الفهرست . ابن النديم ، ٩٦/١) .

٣. معاني القرآن . الفراء ، ٢ /٣٥٧ .

* مجاهد : هو أبو الحجّاج مجاهد بن جبر مولى السائب المخزوميّ المكّيّ ، الذي قرأ على ابن عبّاس وصحب ابن عمر مدّة كثيرة ، وأخذ عنه قتادة ، وعمرو بن دينار ، والأعمش ، وغيرهم ، وتوفي سنة ١٠٣ هـ . (انظر : طبقات المفسرين . السيوطي ، ١١/١) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي هذا المعنى قال النحّاس : " واشتقاقها يدل على أنّها مهموزة ؛ لأنّها مشتقة من نسأته أي : أخّرته ودفعته .... قال مجاهد وعكرمة * : هي العصا فمن قرأ (مِنْسَاته) أبدل من الهمزة ألفاً ، فإن قال قائل : الإبدال من الهمزة قبيح ، إنّما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ ، وأبو عمرو بن العلاء لا يغيب عنه مثل هذا ، ولا سيّما أهل المدينة على هذه القراءة ، فالجواب عن هذا : أنّ العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا ، كما يقع البدل في غير هذا ، ولا يقاس عليه حتى قال أبو عمرو : ولست أدري ممَّ هي ؟ إلا أنّها غير مهموزة " [1] ، فالعلماء يؤكدون صحتها حتى أنّه لا مجال للشكّ فيها ؛ لأنّها جاءت من ثقات ، وأهل علم وأمانة ودراية ، ولكنّها خالفت القاعدة اللغويّة .

أمّا الهمزة المتحرّكة المسبوقة بحركة مخالفة لحركة همزتها ، فإنّ الإبدال فيها هو القاعدة العامة ، وهكذا فعل الإمام نافع ، فقد أبدل الهمزة في قوله تعالى :" يُؤَيِّد " [2] وفيها قال العكبريّ :" يقرأ بالهمز على الأصل وبالتخفيف ، وتخفيف الهمزة هنا جعلها واواً خالصة لأجل الضمّة قبلها ، ولا يصح أن تجعل بين بين لقربها من الألف " [3] ، وفي الحقيقة كما ذكرت سابقاً أنّ الهمزة قد تحولت إلى صوت الواو والذي أعانها على ذلك الحركة السابقة لها ، ومثل هذا في قوله :" لئلا " ، "فليؤد" ، "يؤلف " ، وما شابه ذلك من ألفاظ .

أمّا قوله تعالى : "**الصابئون** " و " **الصابئين** " [4] ، حيث أبدلت الهمزة إلى صوت الياء ، فصارتا "الصابيون والصابيين" ، والاسم المنقوص تحذف ياؤه إذا اتصل بواو أو ياء الجمع على لغة أهل الحجاز ، ولذا فقد حذفت الياء المبدلة من الهمزة على لغة أهل

عكرمة : هو ابن كثير عكرمة بن سليمان بن عامر المكّيّ المقرئ مولى آل شيبة الحجبيّ ، قرأ القرآن على شبل بن عبادة ، وغيره ، وقرأ عليه البزّيّ ، وغيره . (معرفة القرّاء الكبار . الذهبيّ ، ١٤٧/١) .

١. إعراب القرآن . النحّاس ، ٦٦١/٢ ، ٦٦٢ .

٢. سورة آل عمران ، آية ١٣ .

٣. إملاء ما منّ به الرحمن ، ١٢٧/١ .

٤. سورة البقرة ، آية ٦٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحجاز من أجل واو وياء الجمع ، فصارتا الصابون والصابين كما قرأ نافع . حيث شهدت الكلمة أكثر من تبدّل صوتيّ ، والتخفيف لم يبقها محجوزة في بؤرة التخفيف ، بل أنّها قد عوملت على الرغم من تخفيفها كما يعامل الأصل ، وجرت عليها القاعدة كما تجري على غيرها من الأسماء المنقوصة .

٢. الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن :

إنّ التخفيف في الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن يكون بالنظر إلى نوع الساكن فإن كان الساكن حرفاً صحيحاً نقلت حركة الهمزة إلى الساكن السابق وحذفت ، أمّا إذا كان الساكن معتلاً فإنّه ينظر إلى المعتل ، فإن كان ألفاً أصبح تخفيف الهمزة على طريقة بين بين ، وإن كان صوت العلة الساكن واواً أو ياءً ، فتقلب الهمزة من جنس الواو والياء ، وتدغم فيها [١] ، وأمثلة هذا النوع من الهمزات في قراءة نافع كثيرة ، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر ، نذكر منها قراءته في قوله تعالى : " **قالوا الآن** " [٢] ، فعندما أراد التخفيف لم يستطع الإبدال مباشرة خشية التقاء السواكن ، فألقى بحركة الهمزة على الساكن وهو اللام ، وحذف الهمزة ، فصارت : " قالوا الَان " ، ثم حذف همزة الوصل ، وذلك لتحرك اللام ، فصارت عقب هذا التحول الصوتيّ : " قالوا لَان " بغير همز ، فاجتمع أكثر من تحول صوتيّ في هذه الكلمة ، والنتيجة النهائيّة هي تحول اللفظة إلى ما أشبه الإبدال الصوتيّ لصوت الهمزة حتى أصبحت ألفاً ، وذلك بأن تحول الصامت الطويل إلى صائت قصير ، وهو عبارة عن حركة الفتح فوق اللام .

وأمّا قوله تعالى : " **عاداً الأولى** " [٣] ، فقد قرأها نافع "عاداً لُولى" في نهاية التبدلات الصوتية التي هي على النحو الآتي : " ألقى حركة الهمزة على اللام ، وحذف

---

١. انظر : سرّ صناعة الإعراب ، ٨٦/١ ، وشرح المفصل . ابن يعيش ، ١١٤/٩ ، ١١٥ .

٢. سورة البقرة ، آية ٧١ .

٣. سورة النجم ، آية ٥٠ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

همزة الوصل قبل اللام فلقي التنوين اللام المتحركة فأدغم فيها كما قالوا ألَحْمَـر " [1] ، في الأحمر ، وفيها قال الفراء : " جزموا النون لمّا تحرّكت اللام ... والعرب تقول : قمْ لان ، وقمِ الآن ، وصمِ الاثنين ، وصمْ لِثنين " [2] .

وفي قوله تعالى : " **الظمئان** " [3] قرأ نافع : " الظمان " بدون همزة ، وفي هذا قيل : " فإن خففت الهمزة ؛ قلت الظمان" [4] ، وهي كالأمثلة السابقة ، وقرأ نافع قوله تعالى : " مذءوما " [5] ، بحذف الهمزة أيضاً ، فقال : "مَذُوماً " ، فقد ألقى حركة الهمزة على الذال وحذفها ، ومن هنا ، فقد يؤدي التخفيف أحيانا إلى تحوّل الكلمة عن بابها فتختلط حتى على العالم ، ومن هنا دخل الشك إلى العكبريّ ــ وهو عالم له شأنه ــ في أصل هذه اللفظة بعد التخفيف في " أن يكون أصلها مذيماً ، لأنّ الفعل ذامه يذيمه ذيماً ، فأبدلت الياء واواً كما قالوا في مكيل مكول ، وفي مشيب مشوب " [6]. وقرأ نافع قوله تعالى : " شطأه " [7] " شطه " بتحريك الطاء ، وحذف الهمزة ، ووجهه أنّه ألقى الحركة على الطاء ، ثم حذف الهمزة عقب تسكينها .

وفي قوله تعالى : " **أصحاب الأيكة** " [8] ، فقد قرأها نافع بالتخفيف ، وذلك بإلقاء حركة الهمزة على اللام الساكنة ، ثم حذفها لتصبح " ليكة " بالفتح ، فقال العكبريّ معترضاً على منعها من الصرف : " وهذا لا يستقيم إذ ليس في الكلام ليكة حتى يجعل علماً " [9] ، وقال النحّاس : " وأجمع القرّاء على الخفض في التي في سورة "الحجر" والتي في سورة "ص" ، فيجب أن يردّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه إذا كان

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن ، ٢٤٨/٢ .
٢. معاني القرآن . الفراء ، ١٠٢/٣ .
٣. سورة النور ، آية ٣٩ .
٤. إعراب القران . النحاس ، ٤٤٥/٢ .
٥. سورة الأعراف ، آية ١٨ .
٦. إملاء ما منّ به الرحمن ، ٢٦٩/١ .
٧. سورة الفتح ، آية ٢٩ .
٨. سورة الشعراء ، آية ١٧٦ ، سورة ص ، آية ١٣ ، سورة الحجر ، آية ٧٨ .
٩. إملاء ما منّ به الرحمن ، ١٦٩/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المعنى واحداً " [1] ، وهذا يدل على أنّ عالماً كالنحّاس لم يستطع توجيه هذه القراءة ، فأعمل القياس على الأغلب فقاس الكثير الموثوق المتفق عليه لتصويب ما لم يتفق عليه . وهنا لا خلاف في قضية التبدل الصوتيّ الناتج عن عملية تخفيف الهمزة ، وإنّما الخلاف في منع " ليكة " من الصرف في قراءة نافع في التي في سورة الشعراء . فما السبب ؟ وهنا فمن الواجب أن تؤخذ مثل هذه القراءات على محمل الجدّ في الدرس اللغوي ، فلربما كان وراءها سرّ من أسرار العربية ؛ لأنّ في القراءة تعارضاً مع القاعدة ، فالمجال هنا لا يتسع لمناقشة مثل هذه القضايا النحويّة البالغة في الدقة والأهمية ، ولكن حبذا لو ذكرنا قولاً لأحد العلماء ، حيث يقول ابن زنجله : " جاء في التفسير أنّ اسم المدينة كان ليكة ، فلم يصرفوها للتأنيث ، والتعريف ، وحجتهم أنّهما كتبتا في المصاحف بغير همز " [2] ، وفي قوله تعالى :" **ردءاً** " [3] قرأ نافع وحده " رداً " مفتوحة الدال منونة غير مهموزة ، وطريقته في ذلك أنّه لمّا أراد تخفيف الهمزة ألقى بحركتها على الساكن السابق ثم حذفها ، وبقيت الحركة فوق الدال مشيرة إلى آثار الهمزة المحذوفة .

أمّا همزة القطع المسبوقة بصوت ساكن من كلمة أخرى ، فقد قرأ الإمام نافع مثل هذه الهمزات بتحريك الصوت الساكن ، وحذف صوت الهمزة كما لو كان الأمر في كلمة واحدة ، فقواعد الإبدال الصوتيّ ، والتخفيف لا تحدّها حدود ، ولا تتمكن من ضبطها قاعدة حقّ التمكن ؛ لأنّ اللفظة مرّت عبر تاريخ وجودها بعوامل تبدل وهجر وكثرة استخدام وغيرها من عوامل التأثر والتأثير ، في قضية التحوّل الصوتيّ والصرفيّ في بنية اللفظة . وأمثلة هذا النوع من الهمزات كثيرة منها قوله تعالى : " **من أجل ذلك** " [4] ، فقد " أجمع القراء على إسكان النون ، وتخفيف الهمزة إلا ما رواه ورش عن نافع من فتح النون وحذف الهمزة " [5] ، وقوله تعالى " **من إستبرق**

---

١. إعراب القرآن . النحّاس ، ٤٩٨/٢ .

٢. حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ٥٧٢ .

٣. سورة القصص ، آية ٣٤ .

٤. سورة المائدة ، آية ٣٢ .

٥. الحجة في القراءات . ابن خالويه ، ص ١٣٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" [1] ، فقد رفض العكبريّ قراءة من قرأ بحذف الهمزة وتحريك النون وهي قراءة الإمام نافع ، فقال : " أصل الكلمة على استفعل فلمّا سمّي به قطعت همزتـه ، وقيـل هـو أعجمي ، وقرئ بحذف الهمزة وكسر النون ، وهو سهو ، لأنّ ذلـك لا يكـون فـي الأسماء بل في المصادر والأفعال " [2] ، فعندما اصطدمت عمليـة التبـدّل الصـوتيّ بالقاعدة دخل الشكّ إلى أذهانهم ، فاتّهموا أصحابها ، فكان أقلّها اتهاماً السهو ، وكيـف يكون سهواً مثل هذه القراءة لإمام قرأ على أهل المدينة عمراً طويلاً بلغ سبعين عاماً ، وحفظ القرآن ، وعلّمه لتلاميذه الذين هم أيضا من الأئمة المشهورين ؟ ، ومـن هنـا فالواجب أن نقول بصدق هذه القراءة ، وفشل النحاة في تعليلها ، ولربما كانـت هـذه القراءة دليلاً على عدم أعجميتها ، ومن أمثلة حذف الهمزة ، قوله تعالى : " **خلوا إلى** " [3] وقوله: " **قد أفلح المؤمنون** " [4] حيث قرأ نافع الأولى على النحو التالي : " خلولى " بحذف الهمزة والألف الفارقة ، وقرأ الثانية : " قدَ فلح " تبعاً لما سبق من قواعد .

أمّا إذا كان قبل الهمزة صوت علّة الواو أو الياء ؛ فإنّ الهمزة تبدل مـن جـنس صوت العلّة ثمّ يلتقي المثلان ، فيدغمان ، ويجوز الحذف مطلقاً ، وإلقاء حركة الهمزة على الساكن السابق . فمن أمثلة ذلك قوله تعالى : " **سوءاتهما** " [5] حيث قرأهـا نـافع بتشديد الواو من غير همز ، وذلك على إبـدال الهمـزة واواً ، فأصـبحت القـراءة " سَوْوَاتهما " ، ثمّ أدغمت الواو الأصليّة بالواو المبدلة فأصبحت " سوّاتها " أخيراً كمـا قرأ نافع . ومثله أيضا قوله تعالى : " **النسيء** " [6] ، فهو يقرأ بتشديد الياء مـن غيـر همز على قلب الهمزة ياء " ، ولم يروِ أحد عن نافع علمناه " إنّما النسيّ " ، بلا همـز إلا ورش وحده " [7] ، وهذان المثالان ردّ على ابن يعيش في اشـترطه لقلـب الهمـزة

---

١. سورة الرحمن ، آية ٥٤ .
٢. إملاء ما منّ به الرحمن ، ٢٥٢/٢ .
٣. سورة البقرة ، آية ٧١ .
٤. سورة المؤمنون ، آية ١ .
٥. سورة الأعراف ، آية ٢٠ .
٦. سورة التوبة ، آية ٣٧ .
٧. إعراب القرآن . النحاس ، ١٦/٢ ، وانظر : إملاء ما منّ به الرحمن ، ١٥/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المسبوقة بواو أو ياء ساكنتين أن يكون شرطهما أن تكونا مزيدتين غير طرفين [1] ، وقد وقعت الواو أصلاً في قوله تعالى : "سوءاتهما" ووقعت الياء طرفاً في قولـــه تعـــالى : "النسيء" ومع هذا جاز فيهما البدل .

ثانياً : التحقيق

رأينا فيما سبق كيف أنّ قراءة نافع اتخذت من تسهيل الهمزة طابعاً عاماً ، ومثّلت للهجة الحجازيين في تسهيلهم للهمزة المفردة حتّى أنّه حقّق الهمز في ألفاظ لم يهمزهـــا غيره من القرّاء تمثيلاً للهجة أهل الحجاز ممن يحققون الهمز ، وفي تلك اللهجة قـــال سيبويه : " وقد بلغنا أنّ قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبـــيء وبريئـــة وذلك قليل رديء " [2] ، ومن أمثلة الهمز في قراءة نافع أنّه حقـــق همـــزة :" النبـــيّ " ومشتقاته في القرآن كلّه ، حيث أبدل من الياء همزة . أي أنّه رجع إلى الأصل ، فقال : النبيْء ، النبيئون ، الأنبآء ، النبوءة ... ، وكذلك حقق نافع قوله تعالى : " **هزواً** " فقال :" هزؤاً " ، وقوله :" **كفواً** " فقال : " كفؤاً " ، وهمز أيضا قوله تعالى : " **البريّة** " فقال : " البريئة " ، وفي قوله تعالى : " **معايش** " ، قال : " معائش " مخالفاً الأصل .

وبعد عرض مجموعة من الألفاظ القرآنية التي همزها نافع ، والتي واجه بعـــض منها اعتراضاً شديداً من علماء اللغة لخروجها على القياس نأخذ كلّ لفظة علـــى حـــدة ونلاحظ منهج الإمام نافع في الهمز ، وكيف أنّه تفرّد في همز ألفاظ لم يهمزها غيـــره من القرّاء .

لقد تفرّد نافع في همز لفظة " النبيّ " أين وكيف وردت في حين أنّه خفّف ما كان مهموزاً في أصل بنائه مما جاء على وزن " النبيّ " حيث خفف قوله تعالى : " **النسيء**

---

١. انظر : شرح المفصل . ابن يعيش ، ١١٦/٩ .

٢. كتاب سيبويه ، ٣ / ٥٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" فقال فيها : " النسيّ " ، وهو فيها جميعاً مخالف لقراءة عاصم ، فعاصم في لفظة " النبيّ " لم يهمز ، ولكنّه حقق الباقي ، وهو ما خالفه به نافع ، وهذا خير برهان على أنّ الإمام نافعاً قد كان يطبق قواعد صوتية سمعها ، أو تعلمها من غيره من الثقات ، وانسجمت في قواعدها الصوتيّة مع لهجة أهل المدينة والحجاز بشكل عامّ ، فهو في مثل هذه الألفاظ قد مثّل للهجة أهل التحقيق من الحجاز ممّن هم قريبون من البادية حيث الشهرة في التحقيق ، ولهذا لم يكن نافع في قراءته يمثل بيئة لهجية بتمام قواعدها ولكنّه يتلو بما سمعه من تلاوة الثقات ، وفي هذه اللفظة تحدّث علماء اللغة ، فسيبويه قال فيه : وذلك قليل رديء . وقال ابن خالويه : " فالحجّة لمن همز أنّه أخذه من قوله " أنبأ بالحق " إذا أخبر به ، والحجة لمن ترك من ثلاثة أوجه : أولها : أنّ الهمز مستثقل في كلامهم ، والدليل عليه قوله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ :" لست نبيء الله " كأنّه كره الهمزة ؛ لأنّ قريشاً لا تهمز ، والثاني أنّه مأخوذ من النبوة ، وهي ما أرتفع من الأرض وعلا ... والثالث أنّ العرب تدع الهمز من " النبيّ " وهو من أنبأت " [1] ، وقال ابن زنجله : " وحجّته أنّ النبيء مهموز قول عبّاس بن مرداس في مدحه نبيّ الله ـ صلى الله عليه ـ :

يا خاتم النبآء إنّك مرسل بالحق خير هدى السبيل هداكا *

فقال :"يا خاتم النبآء " فجمعه على فعلاء لأنّ الواحد مهموز ، فقد صحّ على أنّ أصله الهمز ، وأنّه من باب الصحيح لا من باب المعتل " [2] ، وهو بهذا يشير إلى أنّ الأصل هو الهمز ، وأنّ من قال : النبيّ بدون همز ؛ فقد خفّف وسهّل الهمزة ، وفي هذا قال العكبريّ : " أصل النبيّ الهمز ؛ لأنّه من النبأ وهو الخبر ، لأنّه يخبر عن الله ، لكنّه خفّف بأن قلبت الهمزة ياء ثم أدغمت الياء الزائدة فيها ، وقيل من لم يهمز أخذه من النبوة وهو الارتفاع ؛ لأنّ رتبة النبيّ ارتفعت عن رتب سائر الخلق " [3] ، قال أبو

---

١. الحجة في القراءات . ابن خالويه ، ص ٨٠ ، ٨١ .

* والشاهد للعبّاس بن مرداس في ديوانه ص٩٥ ، والكتاب ، ١٢٦/٢ ، واللسان "نبأ" ، وجمهرة اللغة ، ٢١٢/٣ ، والمقتضب ، ١٦٢/١ ، ٢١٠/٢ (انظر : معجم الشواهد النحويّة . حنّا حدّاد ، ص٥١٥ ، والشاهد رقم١٨٦٦) .

٢. حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ٩٩ .

٣. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبري ، ٤٠/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العبّاس المبرّد :" تقول في نبيء إذا خففت الهمز نبيّ كما يجري فيما لم تكن حروف لينه أصلية ، أو كالأصلية " [1] .

إنّ اختلاف المادّة اللغويّة يؤدّي إلى اختلاف المعنى ، ولكنّه هنا أدّى إلى تكامل المعنى ، فالنبيء مشتقّ من أنبأ بمعنى أخبر ، فهو المخبر عن الله ، وهو من باب علو المنزلة وكذلك النبيّ إن كان من النبوة وهي ما علا وارتفع ؛ فدليل على علو الرتبة والمنزلة ، وهي في هذا لا تكون مسهّلة ، وإنّما هي شبيهة بألفاظ مثل تقيّ وشقيّ وغنيّ حيث تجمع هذه على أتقياء وأشقياء وأغنياء ، كما أنّ نبيّ تجمع على أنبياء وإن كان أصلها الهمز كان به ، فلا اختلاف في المعنى ، ولا تأثير في اللفظ .

والذي نراه أنّ الهمز هو الأصل الصحيح ، وذلك لأنّ المعنى اللغويّ فيه يشير إلى هذا ، حيث أنّ كلّ من كان مخبراً عن الله ، أي : نبيء من أنبأ وأخبر ، هو عالي المنزلة ، وليس بالضرورة أن يكون كلّ عالي منزلة ، أي : نبيّ من النبوة وهي العلو ، مخبراً عن الله ، فاختيار وجه الهمز كي يكون أصلاً هو الأقوى من حيث المعنى كما أنّ عدداً من علماء اللغة أشار إليه كأصل ، وعلى رأسهم سيبويه ، فيكون نافع قد همز خلافاً لمنهجه الذي سلكه في التخفيف .

وفي قوله تعالى :" **هزوا** " وقوله :" **كفوا** " ، فقد قرأهما نافع بالهمز ، وهو الأصل ، وأمّا الذين قالوا : كفوا بدون همز ، فقد التزموا التخفيف على لهجة الحجاز حيث جاءت الهمزة مفتوحة ، وسبقت بضم ؛ فأبدلت الهمزة واواً تماماً كما قرأ نافع في التسهيل في غير هذا الموضع مما سبق ذكره ، ليدلّل على أنّ التخفيف والتحقيق مناهج صوتية جاء بها القرّاء جميعاً كثر ذلك أم قلّ .

وقوله تعالى :" **البريّة** " ، فهي مثل النبي في القياس ، فقد حقّق نافع فقال البريئة ، والأمر في هذا أنّ نافعاً أخذ القراءة بالسماع لا بالقياس ، وفي هذا قال سيبويه : "

---

١. المقتضب . المبرّد ، ١٦٢/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقالوا نبيّ وبريّة ، فألزمها أهل التحقيق البدل ، وليس كلّ نحوهما يفعل به ، إنّما يؤخذ بالسمع " [1] ، وقال الفراء : " البريّة غير مهموز إلا أنّ أهل الحجاز همزوها " [2] ، وذهب العكبريّ إلى غير ما ذهب إليه الفراء من أنّ الأصل فيهما الهمز ، فهو يقول : " غير مهموز في اللغة الشائعة ، وأصلها الهمز من برأ الله الخلق ، أي ابتدأه . وهي فعيلة بمعنى مفعولة " [3] ، وهو بهذا يؤكد أنّ الأصل الهمز ، وأنّ الشائع فيها التخفيف ، فهذه الأقوال تنبئ عن الأصل وهو الهمز كما قرأ نافع صاحب منهج التسهيل على غير ما هو شائع في اللغة . وهذه الأمثلة على قلّتها ذات أهمية في تأكيد دقّة المنهج الصوتيّ الذي التزمه أئمة القراءات في تلاوة القرآن كما سمعوه بالتواتر من الثقات حتى انتهى سنده إلى الرسول الكريم ، فمكثوا عمراً طويلاً يتلون القرآن ، ويعلمون طلبة العلم ، بحيث نرى أنّ صاحب المنهج الصوتيّ قد خالف منهجه في ألفاظ قليلة ؛ لأنّه اعتمد على السماع لا على القياس في تلاوة القرآن . ومن هنا صعب وضع قوانين صوتية تنطبق على القرآن الكريم كلّه وإنّما يعلّم القرآن بالسماع من الثقات .

أمّا همز قوله تعالى :" **معائش** " ، فقد عدّه جمع من علماء اللغة خطأ ولحناً في القرآن الكريم ؛ لأنّ الياء التي تقلب ألفاً عند الجمع هي الياء الزائدة ، أمّا هنا ، فلا تعلّ الياء ؛ لأنّها أصليّة ومن هنا قال الزجاج : " جميع نحاة البصرة تزعم أنّ همزها خطأ ولا أعلم لها وجها إلا التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة ولا يلتفت إليها " [4] ، وقال المبرّد الذي يَرى أنّ نافعاً قالها من عند نفسه ، فهو لا علم له بالعربيّة : " فأمّا معيشة ، فلا يجوز همز يائها ، لأنّها في الأصل متحركة ، فأمّا قراءة من قرأ معائش فهمز ، فإنّه غلط ، وإنّما هذه القراءة منسوبة إلى نافع بن أبي نعيم ، ولم يكن له علم بالعربية " [5] ، وهو في هذا مردّد لقول المازني : " فأمّا قراءة

---

١. كتاب سيبويه ، ١٧٠/٢ .

٢. معاني القرآن . الفرّاء ، ٢٨٢/٣ .

٣. إملاء ما منّ به الرحمن ، ٢٩١/٢ .

٤. المنصف على تصريف المازنيّ . ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان ، ٣٠٧/١ ، تحقيق : عبد الله أمين ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٥. المقتضب ، ١٢٣/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

من قرأ من أهل المدينة معائش بالهمز ، فهي خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنّما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ، ولم يكن يدري ما العربية ، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا ، وقد قالت العرب مصائب ، فهمزوا وهو غلط " [1].

صحيح أنّ هذه القراءة قد خالفت القاعدة اللغويّة لكنّ قواعد الهمز بين التحقيق والتخفيف قد ذهبت إلى أبعد من القاعدة النحو يه ، ومن ذلك ما حكاه أبو العباس المبرّد عن أبي عثمان المازني عن أبي زيد الأنصاريّ أنّه قال : " سمعت عمرو بن عبيد يقرأ : " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن " [2] ، فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة ، فقلت لأبي عثمان : أتقيس هذا ؟ قال : لا . ولا أقبله " [3] .

إنّ مثل هذه الشواهد توحي بأنّ قوانين الاستقراء ، والقواعد اللغويّة ظلّت مقيّدة محصورة ، وبقيت القاعدة عندهم هي المرجع الأول والأخير ، وإن عارضها . ما لم يحصلوا عليه إلا بعد وضع هذه القوانين ، ولكنّ الصوت والتطور اللغوي لا تحدّه القوانين وإلا لما توالدت اللغات الكثيرة التي نراها اليوم .

إنّ مثل هذا البناء أعني "مفاعل" وردت شواهد على همزه ، والياء فيه أصلية ، ومن ذلك كلمة " مصائب" ، وهي على وزن معائش ، حيث وردت كلمة مصائب بالهمز في الشعر الجاهليّ ، وفي العصر الإسلاميّ ، وهي عصور الاستشهاد باللغة ، فعنترة يقول [4] :

واشتاق كاسات المنون إذا صفت ودارت على رأسي سهام المصائب

---

١. المنصف ، ٣٠٧/١ .

٢. سورة الرحمن ، آية ٣٩ ، وعمرو بن عبيد هو : أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب الزاهد المتكلم المشهور مولى بني عقيل ، ثم آل عرادة . (انظر : طبقات المفسرين . السيوطي ، ١٦/١) .

٣. المنصف . ٢٨/١ ، أبو عثمان هو : أبو عثمان المازنيّ صاحب كتاب التصريف .

٤. ديوان عنترة ، ص ٤٩ ، تقديم :عبد القادر محمد مايو ، ط١ ، دار القلم العربي ، حلب ، سورية ، ١٩٩٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال حسان بن ثابت " [1]

أصيبت به فهر فلا اجتبرت لها مصائب باد حرها وشفيفها

والشفيف : البرد المؤذي

إنّ مثل هذه القراءة الصادرة عن ثقة من الواجب أن لا تردّ ، إن لم يكن في شيوعها على لألسنة وجوب لتعقيدها ، ووضعها في مدار القياس ، فلماذا وضعوا قاعدة من القليل ، في حين أنّ اصطدام شيء من القرآن بالقاعدة تأكيد على رفضه ؟ ، وكان الأولى أن يضعوا الحلول لها لكنّ النقص من صفات الإنسان على الدوام ، وهناك من حاول تعليل مثل هذا البناء فها هو النحاس يروي عن أبي إسحاق أنّه قال فيمن همز مقائم : "هذا خطأ يلزمه أن يقول: مقايم ، ولكنّ القول عندي أنّه مثل وسادة وإسادة " [2]

وبالرغم من تعليل بعض علماء اللغة لمثل هذه القراءة ، ومحاولة التخفيف من وطأة الاعتراضات عليها ، فانّ مثل هذه القراءة هي فوق علم علماء اللغة ، فالقرآن معجزة الرسول الخالدة ، والقراءات بأحكامها وقواعدها اللغويّة قد جاءت على لسان الرسول ، وأقرّها ونقلت بالتواتر عن الثقات ، فعجز علماء اللغة عن التعليل والتوجيه دليل على المعجزة اللغويّة في القرآن الكريم .

إنّ تحقيق الهمزة خاصيه من خصائص لهجة تميم وقيس وبني أسد ، وإنّ التسهيل خاصيه من خصائص لهجة الحجاز ، فالذين همزوا قليلاً وسهّلوا كثيراً كنافع ربما مثّلوا للهجة القبائل القاطنة شرق الحجاز ، ووسط شبه الجزيرة ما بين تميم والحجاز ، فتأثروا باللهجتين التميميّة والحجازيّة ، فبدت في لهجاتهم مظاهر هذا التأثر من التسهيل والتحقيق .

---

١. ديوان حسان ، ص ٢٥٠ ، تحقيق : سيد حنفي حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٢. إعراب القرآن ، النحّاس ، ٦٠١/١ . أبو إسحاق هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، من تصانيفه معاني القرآن في التفسير ، وخلق الإنسان ، وتفسير جامع المنطق ، وقد توفي سنة ٣١١هـ (انظر : طبقات المفسرين . السيوطيّ ، ٥٢/١) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا : الهمزتان المتجاورتان

إذا كان إحساس العربي بثقل الهمزة مدعاة إلى تخفيفها إمّا بالحذف أو التسهيل أو الإبدال أو النقل ، فما هو الأمر بالنسبة لها إذا التقت بأختها الهمزة ؟ حينها يزداد العبء والثقل على أعضاء النطق خاصة إذا قلنا بأنّ الهمزتين لا تدغمان كغيرهما للتخلص من بعض هذا العبء ، ومن هذا الإحساس جاء تأكيد علماء اللغة على اختيار جانب التسهيل في حالة اجتماع الهمزتين مقياساً للغة الأقوى .

لقد تحدث علماء اللغة فجاءت أقوالهم معبرة عن الإحساس بالثقل وفضلوا في هذا الأمر الفرع على الأصل ، فابن جني خير من عبر عن هذا فقال : " فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة إلا أن تكونا عينين نحو: سئال ، وسئار، وجئار ، فأمّا التقاؤهما على التحقيق في كلمتين فضعيف عندنا وليس لحناً وذلك نحو : قرأ أبوك و" السفهاء ألا " [1] " ويمسك السماء أن تقع على الأرض " [2] " أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم " [3] ، فهذا كلّه جائز عندنا على ضعفه ، لكنْ التقاؤهما في كلمة واحدة غير عينين لحن " [4] ونطق الهمزتين المحققتين في نظرهم أشبه ما يكون باستحالة التوصل للنطق بالساكنين ، وقد أشار سيبويه إلى مثل هذا عندما قال :" ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفا إذا التقتا وذلك أنّهم كرهوا التقاء همزتين كما قالوا اخشينان ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة " [5] فالتحقيق لغة رديئة وإن كان الأصل في البناء وقد أشار إلى مثل هذا المبرّد بقوله : " والمخففة بوزنها محققة إلا أنّك خففت النبرة ، لأنّك نحوت بها نحو الألف ألا ترى أنّ قوله :

---

١. سورة البقرة ، آية ١٣ .

٢. سورة الحجّ ، آية ٦٥ .

٣. سورة البقرة ، آية ٣١ .

٤. الخصائص ، ١٤٣/٣ .

٥. كتاب سيبويه ، ١٦٨/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أان رأت رجلاً أعشى أضرّ به

في وزنها لو حققت فقلت : أأن ، وتحقيقها إذا التقتا رديء جداً ، ولكنّي ذكرته لأمثل لك " [1].

وليس التخفيف الحاصل في اجتماع الهمزتين لغة أهل التخفيف وحدهم ، بل هو لغة أهل التحقيق أيضاً أو لغة العرب جميعاً ، ومن هذا المنطلق قال سيبويه : " واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فإنّ أهل التحقيق يخففون إحداهما و يستثقلون تحقيقها كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة ، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا ، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة وهو قول أبي عمرو ، وذلك قولك : " فقد جا أشراطها " [2] ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة سمعنا ذلك من العرب وهو قولك : " فقد جاء اشراطها " وقال:

كل غرّاء اذا ما برزت تُرهَب العين عليها والحسد

سمعنا من يوثق به من العرب ينشد هكذا ، وكان الخليل يستحب هذا القول " [3].

إنّ في هذه الأقوال إشارات واضحة إلى أنّ الطبيعة الإنسانية تلتقي في مواطن كثيرة ، فالإحساس بالصعوبة كان طابعاً مشتركاً في اللهجات العربية ، ومن هنا كان التسهيل نتيجة لهذا الإحساس ، فبنو تميم أهل التحقيق في الهمزة الواحدة يلجؤون إلى إدخال ألف بين الهمزتين من أجل التوصل إلى النطق بهما ، وقد شاركهم في هذا أهل

---

١. المقتضب ، ١٥٥/١ ، ١٥٦ ، وانظر : الكتاب ، ٥٥٠/٣ . وتمام البيت ... ريب المنون ودهر خائن قبل . والبيت من البسيط ، وهو للأعشى في ديوانه ص١٠٧ ، ومقاييس اللغة ، ٣٦٣/١ ، ومجمل اللغة ، ٣٤٤/١ ، وبلا نسبة في كتاب العين ، ١٢٤/٨ . (انظر : المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربيّة . أميل يعقوب ١٨٠/٦) .

٢. سورة محمد ــ آية ١٨ .

٣. الكتاب ، ٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ . والبيت من الرمل ، وهو بلا نسبة في شرح المفصّل ، ١١٨/٩ ، والكتاب ، ٥٤٩/٣ ، ٥٥١ ، والشاهد فيه قوله "إذا" حيث خففت همزتها فقرئت بين بين (انظر : المعجم المفصل لشواهد النحو الشعريّة . أميل يعقوب ، ١١٨/١) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحجاز أيضاً ، فعلى الرغم من الفوارق بين اللهجتين إلا أنّ الإحساس بالثقل شيء يشترك به الناس جميعهم ، ولذا خلت كثير من اللغات من صوت الهمزة .

وبالرغم من هذا فإنّ هنالك فارقاً في الثقل بين اجتماع الهمزتين في كلمة أو التقاؤهما في كلمتين ، فالاجتماع ضرورة لابد منها في كلمة واحدة لأنّه لا يوجد ما يسمى بالفصل في الكلمة الواحدة ومن هنا جاءت حتمية البدل الصوتي ، فقالوا : " واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بدّ من بدل الآخر ، ولا تخفف " [1] ، في حين أنّ الالتقاء بين الهمزتين في كلمتين لا يكون إلا في حال الوصل فهو أمر عارض ، وأقل وطأة في حال الفصل ، فكان التقاؤهما في حال الوصل أشبه ما يكون بوجودهما في كلمة واحدة ، ومن هما جاء الثقل فقالوا : " وإذا كانت الهمزتان في كلمتين فإنّ كل واحدة منهما قد تجري في الكلام ولا تلزق بهمزتها همزة ، فلما كانتا لا تفارقان الكلمة كانتا أثقل فأبدلوا من إحداهما ولم يجعلوهما في الاسم الواحد والكلمة الواحدة بمنزلتهما في كلمتين " [2] ، فالفرق البسيط بين وجودهما في كلمة أو في كلمتين هو أنّه واجب التخفيف في الكلمة الواحدة ويكون هذا التخفيف بإبدال الهمزة الثانية تبعاً لنوع الحركة أمّا وجودهما في كلمتين ، فيحتمل التحقيق أو التخفيف مع رداءة وضعف التحقيق ، وليس للتخفيف طريقة محدّدة ، ويكون ذلك في الهمزتين الأولى والثانية .

إنّ منهج نافع هو التخفيف وذلك للتخلص من الصعوبة في النطق وقد جاء هذا المنهج مطابقاً لما قاله العلماء حول جوانب التخفيف : " فكان نافع إذا التقتا في كلمتين مرفوعتين مثل " أولياءُ أُلئك " [3] ، حوّل الأولى إلى الواو وهمز الثانية ، وإذا التقتا في كلمتين مكسورتين مثل " هؤلاءِ إن كنتم " [4] حوّل الأولى إلى ياء وهمز الثانية ، وإذا التقتا منصوبتين مثل " جاءَ أحدكم" [5] ، ترك الأولى ومدّ الثانية وخلف الأولى بألف

---

١. المرجع السابق ، ٥٥٢/٣ .
٢. المرجع السابق ، ٥٥٢/٣ .
٣. سورة الأحقاف ، آية ٣٢ .
٤. سورة البقرة ، آية ٣١ .
٥. سورة المؤمنون ، آية ٩٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

...وإذا التقتا مختلفتين همز الأولى وترك الثانية مثل : " السفهاءُ أموالكم " [1] ، و" من في السماءِ أن يخسف " [2] ... وقال ورش : إنّه كان يهمز الأولى من المتفقتين والمختلفتين في القرآن كله ويمدها ويترك الثانية " [3] .

وبعد هذا نعرض لجوانب التخفيف في الهمزتين المتجاورتين في قراءة نافع وهذه الجوانب هي * :

أولاً : الإبدال : وفيه أبدل نافع صوت الهمزة وحوّله إلى صوت علة قصير حتى يتناسب مع عمليات المدّ في المقاطع الصوتية ، ويمكن تقسيم الإبدال في ضوء قراءة نافع إلى :

١. إبدال الهمزة الثانية ألفاً صامتة : ويكون ذلك إذا كانت الهمزتان مفتوحتين ، ويقسم إلى قسمين هما :

أ. إبدال مع إشباع المدّ : وفيه يطول المقطع الصوتيّ ، ليتخلّص من عبء التقاء الساكنين وهما الساكن الناتج عن إبدال الهمزة ألفاً صامتة ، والساكن الواقع بعدها ، فكان طول المقطع ، وإشباع المدّ خلاصاً من ثقل جديد نتج من التقاء ساكنين تشكّل أحدهما نتيجة الفرار من ثقل سابق ، وهو اجتماع الهمزتين ، ففعل ذلك حتى لا يفرّ من ثقل إلى آخر جديد ، وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى : "السفهاءَ أموالكم" [4] ، "تلقاءَ أصحاب" [5] "أأنتم" [6] ، "جاءَ أمر" [7] .

---

١. سورة البقرة ، آية ١٣ .

٢. سورة الملك ، آية ١٦ .

٣. السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، وانظر : حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ٩١ ، ٩٢ .

* لم أفصل بين الهمزتين المتجاورتين في كلمة ، والمتجاورتين في كلمتين لأنّ الفرق بين ما كان في كلمة ، وما كان في كلمتين أنّه في الكلمة واجب التخفيف ، ومن الكلمتين مفضّل التخفيف مع جواز التحقيق .

٤. سورة النساء ، آية ٥ .

٥. سورة الأعراف ، آية ٤٧ .

٦. سورة الفرقان ، آية ١٧ .

٧. سورة غافر ، آية ٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. إبدال بلا مدّ : إذ لم يكن من داعٍ لذلك لأنّ ما بعد الألف المبدلة جاء متحركاً وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى : "جاءَ أحد" [١] ، "أأمنتم" [٢] .

٢. إبدال الهمزة الثانية واواً صامتة متحركة : وهذا الإبدال في قراءة نافع وكما توضحه الأمثلة لا يكون إلا في الهمزتين من كلمتين ، ويتمّ في حالة كون الهمزة الأولى مضمومة دون النظر إلى الهمزة الثانية سواء أكانت مفتوحة أم مضمومة أم مكسورة ، وفي هذا الإبدال الذي تتحول فيه الهمزة الثانية إلى واو خالصة مع بقاء حركة الهمزة الثانية ردّ كاف على من ادّعى وظنّ أنّ الهمزة تبدل حركة ثم تستعين بحركة أخرى كي تقوى على أن تصبح صوت علة صامتاً طويلاً ، وأمثلة هذا النوع كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل قوله تعالى : "السفهاءُ ألا" [٣] ، "يشاءُ إلى" [٤] ،"أولياءُ أُلئك" [٥] ، "النبيُّ إنّا" [٦] .

٣. إبدال الهمزة الثانية ياءً صامتة : ويكون هذا الإبدال إذا كانت الهمزة الأولى مكسورة عند التقاء الهمزتين من كلمتين ، أمّا عند اجتماعهما في كلمة واحدة فيكون الإبدال عندما تكون الثانية مكسورة حيث تتحول الياء المبدلة إلى شكلين كما توضح الأمثلة في قراءة نافع ، وهما :

أ. ياء ساكنة مع إشباع المد للساكنين : وهذا المدّ وسيلة للتخلص من عبء الساكنين ، وهذا يحدث إذا كانت الهمزتان مكسورتين ، وكان ما قبل الأولى حرف مدّ ، وما بعد الثانية حرفاً ساكناً ، ومن أمثلة هذا النوع : "وراءِ إسحاق" [٧] ، "بالسوءِ إلا" [٨]، "البغاءِ إن" [٩] وغيرها .

---

١. سورة النساء ، آية ٤٣ .

٢. سورة الملك ، آية ١٥ .

٣. سورة البقرة ، آية ١٣ .

٤. سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

٥. سورة الأحقاف ، آية ٣٢ .

٦. سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ومعروف أنّ نافعاً قرأ بهمز كلمة النبيّ فتكون "النبيءُ إنّا" .

٧. سورة هود ، آية ٧١ .

٨. سورة يوسف ، آية ٥٣ .

٩. سورة النور ، آية ٣٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب.ياء متحركة بدون مدّ : وهذا النوع من الإبدال يكون فيما كانت همزتاه من كلمة واحدة أو كلمتين ، والأولى مكسورة والثانية مفتوحة أو مضمومة ، وأمثلته : "هؤلاءِ أهدى" [1] ، "بالفحشاءِ أتقولون" [2] ، "أبناءِ أخواتهن" [3] وغيرها .

ثانياً : الحذف : وهذا النوع من أنواع تخفيف الهمزة ينطبق فقط على ما كانت فيه الهمزتان المتجاورتان في كلمتين لا في كلمة واحدة ، حيث يقسم من حيث الحذف إلى:

١. حذف الأولى وتحقيق الثانية : وهذا النوع يقع في حال كون الهمزتين مفتوحتين ، وأمثلة هذا النوع كثيرة نذكر منها قوله تعالى : "جاءَ أحد" [4] ، تلقاءَ أصحاب" [5] ، شاءَ أن" [6] ، وغيرها .

٢. تحقيق الأولى وحذف الثانية : ويكون في الهمزتين المكسورتين ، ومثال ذلك قوله تعالى : "هؤلاءِ إن" [7].

ثالثاً : التسهيل : وهذا النوع من التخفيف لم يبلغ حدّ البدل ، وإنّما يكون بتقريب الصوت من الألف أو الواو أو الياء ، ويقسم إلى :

١. تسهيل الهمزة الأولى : ويأتي حسب منهج نافع في قراءة الهمزتين المجتمعتين على النحو الآتي :

أ. تسهيل الهمزة الأولى كالألف ، أي أنّ هنالك صفة للهمزة ماثلة بعد اختفاء صوت الهمزة ، وهو ما يشبه الفاصل الدقيق في الانتقال إلى الصوت المسهّل ، ويمكن تشبيه هذا الفاصل الدقيق في ابتداء اللغة الإنجليزية بالساكن نحو

---

١. سورة النساء ، آية ٥١ .
٢. سورة الأعراف ، آية ٢٨ .
٣. سورة الأحزاب ، آية ٥٥ .
٤. سورة النساء ، آية ٤٣ .
٥. سورة الأعراف ، آية ٤٧ .
٦. سورة الفرقان ، آية ٥٧ .
٧. سورة البقرة ، آية ٣١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كلمة (slow) ، حيث يصعب تمييز ماهيّة هذا الصوت ، ومثال ذلك قوله تعالى : "النساءَ ألا" [١] .

ب. تسهيل الهمزة الأولى كالواو : ومثاله قوله تعالى : "أولياءُ أُلئك" [٢] ، وهذه الحالة من عمليات التقريب الصوتي تشبه الحالة السابقة بالنسبة للألف .

ج. تسهيل الهمزة الأولى كالياء ، ومثال ذلك قوله تعالى : "وراءِ إسحاق" [٣] ،وهو شبيه الحالة السابقة من حيث التقريب الصوتي .

٢. تسهيل الهمز الثانية : ويأتي حسب منهج نافع في قراءة الهمزتين المجتمعتين على خمسة أوجه هي :

أ. تسهيل الثانية بين بين : وهذا النوع من التسهيل يعني تقريب صوت الهمزة الثانية من جنس صوت الحركة حيث يكون الصوت مزيجاً متصلاً بين الصوتين لأنّ كل صوت قد تخلّى عن بعض صفاته ، ويبدو أنّ هذا الصوت قد تمّ بهذه الصورة حتى يتوصل القارئ إلى إتمام صوت الحركة القصيرة للهمزة السابقة ، وهي حركة الإعراب أو البناء ، ومثال ذلك قوله تعالى : "جاءَ أحد" [٤] ، "البغضاءَ إلى" [٥] .

ب. التسهيل مع إدخال ألف بينهما : وهذا النوع من التسهيل لا يكون إلا في همزة القطع المسبوقة بهمزة الاستفهام ، ومثال ذلك قوله تعالى : "أأنتم" [٦] ، وغيرها .

ج. التسهيل كالألف : ويكون في الهمزتين المفتوحتين فقط ، ومثاله قوله تعالى : "السماءَ أن" [٧] ، وقوله : "أأشفقتم" [٨] .

---

١. سورة النساء ، آية ٢٢ .
٢. سورة الأحقاف ، آية ٣٢ .
٣. سورة هود ، آية ٧١ .
٤. سورة النساء ، آية ٤٣ .
٥. سورة المائدة ، آية ٦٤ .
٦. سورة البقرة ، آية ١٤٠ .
٧. سورة الحج ، آية ٦٥ .
٨. سورة المجادلة ، آية ١٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

د. التسهيل كالياء : ويكون في الهمزتين التي تكون الثانية منهما مكسورة ، ومثاله : "الدعاءَ إذا" [1] ، " الفقراءُ إلى" [2] .

هـ . التسهيل كالواو : ويكون في الهمزتين التي تكون منها الثانية مضمومة ، ومثاله قوله تعالى : "أأُنبئكم" [3] .

يتبيّن لنا مما سبق من أمثلة ، وقواعد منهج الإمام نافع في تسهيل الهمز في الهمزتين المجتمعتين أنّ هذا المنهج قد تمثلت فيها قواعد التخفيف بشتى أنواعها ، وكما هو ملاحظ فانّ وضع قواعد صوتية ثابته شيء يصعب ضبطه ، ذلك أنّ الروايات التي تحدثت عن مذهب نافع في تخفيف الهمزتين جاءت مختلفة ، فنراه يستخدم أكثر من طريقة في التخفيف في الموطن الواحد ، فهو يسهّل إحدى الهمزتين مرّة ويدخل ألفاً بينهما مرّة أخرى ويبدل الثانية صوت علة خالصاً مرّة ثالثة ، وغير ذلك إلى جانب أنّ هنالك قواعد يمكن القياس عليها ولكنّها تبقى محدودة ؛ لأنّ منهج العرب في التخلص من ثقل الهمزتين كان مضطرباً أيضاً ، وقد يرجع هذا الاضطراب إلى فوارق البنية الصرفية في بعض الأحيان ، ومن ذلك : " ذكر أبو بكر بن مجاهد في كتابه عن أبي عبد الرحمن اليزيدي * عن أبيه قال : " لقيني الخليل بن أحمد في حياة أبي عمرو وقال لي : لم قرأ " أؤلقي الذكر" [4] ، و " أؤنزل " [5] ، ولم يقرأ " أؤنبئكم" [6] ، قال : فلم أدرِ ما أقول له ، فرحت إلى أبي عمرو فذكرت له ما قال الخليل ، فقال : فإذا لقيته فأخبره أنّ هذا من "نبّأت" وليس "أنبأت" ، قال : " فلقيته فأخبرته بقول أبي عمرو

---

١. سورة الأنبياء ، آية ٤٥ .

٢. سورة فاطر ، آية ١٥ .

٣. سورة آل عمران ، آية ٢٠ .

* هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الإمام الكبير ، أحد المجتهدين الأعلام ، أخذ القراءة عرضاً على أبي عمرو بن العلاء ، ووردت عنه الرواية في حروف القرآن ، توفي سنة ١٨١هـ . (انظر : وفيات الأعيان . ابن خلكان ، ٣٢/٣) .

٤. سورة القمر ، آية ٢٥ .

٥. سورة ص ، آية ٨ .

٦. سورة آل عمران ، آية ١٥ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فسكت " [1] ، وقد قرأ نافع هذا بهمزة واحدة مطولة ، والأصل في هذا الهمز بالاثنتين ، ثم زاد الألف الفاصلة بينهما ليبعد المثل عن المثل ويزول الاجتماع ، فهذا الاختلاف مردّه إلى اختلاف البنية الصرفية بين نبّأ وأنبأ . وقد لا يكون مرجع ذلك إلى البنية الصرفية ، وإنّما يعود إلى لهجات عربية ، ومناهج متعددة في عمليات التخفيف الصوتي ، ومن هنا سكت الخليل عن التعليق على ما وصله من رأي أبي عمرو بن العلاء .

إنّ الشاهد الواحد قد يرد فيه وجوه متعددة من طرق التسهيل ، ومن ذلك أنّ قوله تعالى : " أإن ذكّرتم " [2] ، قد ورد فيه وجوه عدة من التخفيف يقول النحاس :" قرأ أهل المدينة :" أينْ ذكّرتم " بتخفيف الهمزة الثانية ، وقرأ أهل الكوفة " أإنْ " بتحقيق الهمزتين ، والوجه الثالث : "أاإنْ" بهمزتين بينهما ألف ، أدخلت الألف كراهة الجمع بين الهمزتين ، والوجه الرابع " أاإن " بهمزة بعدها ألف وبعد الألف همزة مخففة والقراءة الخامسة " أإنْ ذكرتم " بهمزتين إلا أن الثانية همزة مخففة ... " [3] وقد ذكر النحاس أيضاً وجوهاً أكثر من أنواع التخفيف فها هو يعدد وجوه القراءة في قوله تعالى : "أأنذرتهم" [4] ،فيقول : "فيه ثمانية أوجه : أجودها عند الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية وتحقيق الأولى وهي لغة قريش وسعد بن بكر وكنانة وهي قراءة أهل المدينة وأبي عمرو والأعمش "أانذرتهم" ... " [5] .

إنّ هذه القوانين الصوتيّة سمعت عن العرب لكنّ قواعد تطبيقها تبقى في حدود وقيود ، فتقتصر في القرآن والقراءات على السماع لا القياس ، فمن المعروف أنّ القاعدة الصوتية في تخفيف الهمزتين المجتمعتين في كلمة هو بإبدال الثانية لكنّنا نجد أنّ بعضاً من علماء اللغة يعترض على بعض الشواهد في القراءات ومن ذلك قال أبو

---

١. حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٥٧ .

٢. سورة يس ، آية ١٩ .

٣. إعراب القرآن ، ٧١٤/٢ .

٤. سورة البقرة ، آية ٦ .

٥. إعراب القرآن . النحاس ، ١٣٤/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حيان : " أأنذرتهم" بتحقيق الهمزتين وهي لغة تميم ... ، وبإبدال الثانية ألفاً ، وقد أنكره الزمخشري وزعم أنّه لحن " [1]

كما أنّ المنهج الصوتي عند نافع في تسهيل الهمزة قد جاء مخالفاً أحياناً لبعض القواعد التي رسمها علماء اللغة ، فالأصول يمكن ضبطها لكنّ الفروع تتشعب ويستحيل السيطرة عليها ، ومن ذلك أنّ قانون تسهيل الهمزتين في كلمة واحدة هو الإبدال مطلقاً للهمزة الثانية ، لكنّ نافعاً قرأ بخلاف ذلك أحياناً ، ومن ذلك قولة تعالى: " أإنّكم" [2] ، فهي تقرأ " بهمزتين على الأصل ، وإن خففت الثانية قلت : أينّكم ، وروى الأصمعي عن أبي عمرو ونافع " أاإنكم " وهذه لغة معروفة " [3] ، وفي موضع آخر قرأ " أاينكم " [4] ، ممدوداً بهمزة واحدة " [5] ، " وهو اختيار الخليل وسيبويه رحمهما الله " [6] .

إنّ موقف العلماء حيال التسهيل جاء مقبولاً لكنّهم تشددوا في عدم جواز همز ما كان أصله التسهيل ، ومن ذلك رفضهم لعدم اجتماع الهمزتين في كلمة إلا أن تكونا عينين نحو جئار وسئار ، ومن أمثلة هذا الرفض قوله تعالى : " أئمة " على تحقيق الهمزتين ، وهى قراءة عاصم وأهل الكوفة ، فقال النحاس :" والكوفيون يقرؤون " أئمة " وهو لحن عند جميع النحويين لأنّه جمع بين همزتين في كلمة واحدة ، وهو من دقيق النحو ، وشرحه أنّ الأصل " أأْمِمَة " ثم ألقيت حركة الميم الأولى على الهمزة ، وأدغمت الميم في الميم ، وخففت الهمزة لئلا تجتمع همزتان ، والجمع بين همزتين في حرفين بعيد ، فأمّا في حرف واحد فلا يجوز البتة " [7] ، وقد عدّ ابن جني ذلك من

---

١. البحر المحيط . أبو حيان ، ٤٥/١ .
٢. سورة الأنعام ، آية ١٩ .
٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ٥٣٩/١ .
٤. سورة النمل ، آية ٥٥ .
٥. السبعة . ابن مجاهد ، ص٤٨٤ .
٦. إعراب القرآن . النحاس ، ٥٢٩/٢ .
٧. المرجع السابق ، ٦١٥/٢ ، ٦١٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الشواذ فقال : " ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي "أئمة" بالتحقيق فيهما " [1] ، إلا أنّ الأخفش قد أجاز الهمز فيها فقال : " ومن كان في رأيه جمع الهمزتين همز " [2] .

إن كان التحقيق في رأي من لحّن القارئين الأئمة أمراً مخالفاً للقياس ، فإنّ في شيوع اللفظ على ألسنة الثقات من أهل العلم بالعربية كالكسائي وجوب لقبوله ، واعتباره وجهاً ولو كان ضعيفاً لأنّ الوجه إن كان ضعيفاً لا يعني أنّه مرفوض ، بل هو من الفروع فمثلما كان يجنح بعض العرب إلى التخفيف كان آخرون ميّالين إلى التحقيق ، والذي يبدو من علماء اللغة في إصدارهم مثل هذه الأحكام هو حرصهم الشديد على صون لفظ القرآن ، وأمانتهم التي تجعل من أحدهم أن يجعل حتى من نفسه محلاً للشكّ ، وعدم الثقة إذا تعلق الأمر في قراءة القرآن الكريم ، ودليل ذلك أنّ مثل هذه الأحكام جاءت متفاوتة في درجة الرفض .

وعموماً فإنّ قراءة نافع جاءت بإبدال الهمزة الثانية ياءً " أيمّة " على الأصل الذي أشار إليه العلماء ، ويكون أئمة بالتحقيق لأنّها جاءت على لسان الثقات هي فرع على الأصل ويبدو من شيوعها على الألسنة رغم مخالفتها للقاعدة دليل على أصالتها في اللغة خاصة أنّ هذه القراءة جاءت على لسان من يوثق بأمانته وعلمه فهذا خير الوثائق لتأكيد أصالتها في اللغة وإن كانت فرعاً على الأصل .

وفي ختام هذا الموضوع أضع تساؤلاً في ذاته الجواب وهو : بمن نثق إن كان نافع قد لحن في قراءة "معائش" بالهمز ، ووصف بالجهل في العربية ، وقبلت قراءة حمزة بعدم الهمز فيها من جهة في حين أنّ عاصماً رفضت قراءته "أئمة" بتحقيق الهمزتين ، وعدّت لحناً مع العلم أنّ كلاً منهما إمام قد علّم القرآن عمراً طويلاً ، وأصرّ على هذه القراءة ؟! .

---

١. الخصائص . ابن جني ، ١٤٣/٣ .

٢. معاني القرآن . الأخفش ، ٣٢٨/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثاني

الإدغام الأصغر

المقصود بالإدغام الأصغر هنا : تقريب الصوت من الصوت وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك وهو على أنواع منها : الإمالة ، والإشمام ، والروم حيث سنتناولها جميعاً في هذا المبحث في ضوء قراءة الإمام نافع:

أولاً : الإمالة

الإمالة لغة من ميل قال ابن فارس : " الميم والياء واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف الشيء إلى جانب منه ، مال يميل ميلاً " [1] والميل : العدول إلى الشيء والإقبال عليه " [2] .

أمّا في الاصطلاح : فهي " أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء وهي لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس " [3] وهي " عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين الياء ، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة ، وبحسب بعده تكون خفتها ، والتفخيم هو الأصل والإمالة طارئة " [4] .

---

١. معجم مقاييس اللغة ، مادة "ميل" .

٢. لسان العرب ، مادة "ميل" .

٣. النشر في القراءات العشر . ابن الجزري ، ٢/٢٩ .

٤. شرح المفصل . ابن يعيش ، ٩/٥٤ . والمقصود بالتفخيم هنا هو الفتح ؛ أي عدم الإمالة ، ويطلق عليه النصب أحياناً .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ هذا المنهج الصوتيّ في اللغة لم يأتِ من فراغ ، فالإمالة لم تدخل الكلام إلا " طلباً للتشاكل لئلا تختلف الأصوات فتتنافر " [1] ، فالدافع الصوتي نحو الانسجام كان من أبرز عوامل ظهور هذه الظاهرة في اللغة العربية إلا أنّ هذه الظاهرة أخذت تتحو منحى آخر وهو الدافع الصرفي في الدلالة على الأصل اللغوي والمادة المعجمية في تمييز الكلمات التي يرجع الأصل في ألفها إلى الواو أو الياء ، فالإمالة تحدد الأصل اليائي والفتح يحدد الأصل الواوي ، وبهذا فإن دراسة الإمالة ، ومحاولة تطبيقها كقراءة في القرآن في ضوء ما وصل إلينا من قراءات متواترة في الإمالة ذات أثر طيب في جعل اللفظ العربي مطابقاً للمعنى تماماً ، فإمالة ما أصله ياء وفتح ما أصله واو من خلال النطق أضفى على اللغة بعداً جمالياً في جعل المعاني أكثر وضوحاً ودلالة ، حيث تمت مطابقة الدال للمدلول في هذا النوع من الألفاظ ، وزاد لدى المتلقي وضوح المعنى ، فهذه الظاهرة في بداية ظهورها كانت لها فائدة صوتية في إضفاء طابع من التخفيف والسهولة والبعد عن التعقيد في اللغة .

وأمّا حكم الإمالة : " فإنّه وجه جائز فلذا يجوز تفخيم كل ممال لأنّه الأصل " [2] ومهما تعددت أسبابها فإنّها تنصب في هدفين : أحدهما الصرفي : وهو الدلالة على الأصل اللغوي والمادة المعجمية لما كان أصل الألف فيه ياء أصلية أو ياء منقلبة عن واو ومن هنا قال ابن الأنباري : " فإن قيل فلم لم تدخل الإمالة الحروف ؟ قيل : لأنّ الإمالة ضرب من التصرف أو لتدل الألف على أنّ أصلها ياء ، والحروف لا تتصرف ولا تكون ألفها منقلبة عن ياء أو واو " [3] ، ومن هنا فقد حكم على أنّ أصل الألف في الحروف هو الواو ، قال ابن جني : " ولمّا لم يكن لهذه الألفات أصل ترد إليه إذا حركت ولم تكن الإمالة مسموعة فيها حكم عليها بالواو ، فقلبت إليها عند الحاجة إلى تحريكها " [4] ، والآخر الصوتي : وهو الميل إلى الانسجام الصوتي ، وهذا يأتي في

---

١. أسرار العربية . ابن الأنباري ، أبو البركات ، ٣٥٠/١ ، تحقيق : محمد البيطار ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٥٧ .

٢. شرح التصريح . الأزهريّ ، ٣٤٦/٢ .

٣. أسرار العربية . ابن الأنباري ، ٣٥١/١ .

٤. سرّ صناعة الإعراب . ابن جني ، ٨٧/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حالة قرب الكسرة أو الياء من الألف " وذلك أنّ الألف والياء وإن تقاربا في وصف قد تباينا من حيث أنّ الألف من حروف الحلق والياء من حروف الفم ، فقاربوا بينهما بأن نحوا بالألف نحو الياء ، ولا يمكن أن ينحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة ، فيحصل بذلك التناسب الصوتي ، ونظير ذلك اجتماع الصاد والدال ، والسين والدال ، فإنّ كلاً من الصاد والسين يشرب صوت حرف قريب من الدال وهو صوت الزاي " [1] .

والإمالة بهذا المعنى وهذه الأهداف تدل على مدى تحضر أهلها في استخدامهم لمثل هذه الظاهرة بحيث تطابق الألفاظ مدلولاتها تمام المطابقة ، إلا أنّ هذه الظاهرة لم تكن طابعاً لغوياً عند متحدثي اللغة جميعهم ، بل كانت تختص بلغات بعض القبائل يقول الأزهري : " وأمّا أصحابها فتميم وقيس وأسد وعامة نجد ، ولا يميل الحجازيون إلا مواضع قليلة " [2] . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : ما هو السبب في عدم تغلغل هذه الظاهرة ــ على جمالياتها ــ في لغة أهل الحجاز الميالين إلى التخفيف والانسجام الصوتي على نحو ما رأينا في تخفيف الهمزة ؟ والإجابة على هذا السؤال ربما تكون في حداثة هذه الظاهرة بحيث أنّ الفترة الزمنية بين ظهور هذه الظاهرة ، وظهور الإسلام كانت قليلة بحيث لم تسمح بانتشارها لتكون طابعاً عاماً في لهجة أخرى كلهجة أهل الحجاز .

وفي ضوء هذا التعريف بالإمالة ، فقد جاءت قراءة نافع ممثلة لقواعد الإمالة الصوتية والصرفية إلا قليلاً ، فالإمالة عنده انقسمت من حيث اختلاف الصوت إلى قسمين هما :

---

١. همع الهوامع . السيوطي ، ١٨٣/٦ .

٢. شرح التصريح . الأزهري ، ٣٤٧/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

القسم الأول : الإمالة الكبرى : وهي الإمالة التامة في العدول بالفتحة إلى الكسرة وبالألف إلى الياء .

القسم الثاني : الإمالة الصغرى : وهي ما يسمى بإمالة بين بين أو ما يطلق عليه بمصطلح التقليل وهذا النوع من الإمالة يأتي الصوت فيه مشتركاً حاملاً لخصائص الصوتين فلا يمكن للسامع أن يجزم تمام الجزم أهو ياء أم ألف أو كسرة أم فتحة ؟ وفيها قال ابن جني : " وأمّا الإمالة التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عَالم وخَاتم : عِالم وخِاتم " [1].

القسم الأول : الإمالة الكبرى

في الجدول التالي بيان لشواهد الإمالة الكبرى في قراءة نافع :

الإمالة تبعاً لضرورة الانسجام الصوتي				الإمالة الدالة على الأصل اللغوي	
الألف المسبوقة بكسرة	الألف المتبوعة بكسرة	الألف المسبوقة بياء	الكسرة العارضة	ألفه منقلبة عن واو أصلية	ألفه منقلبة عن واو غير أصلية
الإبكار حِمار دِيار ذِكرى سِيماهم	كل اسم على وزن فاعل ومفاعل فاؤه ليست حرف استعلاء نحو : كافِر ، حاكِم حاسِد ، ناظِر سائِق ، مساكِن منازِل	الدنيا الحوايا العليا رؤيا يحيى خطايا أيامى محياي	أبصارِ ، النهار جبارين ، دارِ أحبارِ ، مقدارِ أوبارِ ، أشعارِ أدبارِ ، الفجارِ أقطارِ ، أسرارِ أبرارِ ، النارِ آثارِ	استوى ، سوّى ، أبى تلقّى ، تهوى ، قضى هدى ، قضى ، سعى ترضى ، جاء ، شاء ولّى ، اشترى ، اتقى آتى ، اقتدى ، أرى أوفى ، يؤتى ، كفى مأوى ، يتوفى ، ألقى مرضاته ، وغيرها	اعتدى اصطفى تعالى مسمّى أزكى مرساها أدنى تتلى

[1]. سرّ صناعة الإعراب . ابن جني ، ١/٥٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أمال نافع من الأسماء الأعجمية : عيسى وموسى ، ومن الحروف : يا ،بلى ، ومن الأفعال الجامدة : عسى ، ومن الأسماء غير المتمكنة : متى ، أنى ، كما أمال ما كان على وزن فُعلى ، فَعلى نحو : مَوتى ، قُربى ، تَقوى ، بُشرى ، أُنثى ، أُخـــرى ، حُسنى ، أُولى ، نَجوى ، دَعوى ، سَلوى ، سُفلى ، عُليا ، أو وزن فَعالى ، فُعالى نحو: نَصارى ، سُكارى ، كُسالى ، فُرادى ، حَوايا ، أُيامى .

وأمّا الذي لم يملْه نافع مع جواز الإمالة فيه فهو ما كان على وزن فاعل مما كانت الراء فيه عيناً وفاؤه حرف استعلاء نحو : طارِد ، طارِق ، غارِم ، قارِعة ، فـــالراء المكسورة هنا قد عملت على تقوية الإمالة ، فصوت الراء " إذا وقفـــت عليـــه رأيـــت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير ، ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين " [1] .

كذلك لم يمل نافع ما قبل تاء التأنيث عند الوقف نحو : " طاقة ، الحاقة ، غلظة ، الصاخة ، شاخصة ، بازغة ، بعوضة ، مكة ، فاكهة ، فطرة ، خطيئـــة ،... مـــع أنّ سيبويه سمع العرب " يقولون : ضربتة ضربة ، وأخذته أخذة ، شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف " [2] وقال مكي : " وهذه الإمالة في ذلك الحرف علـــى ألسنة مولدي البصرة والكوفة اليوم " [3] ، والاختيار فتح ما قبل هاء التأنيث ؛ لأنّهـــا كسائر الحروف ، ولأنّ الوقف عارض ، ولأنّه الأصل ، ولأنّ القرّاء أجمعوا عليه غير الكسائي " [4] ، إلا أنّ نافعاً أمال ما قبل تاء التأنيث إذا كان فيها ما يوجب الإمالة نحو : إمالة لفظتي نَقاتِه ومرضاتِه فالكسر العارض من موجبات الإمالة . ولم يرد عن نـــافع أنّه أمال ما كان حرف الاستعلاء فيه ساكناً مسبوقاً بكسر نحـــو : مِصْـــباح وإِصْـــلاح وإِطْعام وإِخْراج ومِقْدار...الخ .

---

١. سرّ صناعة الإعراب . ابن جني ، ٦٣/١ .

٢. كتاب سيبويه ، ٧/٢ .

٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . القيسيّ ، مكّيّ بن أبي طالب (-٤٣٧هـ) ، ٩٩/١ ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤ .

٤. النشر في القراءات العشر . ابن الجزري ، ٧/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وبعد هذاالعرض للمنهج الذي سلكه نافع للإمالة الكبرى نرى للوهلة الأولى اطّراد هذا المنهج ، بحيث أنّ تطبيقه لقواعد الإمالة جاء مخالفاً أحياناً للقواعد التي وضعها النحاة للإمالة ، ومن ذلك عدم إمالة ما كان مكسوراً من حروف الاستعلاء نحو : صِيام ، قِتال . مع أنّ الكسر سبب قوي للإمالة إذ عملت الكسرة على إضعاف المستعلي ، وكذلك عدم إمالته لما كان على وزن فاعل ، وكانت فاؤه حرف استعلاء ، وعينه راء مكسورة نحو : طارِق وغارِم وقارِعة ... ويبدو أنّ نافعاً في هذا لم يعتدّ بالراء الصوت المكرر حتى تكون الكسرة فيه ككسرتين ، بل عامل ما كانت لامه راء كغيره في هذا الباب ، فقد ذكر السيوطي أنّه " لا تجوز الإمالة في نحو : قاعِد وغانِم وصاعِد وطائِف وضامِن وظالِم . إلا أن يكون مكسوراً نحو: غِلاب، أو ساكناً بعد مكسور نحو: مِصْباح، فإنّه تجوز الإمالة" [1] .

إنّ معاملة نافع للراء كغيره من الأصوات ينبع من إدراك بأنّ التكرار الذي في الراء لا يقوى على جعله صوتين متميزين منفصلين لأنّه لو حصل ذلك لوجب عدّه في أوزان الشعر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد يكون هناك سرّ في عملية قوة أو ضعف المستعلي حتى تحصل الإمالة ، فإمالة نافع لما كان مستعلياً بسبب الكسرة العارضة ، نحو: أقطارِ وأبصارِ وقنطارِ ... ، وعدم إمالته بسبب الكسرة الأصلية فيما يخص أمثلة الراء نحو: طارِق وغارِم وقارِعة ... ، جعلنا نرجع النظر في قول ابن جني في اعتبار الكسرة في الراء ككسرتين ونعتبر ذلك شيئاً يحتاج إلى نوع من التوجيه والوصف ، أضف إلى هذا وذاك أنّ الراء تمنع الإمالة في حالة كونها مضمومة ومفتوحة [2] .

إنّ رفض نافع ــ ممثل منهج أهل المدينة اللغويّ ــ لإمالة كلمات نحو: طارِق وغارِم وقارِعة ... مع وجود الكسرة الأصلية دلّل على أنّ أهل الحجاز شعروا بأنّ الاعتداد بالكسرة الأصلية في اعتبارها كسرتين شيء مرفوض ، فلم يميلوا مثل هذه

---

١. همع الهوامع . السيوطيّ ، ١٨٩/٦ .

٢. انظر : شرح المفصّل . ابن يعيش ، ٦١/٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكلمات لأنّ ذلك يخرج الصوتين الصامتين القصيرين من دائرة الاعتبار الصوتي إلى دائرة الاعتبار الصرفي في جعله كالتضعيف ، وتأثيره على بنية الكلمة ، وبالتالي على الوزن الشعري قبل دخول هذه الظاهرة في مجال القراءات ومن هنا قال السيوطي : " ما كانت الكسرة ذاهبة فيه للإدغام أنّه لا تمال ألفه " [١] . في حين أنه في الكسرة العارضة كان السبب إلى الإمالة أقوى ، لأنّ الصوت هنا لا تأثير له يذكر على البنية الصرفية ، والمجال فيه أفسح نحو المدّ مع أنّ المدّ لا يعدّ بحدّ ذاته سبباً كافياً لحدوث الإمالة ، ذلك أنّ نافعاً لم يمل في غير الراء ما كان مستعلياً ، وآخره كسر قابل للمدّ والإطالة في الصوت ، ومن هنا قال ابن خالويه : " فالحجة لمن أماله أنّ للعرب في إمالة ما كانت الراء في آخره مكسورة رغبة ليست في غيرها من الحروف للتكرير الذي فيها ، فلما كانت الكسرة للخفض آخر الاسم ، والألف قبلها مستعلية ، أمال ما قبل الألف لتسهل له الإمالة ، ويكون اللفظ من وجه واحد " [٢] .

إنّ السبب في منع المستعلي من حصول الإمالة هو " لأنّ هذه الحروف تستعلي ، وتتصل بالحنك الأعلى فتجنب الألف إلى الفتح وتمنعه من التسفّل بالإمالة ، وإنّما منعت من الإمالة إذا وقعت مكسورة بعد الألف ، لأنه يؤدي إلى التصعيد بعد الانحدار ، لأن الإمالة تقتضي الانحدار ، وهذه الحروف تقتضي التصعد وذلك صعب ثقيل ، فلذلك منعت من الإمالة ، فإنّك إذا أتيت بالمستعلي مكسوراً أضعفت استعلاءه ، ثم إذا أملت انحدرت بعد تصعد ، والانحدار بعد التصعد سهل خفيف ... ، والحرف المستعلي إذا كان مفتوحاً زاد استعلاءً وامتنعت الإمالة " [٣] .

وبهذا فإنّ السر في إمالة المستعلي لا يكمن في الكسرة أو الكسرتين وحدهما وإنّما السر في صوت الراء ومن هنا لم تكن الإمالة في قادِرِين مع أنّ هناك كسرتين وياء وهو سبب قوي للإمالة ، فهناك أكثر من عامل يجعل المستعلي يتسفّل وهي : التكرير

---

١. همع الهوامع . السيوطي ، ١٩٢/٦ .

٢. الحجة في القراءات . ابن خالويه ، ص٦٧ .

٣. أسرار العربية ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذي في الراء أولاً ، والكسر الطارئ ثانياً ، والمد والإطالة في هـذا الصـوت ثالثـاً وأخيراً ، فكل هذه الأسباب مجتمعة جعلها نافع السبب الأمثل في حصول الإمالة كـون نافع ممثل للهجة أهل المدينة بشكل خاص ، والحجاز بشكل عام وقد عدّت هذه اللهجة هي الأسمى ، والأكثر رقياً وتحضراً من بين اللهجات العربية قاطبة .

ومن هنا كان عدم إمالة نافع للمستعلي المكسور نحو: قِتال وصِـيام وخِفـاف ... وكذلك عدم إمالته لما كان حرف الاستعلاء ساكناً بعد كسر نحو: إصْـلاح ومِصْـباح وإطْعام ... مع إجازة النحاة لإمالة مثل هذا ــ دليلاً واضحاً على رفض وجود سـبب واحد في إمالة المستعلي بل يجب اجتماع الأسباب لحصول الإمالة كلغة أقوى ، وبهذا يكون منهج نافع في هذه الظاهرة عدم إمالة المستعلي إلا إذا اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي :

١. أن يكون بعد الألف المسبوقة بحرف الاستعلاء راء .
٢. أن تكون الراء مكسورة كسراً طارئاً .
٣. أن تكون الراء في وضع يسمح لها بالمد والإطالة بحيث يحقق التكرير غايته.

أمّا ما أماله نافع وتطابق مع القواعد التي ذكرها النحاة للإمالة ، فنبـدأ أولاً مـع الإمالة بدافع الأصل اللغويّ حيث أنّ مقياس القوة في هذا النوع يتدرج حسـب عـدد الأسباب في اللفظة الواحدة ، فالألفاظ نحو: جاء وشاء وساء فيها أكثر من سبب للإمالة ، ومن هنا قال مكي القيسي : " وهذه الأفعال يفضل بعضها بعضاً في قوة الإمالة فيها ، فأقواها جاء وشاء وذلك أنّ فيها أربع علل تقوى الإمالة بها إحداها : أنّ الأول ينكسر عند الإخبار في قولك : "جئت ، وشئت " ، والثانية : أنّ الألف التي هي عين الفعـل الممالة ، أصلها الياء فيهما ، والثالثة : أنّ الهمزة في آخرها تشبه الألف لأنّها أختها في قرب المخرج ، وفي أنّها تبدل الهمزة كثيرا ًفصار كأنّ في آخرها ألفاً ، فقويت الإمالة لذلك ، والرابعة : أنّ العين في المستقبل فيهما مكسورة فأميلت الألف في الماضـي ، لتدل على كسرة العين في المستقبل ، كما أميل "خاف" بكسر الخاء في الإخبار ، فهـي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إمالة الشيء مقدر في الكلام فيهما " [1] ، ثم يليه في القوة ما كان منقلباً عن ياء أصلية محولاً إلى المبني للمجهول وذلك لقرب دلالته من الفعل المضارع نحو : يقضي ، يؤتي ، ثم ما كان منقلباً عن ياء أصلية لم يحول للمجهول نحو : ألقى ، اشترى ، أتى ، اقتدى ، وصّى ، ثم الأقل درجة في سبب ما كان في الأصل منقلباً عن واو ، وكان الرابط بينهما قلب الواو إلى الياء ثم إلى ألف نحو : أدنى ، فالأصل دنا والمضارع يدنو واسم التفضيل منه أدنى ، واصطفى فالأصل صفا والمضارع يصفو والمزيد اصطفى ، يصطفي ، فانقلبت الألف عن ياء منقلبة عن واو فكانت أقل أسباب الإمالة .

إنّ كثرة الأسباب وقلتها في الإمالة لا تتعدى الأثر الصرفي إلى الصوتي ، فعندما تبين أسباب الإمالة مجتمعة أو منفردة ، فإنّ فيها وصفاً لمراحل الاشتقاق التي مرت بها اللفظة ولا يعني أنّ هنالك اختلافاً صوتياً أو درجات صوتية متفاوتة في قضية الإمالة ، فالإمالة مهما تعددت الأسباب ، فهي واحدة .

ومن أمثلة الإمالة التي سنقف عندها مما كان سبب الإمالة فيه الأصل اللغوي الكلمات التالية :

١. كلمة "ترى" في قوله تعالى : " فانظر ماذا ترى " [2] ، قرأها نافع بالإمالة ليدلل على الأصل اللغوي بالإضافة إلى المعنى ، فكلمة ترى لها مدلولان : الأول : رؤية العين وهي على الحقيقة ، والثاني : الرؤية المجازية أي الفهم والإدراك ، فنافع أمال منها ما يؤدي إلى المعنى الثاني ، وفخم ما كان في المعنى الأول ، ومن هنا أنكر أبو عبيد قراءة أهل الكوفة إلا عاصماً " فانظر ماذا تُرِي " بضم التاء وكسر الراء ، فقال : " إنّما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال أبو حاتم " [3] .

---

١. الكشف عن وجوه القراءات . مكّيّ القيسيّ ، ١/١٧٥ .

٢. سورة الصافات ، آية ١٠٢ .

٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢/٧٦٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. قوله تعالى : " استوى " أينما وردت ، فقد اخترت هذه اللفظة لأدلل على اطّراد المنهج في الإمالة في قراءة نافع الذي مثّل عموماً للهجة أهل الحجاز ، حيث ذكر النحاس فيما يتعلق بهذه اللفظة أنّ " أهل الحجاز يفخّمون وأهل نجد يميلون ليُدِلّوا على أنّه من ذوات الياء " [١] ، وهذه الأمثلة وغيرها خير شاهد على صدق القراءة وتواترها .

٣. قوله تعالى : " فأحياكم " ، ولفظة "أحيا " أينما وردت ، فهذه اللفظة مما اجتمع فيها أكثر من سبب للإمالة الكبرى ، فهنالك سببان هما الأصل اللغوي في انقلاب الألف عن ياء أصلية ، والثاني أنّ الألف مسبوقة بياء وهو سبب قوي للإمالة ، وعلى الرغم من هذا فقد كان نافع يقرأ ذلك كله بين الإمالة والتفخيم " [٢] ، والسرّ في هذا تحدث عنه ابن خالويه فقال : " وإنّما ذكرت هذا الحرف لأنّ حمزة يميل أمثاله إذا كانت قبله الواو ، ولا يميله مع الفاء ، والحجة في ذلك : أنّه فرّق بين المتصل والمنفصل لخفة أحدهما وثقل الآخر ، وعلته في ذلك : أنّ الثقل واقع في اللفظ لا في اللحظ ، واللفظ بهذين الحرفين واحد فمن استعمل وجهاً مع أحدهما لزمه استعماله مع الآخر أيضاً " [٣] ، وهذا يدلل على أنّ نافعاً في هذه اللفظة اختار حلاً وسطاً ، وهو إمالة بين بين لوجود أسباب الإمالة في التنبيه على الأصل اللغويّ وهو القضية الأهم في الإمالة ، بالإضافة إلى مراعاة قضية ثقل اللفظ الذي أشار إليه ابن خالويه .

وقد يظنّ أحد أنّ السبب في الإمالة هو للتفريق في رسم الألف لما كان منقلباً عن ياء أو منقلباً عن واو ، وهذا رأي غير صحيح ، ذلك أنّه لو اتبعنا مثل هذه القاعدة للتدليل على الرسم لاختلط علينا الأمر أكثر مما لو رجعنا إلى الأصل اللغوي في كل لفظة ، وفي هذا قال النحاس : " والأصل في رأى قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ،

---

١. المرجع السابق ، ١/١٥٦ .

٢. السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٥٠ .

٣. الحجّة في القراءات ، ابن خالويه ، ص ٧٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولهذا زعم الكوفيون أنّ رأى تكتب بالياء واتبعهم في هذا بعض البصريين ... " [١] ، ومن هنا قال أحد نحاة البصرة وهو أبو العباس المبرّد : " ولو وجب أن تكتب ذوات الياء بالياء لوجب أن تكتب ذوات الواو بالواو ، وهم يناقضون فيكتبون رمى بالياء ورماه بالألف ، فإن كانت العلة أنّه من ذوات الياء وجب أن يكتبوا رماه بالياء " [٢] ، وهو في هذا يشير بطريقة غير مباشرة إلى أنّ الصوت دلل على الأصل دون داعٍ لاختلاف الرسم الكتابي ، وهذا خير دليل على أنّ الهدف من وراء الإمالة القضية الصوتية مع عدم إهمال الجانب الصرفي كون الأصل اللغوي يعدّ سبباً لحدوث الإمالة.

أمّا بالنسبة لإمالة الحروف فإنّ الإمالة لا تدخلها ، وذلك " لأنّ الإمالة ضرب من التصرف أو لتدل الألف على أنّ أصلها ياء ، والحروف لا تتصرف ولا تكون ألفها منقلبة عن ياء ولا واو " [٣] ومع ذلك فإنّ نافعاً قد أمال حرفين هما حرف الجواب " بلى " وفيها قيل " أمّا بلى فإنّما أميلت لأنّها أغنت غناء الجملة " [٤] ، والحرف الآخر وهو " يا " النداء ، وفيها قيل : " أمّا "يا" في النداء فإنّما أميلت لأنّها قامت مقام الفعل فجازت إمالتها كالفعل " [٥] ، فالسبب الذي أدّى إلى إمالتها هو المعنى الذي أدّته ومن هنا استدل البصريون على أنّ العامل في نصب الاسم الذي بعد "يا" هو "يا" نفسها وذلك لأنّها شبهت بالفعل أنادي بدليل إمالتها ، وكذلك الأمر بالنسبة ل "بلى" " فإنّها تنوب عن الجملة في الجواب ، فصار لها بذلك مزية على غيرها " [٦] ، غير أنّ نافعاً لم يمل حرف الجواب "لا" رغم دلالته على الجملة ، ونيابته عنها ، فعلى ما يبدو أنّ نافعاً لم يعتدّ بهذه الكلمة لأنّها مكونة من حرفين ، فلم تشبه الأفعال والأسماء كما هو الحال في "بلى" ، واختلفت عن "يا" في أنّ "يا" وإن كانت من حرفين إلا أنّ عملها في الاسم الذي

---

١. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢٨١/٢ .
٢. المرجع السابق ، ٢٨١/٢ .
٣. أسرار العربية . ابن الأنباريّ ، ٤١٠/١ .
٤. المرجع السابق ، ٤١١/١ .
٥. المرجع السابق ، ٤١١/١ .
٦. همع الهوامع . السيوطيّ ، ١٩٧/٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يليها النصب الذي قوّى من أهميتها فجعلها ذات أثر بعكس "لا" فهي حرف استقل لوحده في الجملة ولا تأثير له في غيره من التراكيب إعرابياً .

وقد أمال نافع " عسى " وهي فعل جامد إلا أنّ الألف هنا شبيهة بالمنقلبة عن ياء ، وهي حسنة الإمالة لأنّك تقول فيها عسيتم كما تقول في رمى رميتم ، كما أمال من الأسماء غير المتمكنة "متى" و "أنّى" ، وهي مما أجازه النحاة للإمالة ، فقال المبرد : " ولكنّ "متى" تمال لأنّها اسم ، وإنّما هي من أسماء الزمان ، ولا يستفهم بها إلا عن وقت " [1] ، فالإمالة جاءت تمييزاً لها في أنّها قد اختصت بالزمان فقط ، وكذلك الأمر بالنسبة ل "أنّى" ، وفيها قال السيوطي : " وإمالة ألفها إنّما هي لشبهها بالألف المشبهة بالألف المنقلبة " [2] ، وهذا غير دقيق فالسيوطي لا يعتدّ بالأسباب المعنوية لحدوث الإمالة حيث أنّه لا شبه بين الألف هنا والألف المنقلبة إلا بالرسم الكتابي ، وهذا لا يعتدّ به سبباً ، ولكنّ السبب في الواقع هو سبب معنويّ في أنّ "أنّى" قد أميلت لأنّها اختصت في الظرفية الزمانية مثل "أين" ، ولا يستفهم بها إلا عن المكان ، فهذه الظروف المختصة إنما أميلت للتدليل على خصوصيتها ، وهذه فائدة جديدة أضفتها الإمالة على الأسماء غير المتمكنة كما هو الشأن في حرفي "يا" النداء ، و "بلى" حرف الجواب.

أمّا وزن فعلى بضم الفاء وفتحها وكسرها ، نحو : بشرى ، قربى ، ذكرى ، تقوى ، أخرى ، حسنى . فقد أميلت " لأنّ الياء تخلف الألف فيها في بعض التصاريف كالتثنية والجمع " [3] نحو : ذكريات وحسنيان وأخريات ، وفي وزن فعالى بضم الفاء وفتحها ، نحو : سكارى ، فرادى ، نصارى ، فإنّ الإمالة فيها كانت بسبب " أنّ الألف تنزل منزلة المنقلبة عن الياء " [4] .في حين أنّ إمالة "عيسى وموسى" من الأسماء الأعجمية حيث أنّ الإمالة في عيسى أقوى من الإمالة في موسى لوجود أسباب الإمالة

---

١. المقتضب . المبرّد ، ٥٢/٣ .

٢. همع الهوامع . السيوطيّ ، ١٩٦/٦ .

٣. شرح التصريح . الأزهريّ ، ٣٤٧/٢ .

٤. أسرار العربية ، ابن الأنباريّ ، ٤٠٧/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في عيسى ، فالكسر والياء سببان قويان لحصول الإمالة ، وأمّا موسى فإنّما أميل على ما يبدو لأنّ هذا الاسم شبه ما أميل من وزن فُعلى ، ومن هنا فإنّ الإمالة لا تحدها قوانين العجمة فهذه المسألة ليس حكراً على الألفاظ العربية .

إنّ قراءة نافع في ضوء هذا المنهج قد سلكت أفضل السبل في الإمالة ، وابتعدت عن كل ما هو شاذ أو ضعيف مع أنّ العرب في لغاتهم كانوا على غير منهج ثابت في الأخذ بالإمالة يقول ابن جني : " واعلم أنّه ليس كلّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ولكنه قد يخالف كلّ واحد من الفريقين صاحبه ، فينصب بعضٌ ما يميل صاحبه ويميل بعضٌ ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكنّ أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر " [1] .

وهذا دليل اضطراب المنهج في اللهجات العربية ، وهذا في الوقت نفسه دليل على أنّ الإمالة جائزة لا وجوب فيها ، فإن شئت أملت في حدود القواعد اللغويّة للإمالة ، وإن شئت تركت ما تجوز إمالته ، ولا أعني هنا القرآن الكريم لأنّ القراءة بما لم يرو عن القراء غير جائزة ولو وافقت وجوه العربية .

القسم الثاني : الإمالة الصغرى:

وهي ما يطلق عليها مصطلحا "التقليل" أو إمالة "بين بين" ، حيث يلفظ الصوت ما بين صوتي الفتح والكسر بحيث إذا سمعته لم تدرِ أهو نطقها بالفتح أم بالكسر أو بالألف أم بالياء ؟ وقد قرأ نافع في ذلك ما كان في ضرورة الانسجام الصوتي والآخر تبعاً لدلالة الأصل اللغوي كما هو موضح في الجدول الآتي :

---

١. الخصائص . ابن جنّي ، ١٢٥/٤ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الانسجام الصوتي	الأصل اللغوي
أسماء الأصوات نحو الراء في " الر " والهاء والياء في "كهيعص" والطاء والهاء في" طه " والطاء في " طسم " والحاء في "حم "	قوافي سورة " طه " : لتشقى ، يخشى ... وقوافي سورة النجم : هوى ، غوى ... وقوافي سورة الضحى : والضحى ، سجى ... وقلل كلمات نحو : التوراة ، الجار ، قرار ، تقاة ، وصوتي الراء والهمزة في " رأى " .

إنّ الأمر هنا يتطلب الكشف عن الأسباب التي دفعت إلى حدوث مثل هذه الحالة الصوتية في هذه المفردات بعينها في ظاهرة الإمالة ، وإنّ مثل هذا الكشف يتطلب تناول هذه المفردات لمحاولة استنتاج وبيان هذه الأسباب .

يمكن وصف هذا اللون من الإمالة بأنّه تحوّل الصامت الطويل إلى صائت قصير وصائت قصير آخر ، حيث ينطق الصائتان بالدرجة نفسها من القوة ، فيخرج الصوت فلا تدري أهو بالألف أم بالياء ؟ مع وجود فاصل دقيق بين الصوتين ، وهذا الفاصل هو نقطة انتقال الصوت من الصائت القصير بالفتح إلى الصائت القصير بالكسر ، ومن هنا كانت تسميته بإمالة بين بين ذلك الوصف الدقيق لهذا النوع من الإمالة .

لقد قلل نافع أسماء الأصوات الدالة على الحروف المحكية المقطعة في فواتح السور نحو : الراء في " الر " والطاء والهاء في " طه " وغيرها تبعاً لضرورة الانسجام الصوتي ، مع أنّه لا أثر للانسجام الصوتي ههنا ذلك أنّه لم يسبق ، ولم يلحق الألف كسرة أو ياء تستدعي مثل هذا الانسجام ، فلا علة تذكر للإمالة ههنا ، فعلى ما يبدو أنّ الدافع وراء الإمالة قضية تتعلق بالمعنى ، وهي أنّ جواز الوقف عليها يحقق فائدة للمعنى ، ومن هنا أودّ أن أشير إلى قضية فقهية لغويّة تخدم هذا السبب الذي ذكرت وهي معنى الحرف في قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا أقول " الم " حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " بأنّ الحرف هو الكلمة ذات المعنى لأنّ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوقف على الألف واللام والميم دلّل على أنّها أسماء ،وبهذا كسبت فائدة في المعنى وهذا يعني أنّ ما سيأتي في هذه الدراسة من اختلاف في البنى الصرفية لا يؤثر في قضية الأجر والثواب نحو قراءة " ملك يوم الدين " و "مالك يوم الدين " [1] ، فملك ومالك كل منهما حرف أي كلمة فلا نقول أنّ الثواب في هذه القراءة هو أقل من تلك ، فهذا يدخلنا في مجال الشك في القراءة ، ولا شك في أنّ الأجر واحد مهما تعددت القراءات ، وازداد أو نقص عدد الحروف في بنية الكلمة .

إنّ السبب في تقليل هذه الأسماء هو عدم وجود سبب ملحوظ لحصول الإمالة كالكسر تبعاً لضرورة الانسجام الصوتي ، ولا هو بالأصل اللغوي ، وإنّما السبب هو سبب معنوي ، فهذه الأسماء قد قلّلت بسبب الوقف عليها لتأدية معنى الاسمية فيها .

أمّا إمالة ألفاظ في فواصل وقوافي السورة ، فهو ينبع من السبب السابق حيث أنّه دمجت في هذه الحالة أسباب لحدوث مثل هذا النوع من الإمالة بالتقليل ، فبالإضافة إلى السبب السابق وهو الوقف كان هناك دافع الانسجام الصوتي ، والإيقاع الموسيقي المعبر في فواصل هذه السور ، فالتقليل حدث في الأفعال هنا إمّا بدافع الأصل اللغويّ أو بدافع الانسجام الصوتيّ ، أمّا الأسماء ، فبالإضافة إلى الأصل اللغوي فهناك دافع آخر ، وهو تمييز ما كان مرفوعاً ومجروراً عما كان منصوباً ، فقد قلّل الصوت في الاسم المرفوع والمجرور دون المنصوب .

أمّا تقليل الألفاظ الأخرى ، فكان لأسباب أخرى ، فمثلاً في تقليل كلمة "تقاة" [2] يقول ابن مجاهد : " غير أنّ نافعاً كانت قراءته بين الفتح والكسر " [3] ، فيبدو أنّ السبب هو أنّ الكلمة كانت في أصلها وِقاة وفيها سببان للإمالة هما كسر الواو والأصل اليائي فعندما أبدلت الواو تاء بقي سبب واحد للإمالة ، ولكنّ نافعاً بتقليله لهذه الكلمة أشار إلى

---

١. سورة الفاتحة ، آية ٤ .

٢. سورة آل عمران ، آية ٢٨ .

٣. السبعة . ابن مجاهد ، ص ٢٠٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قضية الإبدال الصوتي الذي ألغى سبباً قوياً من أسباب الإمالة ، وكذا الأمر في تقليل كلمة التوراة حيث قال مجاهد فيها : " وكان حمزة ونافع يلفظان الراء بين الفتح والكسر ، وكذلك كانا يفعلان بقوله : " مع الأبرار ، من الأشرار ، من قرار " ... " [1] ، فقد ذكر العكبري أنّ أصل التوراة " فوعلة من ورى الزند إذا ظهر منه النار ، فكأنّ التوراة ضياء من الضلال فأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء كما قالوا تولج وأصله وولج ، وأبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها " [2] ، فهي في هذا تكون مثل تقاة في أنّ نافعاً قلل ليدلل على الإبدال الصوتي الناتج عن عملية قلب الواو تاء مع أنّ الواو هنا في توراة ليست مكسورة إلا أنّ إبدالها ألغى كسراً أصلياً ، وهو كسر الراء "وَوْرِية" الأصل للتوراة قبل الإبدال وفي هذا قال ابن خالويه : "ومن قرأ بين ذلك أتى بأعدل اللفظين وقارب بين اللفظين " [3] .

لقد اتبع نافع منهجاً دقيقاً في الأخذ بالإمالة ، حيث لوحظ أنّ ما يأخذه نافع يشكل في حدّ ذاته اللغة المهذبة التي تمسكت بما يخدم اللغة في وضوح المعاني وبيان أصول الألفاظ ومطابقة الدال للمدلول ، بالإضافة إلى الدلالة على الأصل اليائي وكذلك ضرورة الانسجام الصوتي .

ثانيا : الروم و الإشمام

الرّوم بفتح الراء وسكون الواو : " حركة مختلسة مختفاة وهي أكثر من الإشمام لأنّها تسمع " [4] ، أمّا الإشمام : فهو من شم الحروف إذا " أذاقها الضمة أو الكسرة بحيث لا تسمع ولا يفيد بها ولا تكسر وزنا " [5] وجاء في اللسان : " روم الحركة في

---

١. المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

٢. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١٢٣/١ .

٣. الحجة في القراءات . ابن خالوية ، ص ١٠٦ .

٤. القاموس المحيط . الفيروزآبادي ، مادة "روم" .

٥. المرجع السابق ، مادة "شمم" .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوقف على المرفوع والمجرور ، قال سيبويه : أمّا الذين راموا الحركة فإنّه دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال وأن يعلموا أنّ حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال وذلك أراد الذين أشموا إلا أنّ هؤلاء أشد توكيداً قال الجوهري : روم الحركة الذي ذكره سيبويه حركة مختلسة مختفاة لضرب من التخفيف وهي أكثر من الإشمام لأنها تسمع وهي بزنة الحركة وان كانت مختلسة مثل همزة "بين بين" [1] .

أمّا الإشمام : فهو " روم الحرف الساكن بحركة خفيفة لا يعتدّ بها ولا تكسر وزنا ، ألا ترى سيبويه حين أنشد : متى أنام لا يؤرقنيْ الكرى . مجزوم القاف ، قال بعد ذلك : وسمعت من العرب من يشمها الرفع وكأنّه قال : متى أنام غير مؤرق ...ولو اعتددت بحركة الإشمام لانكسر البيت وصار تقطيع رقني الكرى : متفاعلن ، ولا يكون ذلك إلا في الكامل وهذا البيت من الرجز قال الجوهري : وإشمام الحرف : أن تشمّه الضمّة أو الكسرة وهو أقل من روم الحركة لأنّه لا يسمع وإنّما يتبين بحركة الشفة ،قال : ولا يعتد بها حركة لضعفها والحرف الذي فيه الإشمام ساكن أو كالساكن " [2] .

ويذكر الدكتور أحمد علم الدين الجندي تعريفاً دقيقاً شاملاً لمعنى الروم بأنّه قد " عرفه بعض المتقدمين بأنّه : الإتيان ببعض الحركة بحيث يسمعها القريب المصغي دون البعيد ، لأنّها غير تامة وقد نطق به شيخ من مشايخ القراء * أمامي في قوله تعالى : " إياك نعبد وإياك نستعين " فوقف على النون من نستعين وجاء بصوت ضعيف يشبه الضمة وكأنّه اختلسها اختلاساً والفرق بين الحركة في هذه الظاهرة والحركة العادية فرق في الكمية ، فالزمن في نطق الضمة على النون من نستعين في حالة الوقف بالروم أقصر من الضمة العادية المعهودة لنا ويظهر أنّ الباقي من الحركة

---

١. لسان العرب ، مادة "روم" .

٢. المرجع السابق ، مادة "شمم" . والجوهري هو صاحب معجم الصحاح .

* . الشيخ إبراهيم محلاب ، ثقة في الرواية والضبط .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على الحرف أقل من الذاهب " [1] في حين أنّ الإشمام ضم الشفتين والإشارة بهما إلى الحركة بدون صوت فلا يدركه إلا البصير ويختص بالمضموم والمرفوع دون المكسور والمفتوح لأنّ الكسرة من مخرج الياء وكذلك الفتح لأنّه من الألف ، والألف من الحلق فما للإشمام إليها سبيل .

فالإشمام يكون في الرفع دون الجر في حين أنّ الروم يكون في الرفع والجر معاً ، والقراء يخلطون بين الروم والإشمام فيطلقون على الروم في المجرور اسم الإشمام والهدف من وراء هذا التغير الصوتي يكمن في التفرقة بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال ، حيث يتضح سمو هذا الهدف ومدى تحضر أهل هذه اللهجة في اختيارهم حلاً وسطاً وطريقة مثلى تجمع بين التزام التسكين في حال الوقف الذي يكاد يكون طابعاً عاماً لمتحدثي اللغة – من جهة ، والإشارة إلى الصوت الصامت القصير بحركة جسدية لا صوت فيها ، كما أنّك لو حركت رأسك للأعلى أو للأسفل لتخبر من يشاهدك برفضك شيئا ما أو قبولك إياه .

وبما أنّ الإشمام إتيانك بضم شفتيك لا غير من غير صوت لا يفهمه الأعمى بحسه ، لأنّه لرأي العين فإنّه بهذا التصور لا يكون إلا في الأصوات الساكنة نحو إشمام ضمه الدال من " نعبدُ " [2] وإشمام ضمة النون من " تأمنّا " [3] وهي ساكنة لأنّ أول المدغم لا يكون إلا ساكناً ولكن لا يقتصر الإشمام على الساكن ، فقد يقع في المتحرك ، وبهذا يكون في الحقيقة روماً للحركة لأنّه يسمع الصوت معه نحو: " سيئت " [4] و " قيل " [5] وهذا النوع هو إشمام يسمع فهو كالروم .

ويتضح لنا مما سبق :

---

١. اللهجات العربيّة في الميزان . الجندي ، أحمد علم الدين ، ٤٨٥/٢ ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس الغرب ، ١٩٨٣ .

٢. سورة الفاتحة ، آية ٥ .

٣. سورة يوسف ، آية ١١ .

٤. سورة الملك ، آية ٢٧ .

٥. سورة البقرة ، آية ١١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١. أنّ الروم هو عبارة عن حركة مختلسة ، أي أنها أقل من الناحية الكمية من الحركات القصار وهذه الحركة المختلسة تشمل :

أـ الكسرة المختلسة ب ـ الضمة المختلسة ج ـ الفتحة المختلسة

٢. لا يتحقق الروم إلا في حالة الوقف وهذا يبيّن لنا أنّ الكلمة التي يتحقق فيها هذا الجانب تكون في نهاية جملة تامّة المعنى .

٣. بما أنّ هذه الظاهرة ترتبط بأواخر الكلمات المتحركة فهذا يبين لنا أنّ الروم اختلاس لحركة الإعراب في كثير من الحالات وفي حالات أخرى اختلاس لحركة البناء .

٤. أنّ ظاهرة الإشمام تتكون من جانبين هما :

أ – جانب صوتي : وهو عبارة عن تحريك الشفتين للإشارة إلى الضم .

ب – جانب نحوي : يتمثل في وقوع الكلمات التي يتحقق فيها الإشمام في موقع نحوي يقتضي تحريك آخرها بالضم

والروم والإشمام لا يكون في الساكن الأصلي ذلك أن الساكن لا حركة أصلية له فلا يصح فيه الروم أو الإشمام ومثال ذلك لا يجوز الإشمام والروم في قُلْ كقوله تعالى : " قلْ ادعوا " [١] حتى لو كان هناك نقل للحركة الدالة على التقاء الساكنين وكذلك لا يجوز الروم والإشمام في " لقد " حتى لو التقى ساكن آخر واستدعى حركة للتخلص من الساكن كقوله تعالى : " ولقد استهزئ " [٢] وفي هذا وغيره جاءت الحركة عارضة فلا خلاف في منع الإشمام والروم فيها أمّا إن كان الذي أوجب الحركة في الحرف لازماً فالروم والإشمام جائزان فيه في الوقف على " جُزْء ، مِلْء، دِفْء " إذا أُلقيت حركة الهمزة على ما قبلها في قراءة حمزة وهشام . فالروم والإشمام جائزان لأنهما حركة الهمزة وهي تدل عليها فكان الهمز ملفوظ بها " [٣] أي أنّ الحركة تدل على الهمزة المخففة وهي مقدّرة مع ما قبلها منوية مرادة بخلاف ما حرك لساكن في

---

١. سورة الأعراف ، آية ١٩٥ .

٢. سورة الأنعام ، آية ١٠ .

٣. التبصرة في القراءات . القيسيّ ، مكّيّ بن أبي طالب ، ص ١٠٦ ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، ط١ ، المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم ، صفاء ، الكويت ، ١٩٨٥ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كلمة أخرى أو لهمزة في كلمة أخرى نحو قراءة ورش : " وانحر إنّ " [1] فتقف على الراء بالسكون لا غير ، لأنّ الهمزة التي تحركت الراء بحركتها قد انفصلت عمّا قبلها في الوقف ، ففي مثل هذا الوقف كانت الحركة عارضة.

إذن فالفرق بين الروم والإشمام أنّ الأعمى يسمع الروم ولا يسمع الإشمام إذا كان في السواكن لأن الروم حركة ضعيفة ، والإشمام إنما هو ضمّ الشفتين بغير صوت و بينهما فرق آخر وهو أنّ الإشمام يكون في الأوائل والأواسط والأواخر . ألا ترى كيف يُشمّ صوت السين من " سيئت " وهو أوّل ، ويشم النون من " تأمنُا " وهو وسط ، ويُشمُّ الدال من "تعبد " وهو آخر ، ولا يجوز الروم إلا في الأواخر والسواكن ، وبينها فرق آخر وهو أن الإشمام يكون في الساكن والمتحرك ، ولكنّه يسمع في المتحرك نحو "سيئت " لأنه كالإمالة ، والروم لا يكون إلا في الساكن ، أمّا الهدف من وراء هذا المنهج الصوتيّ ، فهو الإشارة إلى أن المراد بذلك هو بيان أنّ لهذه الكلمة أصل حركة مع أنّه في الروم أكثر دلالية على الحركة من الإشمام لأنّ الروم يدركه الأعمى والبصير لأنّه حركة جدّ مخففة أمّا الإشمام فيدركه البصير دون الأعمى " ألا تراك تفصل بين المذكر والمؤنث في قولك في الوقف أنتَ وأنتِ فلولا أنّ هناك صوتاً لما وجدت فصلاً " [2] . والهدف الأخر هو بيان " الفرق بين ما هو متحرك في الوصل وأسكن في الوقف وما هو ساكن على كل حال " [3].

أمّا الحركات التي لا تظهر في أواخر الكلمات . نتيجة الثقل أو التعذر فلا يجوز فيها روم ولا إشمام لأنّهُ أشبه ما تكون بالسواكن لأنّ الصامت الطويل قد أنهى وجودها ، ومن ذلك ما ذكره ابن جني في كلمة " أكمُوْ " حيث قال : " الإشمام في هذه الواو لأنّها كواو يَغْزوْ " [4] .

---

١. سورة الكوثر ، آية ٢،٣ .

٢. الخصائص ، ٢/ ٣٢٨ .

٣. شرح التصريح . الأزهريّ ، ٣٤١/٢ .

٤. الخصائص ، ١٧٩/٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمّا عن السبب في عدم الروم لما كانت حركته الفتحة وعدم الإشمام لما كانت حركته الكسرة والفتحة فيذكر ذلك الشيخ خالد الأزهري بقوله في الروم : " ولا يختص بحركة بعينها بل يجوز في الحركات كلها ويحتاج في الفتحة إلى رياضة لخفة الفتحة وتناول اللسان لها بسرعة خلافاً للفراء الذي منعه إياه أي الروم في الفتحة وأكثر القراء السبعة على اختيار قوله ووافقهم أبو حاتم على المنع لأنّه يشبه الثوباء فيفضي إلى تشويه صورة الضم ... والإشمام يختص بالمضموم ولا يكون في المفتوح والمكسور لأنّ في الإشارة إلى الفتحة والكسرة تشويهاً لهيئة الفم ، وروي الإشمام عن بعض القراء في الجر وحمل ذلك على الروم على اصطلاح بعض الكوفيين " [1] وفي ذلك قال ابن جني : " ألا ترى أنّك لو قلت هذا مَعْنٌ فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم ، فأنت قد تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ، ثم تضم شفتيك ، ولا تقدر على أن تفعل ذلك ، ثم تحرك موضع الألف والياء " [2] .

أمّا عن الإشمام والروم في قراءة نافع فقد روي عن نافع في الإشمام والروم ألفاظ قليلة جداً مما يدلل على أنّ هذا ليس لهجة حجازية وليس من خصائص قراءة أهل المدينة ومن هنا فقد ذكر ابن الجزري بأنّ " الإشمام لغة قيس وعقيل وعدم الإشمام لغة عامة العرب " [3] . ويبدو أنّ هذا الاكتشاف الصوتي ذا الأثر الطيب في التدليل على الأصل اللغوي حيناً أو على حركة البناء والإعراب عند الوقف حيناً آخر أو لبيان حركة الساكن المدغم ــ لم يجد طريقه حتى يكون لهجة عامة أو شبه عامة وإنّما بقيت محصورة وهذه المحدوديّة في استخدام هذا المظهر الصوتيّ دليل على حداثة هذه الظاهر الصوتية عند ظهور الإسلام .

---

١. شرح التصريح . الأزهريّ ، ٣٤١/٢ .

٢. الخصائص ، ١٧١/٤ .

٣. الكشف . ابن الجزريّ ، ٢٢٩/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والألفاظ التي قرأ بها نافع في الإشمام هي : " قِيلَ " [1] و" سِيْءَ " [2] و "سِيْئَتْ " [3] و " مِتُم " [4] ، ومت ومتنا حيث وقعت . وفي هذه جميعا قرأ نافع بإشمام الكسرة الضم وقرأ " تأمنّا " [5] بالإدغام مع إشمام النون الأولى الساكنة الضم ولم يرد عن نافع غير هذه الألفاظ شيئا . ومن الملاحظ أنّ هناك لفظين من ألفاظ المبني للمجهول وهما " قِيل وسِيء " فهذان الفعلان هما من الأفعال التي تكون في المعلوم مضمومة وهو الأصل حيث أنّ الأصل فيها " قُول وسُوِئ " ثم ألقيت حركة الثاني منها على الأول ، فانكسر وحذفت ضمته وسكن الثاني منها ، ورجعت الواو إلى الياء لانكسار ما قبلها وسكونها وهو بهذا أراد أن يبين أنّ أصل أوائلها الضم وهذا من شأن العرب في كثير من كلامها في المحافظة على بقاء ما يدل على الأصل وأيضاً ، ففي الإشمام دليل أكبر على البناء للمجهول منه لو كان مكسوراً ، ولكن كيف يتأتى للقارئ أن يضم شفتيه في حالة كهذه ؟ وما هو شكل وهيئة الإشمام هنا ؟ . من المعلوم أنّ الإشمام يأتي في المضموم دون المكسور ولكنّ الإشمام هنا قد يبدو للعيان أنّه قد وقع في المكسور ولكن في الواقع أنّ الإشمام قد وقع على الأصل المضموم مع بقاء الكلمة على هيئتها الحالية في وجود الياء فصار الإشمام أقرب ما يكون إلى الروم منه إلى الإشمام ، ومن هنا قال ابن الجزري في كيفية نطق ذلك الصوت بأن " نحرك الحرف الأول من كل كلمة بحركة مركبة من حركتين : ضمة وكسرة ، وجزء الضمة مقدم ، وهو الأقل ، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر " [6] ، وقال الأخفش : " يجوز قُيل بضم القاف وبالياء ، وهي لغة كثير من قيس ، فأمّا هذيل وبنو دبير من بني أسد وبنو فقعس فيقولون : قُول بواو ساكنة " [7] .

---

١. سورة البقرة ، آية ١١ .

٢. سورة هود ، آية ٧٧ .

٣. سورة الملك ، آية ٢٧ .

٤. سورة البقرة ، آية ١٥٧ .

٥. سورة يوسف ، آية ١١ .

٦. النشر . ابن الجزريّ ، ٣٩٣/٢ .

٧. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٣٨/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أمّا عن القضية الأخرى هنا ، هي أنّ ألفاظ المبني للمجهول من هذا النوع وردت في القرآن كثيراً نذكر منها غير " قيل و سيء " ألفاظاً نحو : " غيض ، حيل ، سيق ، جيء " فلماذا لم يقرأ نافع مثل هذه الألفاظ بالإشمام كما قرأ " قيل وسيء " ؟ . وفي هذا الأمر يصعب أن نجد جواباً غير أن نقول : إنّ نافعاً لم يسمع من شيوخه الثقات غير هذا في الإشمام ، فقرأه على الناس ، وكذلك أنّ نافعاً قد مثل للهجة أهل المدينة ولم يكن الإشمام متأصلاً معروفاً تلك المعرفة في لهجتهم .

أمّا عن الإشمام في قوله تعالى : " تأمنّا " ، " فالجمهور على الإشارة إلى ضمة النون الأولى فمنهم من يختلس الضمة بحيث يدركها السمع ، ومنهم من يدل عليها بضم الشفة فلا يدركها السمع " [1] ويقول أبو جعفر النحاس : " وقرأ سائر الناس فيما علمت بالإدغام والإشمام ، قال أبو جعفر : القراءة الأولى بالإدغام وترك الإشمام هي القياس لأنّ سبيل ما يدغم أن يكون ساكناً " [2] ، ويبدو أنّ أبا جعفر يقصد بالإشمام الروم ذلك أنّ الإشمام لا يؤثر على هيئة الساكن لأنّه في الواقع ليس إلا حركة جسدية لا صوت فيه وإنّما التأثير الذي يحدث على الساكن لا يكون إلا بالصوت ، فهو إن قصد الإشمام حقيقة فهو مخطئ لأنّ نافعاً في قراءته هذه لا يحدث أي صوت للنون الأولى وإنّما يبقيها ساكنه مع استدارة للشفتين يدركها البصير دون الأعمى فلا يصدر باستدارتهما صوت الضمة .

أمّا الروم فقد ورد عن نافع روم عدد قليل من الألفاظ هي: " **فألقهْ** " [3] " **ويتقهْ** " [4] " **فيهِ هدىً** " [5] ، " **عليهِ إنّهُ** " [6] ، " **وما أنسانيهِ إلا** " [7] ،

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٤٩/٢ .
٢. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٢٧/٢ .
٣. سورة النمل ، آية ٢٨ .
٤. سورة النور ، آية ٥٢ .
٥. سورة البقرة ، آية ٢ .
٦. سورة البقرة ، آية ٣٧ .
٧. سورة الكهف ، آية ٦٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

" يؤده إليك " [1] ، "يرضَهُ لكم " [2] ، " خيراً يرهُ ، شراً يرهُ " [3] ، " أرجهْ وأخاهُ " [4] .

وفي هذا كله قال ابن مجاهد : " وأشبه الروايات بأنّ تكون محفوظة عنه ــ إن شاء الله تعالى ــ رواية الحلواني عن قالون عن نافع : أنّه كان يحرك الهاء في ذلك حركة من غير إشباع ولا بلوغ ياء ولا واو " [5] وهو يريد بذلك الروم الذي كان يسميه ابن مجاهد الإشمام على سبيل الخلط بين المصطلحين كما هي العادة عند الكوفيين في ذلك لأنّ ابن مجاهد قال في وصف قراءة نافع لإحدى الألفاظ : " وقرأ نافع : " أرجهِ " بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء " [6] وهذه الحركة جدّ مخففة . فعلى ذلك يكون هذا وصف للروم لا للإشمام . في حين عدّ النحاس إسكان أرجهْ لحناً فقال : " وإسكانها لحن ولا يجوز إلا في شذوذ من الشعر " [7] ، إلا أنّ الفراء قد رأى ذلك لغة فاشية فقال فيها : " والإرجاء تأخير الأمر ، وقد جزم الهاء حمزة والأعمش ، وهي لغة للعرب ، يقفون على الهاء المكنى عنها في الوصل أو تحرك ما قبلها، أنشدني بعضهم :

أنحى عليّ الدهر رجلاً ويدا يقسم لا يصلح إلا أفسدا

فيصلح اليوم ويفسدُهْ غدا

وكذلك بهاء التأنيث ، فيقولون : هذا طلحهْ قد أقبلت ، جزم ، أنشدني بعضهم :

لما رأى أن لا دَعَهْ ولا شِبَع مال إلى أرطاة حقف فاضطجع [8]

---

١. سورة آل عمران ، آية ٧٥ .

٢. سورة الزمر ، آية ٧ .

٣. سورة الزلزلة ، الأيتان ٩ ، ١٠ .

٤. سورة الأعراف ، آية ١١١، سورة الشعراء ، آية ٣٦ .

٥. السبعة . ابن مجاهد ، ص ٢٠٩ .

٦. المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

٧. إعراب القرآن . النحاس ، ٦٣٠/١ .

٨. معاني القرآن . الفراء ، ٣٨٨/١ . والبيت الأول من الرجز وقبله :
يا ربّ أبّازٍ من العطر صدغ تقبض الذئب إليه فاجتمعْ . وهو غير معروف قائله . هكذا في حاشية معاني القرآن للفراء ١/ ٣٨٨ . والبيت الثاني من الرجز ، وهو لمنظور بن حبّة الأسديّ في شرح التصريح ٣٦٧/٢ ، والمخصص ٢٣٤/٢ والخصائص ٦٣،٢٣٣/١ وغيرها . (انظر : المعجم المفصل لشواهد اللغة العربية . أميل يعقوب ، ٤/١١) .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهذا ما يبطل مزاعم الكسائي من تلحين من أسكن الهاء ليثبت لدينا أنّ النحاة في بعض أقوالهم يظهر ضعفهم ويثبت أنّه لا عالم كبيراً على هذه اللغة التي وسعت كتاب الله .

وباقي الألفاظ على الشاكلة نفسها من القراءة وفي ذلك قال ابن مجاهد في هذه الألفاظ : " قرأ نافع : " **فيه هدى** " [١] ، و " **عليه أنّه** " [٢] ، و " **ما أنسانيه إلا** " [٣] ، وما أشبه ذلك إذا كان قبل الهاء ياء ساكنة حركها حركة مختلسة من غير أن يبلغ بها الياء ، وإذا كان قبلها واو ساكنة مثل : " **ندعوه إنّه** " [٤] ، أو ألف " **اجتباه وهداه** " [٥] ، ضم الهاء ضماً من غير أن يبلغ بالضمة الواو ، وإذا كان قبل الهاء صوت غير الياء والواو والألف وهو ساكن حرك الهاء أيضاً حركة خفيفة من غير بلوغ واو مثل " مِنْهُ " و " عَنْهُ " و " **أشركْهُ في أمري** " [٦] .

وبعد هذا العرض للروم والإشمام في قراءة نافع نلحظ قلة الأمثلة والشواهد في هذا الباب الأمر الذي لا يشكل ظاهرة في قراءة نافع كما نلحظ أنّ الإشمام شبه معدوم إذا اعتبرنا ألفاظ المبني للمجهول هي من باب الروم لا الإشمام حيث اعتبر مكي القيسي ذلك " ترجمة على مذهب الكوفيين لأنّهم يترجمون عن الإشمام الذي لا يسمع بالروم ويترجمون عن الروم الذي لا يسمع بالإشمام " [٧] ، ولا نلاحظ اليوم أحداً من متكلمي العربية الفصحى يحرص على روم أو إشمام في وقفه حتى بدا ذلك أمراً غريبا على السامع ، اللهم إلا إذا كان لدى نفر قليل من علماء القراءة المتمسكين بالرواية .

---

١. سورة البقرة ، آية ٢ .
٢. سورة البقرة ، آية ٣٧ .
٣. سورة الكهف ، آية ٦٣ .
٤. سورة الطور ، آية ٢٨ .
٥. سورة النحل ، آية ١٢١ .
٦. سورة طه ، آية ٣٢ .
٧. الكشف . مكّيّ ، ١٢٢/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

التقاء الساكنين

إنّ المبدأ العام في الصوتيات العربية أنّه لا يجوز التقاء الساكنين ، والواقع أنّ الكلمات العربية في أصل الوضع لا تجد في إحداها ساكنين يتجاوران وبما أنّ اللغة العربية لغة التصريف والاشتقاق وأنّ أصوات الكلمة لا تثبت على حال بسبب هذا التصريف والاشتقاق فلا بد أن يحدث مثل هذا الأمر ويلتقي الساكنان على صعيد الكلمة الواحدة وما بالك في الكلام إذا رصف بعضه إلى بعض من أجل تأليف الجمل ، عندها يكثر مثل هذا الأمر وتتكون الظاهرة الصوتية التي تشكل عبئاً على المتحدث الذي آثر التخلص من هذا العبء فلجأ إلى التخفيف و " لا يخلو التقاء الساكنين من حذف أحدهما أو تحريكه وهو الأصل لأنّه أقل إخلالاً ، ولذلك لا يعدل إليه إلا بعد تعذّره بوجه ما " [1] ومع ذلك فإنّ هنالك حالتين أجاز فيهما النحاة التقاء الساكنين دون اللجوء إلى الحذف أو تحريك أحد الساكنين وهاتان الحالتان هما : الوقف نحو قولك جاء بكْرْ ، وأفلت الشمْسْ ، والحالة الأخرى إذا كان أول الساكنين صوت لين أو صوت مدّ والفرق بين هذين الصوتين هو أن صوت اللين صوت شبه طليق ولا يكون إلا في صوتي الواو والياء المسبوقتين بحركة لا تجانسهما نحو : " بَيْت وحَوْض " ، أما صوت المدّ فهو صوت طليق طويل ويقع في أصوات العلة الثلاثة بشرط أن يسبقها حركة تجانسها نحو : " بَاب ، سُوق " ومثال هذا النوع من التقاء الساكنين الجائز " ولا الضالّين " ، أمّا في غير هاتين الحالتين فالمبدأ العام عند علماء العربية أنّه لا يجوز الالتقاء إلا بالتخفيف من هذا العبء .

---

١. همع الهوامع . السيوطيّ ، ١٧٦/٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن السبب من وراء تسويغ التقاء الساكنين في الحالتين أنّه في حالة كون الساكن الأول صوت لين أو مدّ فإن هذا الصوت على الرغم من سكونه إلا أنّه أشبه ما يكون بالحركة والفرق بينهما وبين الحركة فرق في كمية الصوت أي طوله وقصره ، والقضية الأخرى هي أنّ أصوات المد واللين هذه لا بدّ أن تكون في الحروف الزائدة على البنية الأصلية للكلمة حتى تتسم بصفة الطليق أو شبه الطليق فلو كانت من الحروف الأصلية لحذفت في التقاء الساكنين ومن هنا لم يجز لنا الإبقاء على أصوات العلة الأصلية في بناء الكلمة في حال التقائهما بالساكن نحو قولك : " علتْ وخلتْ " فلا نقول : " علاتْ وخلاتْ " .

أمّا في حالة الوقف فإنّ هنالك فرقاً بين الساكنين لاحظه ابن جني عندما قال : " فلو كانت حال سكون كاف بكْرْ كحال سكون رائه لما جاز أن تجمع بينهما ، من حيث كان الوقف للسكون على الكاف كحاله لو لم يكن بعده شيء ، فكان يلزمك أن تبتدئ بالراء ساكنة ، والابتداء بالساكن ليس في هذه العربية ، لا بل دلّ ذلك على أنّ كاف بكر لم تتمكن من السكون تمكن ما يوقف عليه " [1] ، وفي هذا قال الزمخشريّ : " الوقف سدّ مسدّ الحركة ، لأنّ الوقف على الحرف يمكّن جرس ذلك الحرف ويوفر الصوت عليه ، فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة له ، ألا ترى أنّك إذا قلت "عمرو " ووقفت عليه وجدت الراء من التكرير وتوفير الصوت ما ليس لها إذا وصلتها بغيره ، وذلك أنّ تحريك الحرف يقلقله قبل التمام ، ويجتذبه إلى جرس الحرف الذي منه حركته ، ويؤيد عندك ذلك أنّ حروف القلقلة وهي القاف والجيم والطاء والباء والدال لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت ، وذلك لشدة الفلّ والضغط ، وذلك نحو : الحق واذهب واخلط واخرج ، ونحو الزاي والذال والظاء والصاد ، فبعض العرب أشد تصويتاً ، فجميع هذه لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت ، فمتى أدرجتها وحرّكتها زال ذلك الصوت ، لأنّ أخذك في صوت آخر ، وحرف سوى المذكور يشغلك عن اتباع الحرف الأول صوتاً . فبان لك ما ذكرته أنّ الحرف الموقوف عليه أتمّ صوتاً

---

١. الخصائص . ابن جني ، ٦١/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأقوى جرساً من المتحرك ، فجاز اجتماعه مع ساكنين قبله "[1] ، وقد ذكرت هذا النص بكامله هنا ليتبين أنّه إلى أي حدّ تمسك النحاة بوجود الحركة بإزاء الساكن حتى أنّهم يعللون لجواز اجتماع الساكنين في الوقف أنّه سادّ مسدّ الحركة من أجل توفير الصوت ، وشدة الفل والضغط ، وكأنّ الواقف على هذا الصوت يريد أن ينطق بالحركة هرباً من التقاء الساكنين .

وبالرغم من هذه الإجازة ، فإنّ قوماً من العرب كرهوا اجتماع الساكنين في حالة الوقف ، فتخلصوا من ذلك بتحريك الساكن الأول بحركة الساكن الثاني الموقوف عليه ، فإذا كانت حركة الموقوف عليه الضم نقلوا هذه الحركة إلى الساكن السابق ، وكذلك الكسر والفتح ، فنراهم يقولون : " هذا بكْرْ ، ورأيت البكْرْ ، ونظرت إلى بكْرْ " وبعضهم حرك هذا جميعاً بالكسر جرياً على الأصل في تحريك الساكن ، وهذا ذو فائدة عظيمة في الحفاظ على الوقف ، وفي الإشارة إلى الحركة الإعرابية ، ومثل هذه الإشارات للتدليل على المعنى والحركة نلحظه اليوم ولكن في غير التقاء الساكنين فنسمع الناس في حالة وقفهم على الضمير الكاف من أجل التفرقة بين المخاطب والمخاطبة ، فيقومون بنقل حركة الكاف إلى حركة الحرف السابق مضحين بحركة الإعراب أو البناء فيقولون : كيف حالِك ؟ للمؤنث ، وكيف حالَك ؟ للمذكر ، فتخلوا عن حركة الإعراب الأصلية وهي الضمة ، والهدف من وراء هذا التفريق هو بيان المعنى مع المحافظة على الوقف ، ومع أنّ مثل هذا المثال لا يرتبط بالتقاء الساكنين إلا أنّ له أهمية في بيان أهمية الوقف وضرورته المعنوية وما الحركة المنقولة إلا لأجل بيان الإعراب فقط مع ضعف كون سببها التخلص من التقاء الساكنين لأنّه لا يوجد عبء يشكله مثل هذا الالتقاء في حالة الوقف .

أمّا في الوصل سواء كان ذلك من كلمة أو كلمتين فلا بد من إيجاد مخرج لذلك فاحتال العربي على هذا وتخلص من هذا العبء بتحريك الساكن الأول بإحدى الحركات الثلاث طلباً لليسر والسهولة تبعاً للمجانسة الصوتية على أنّ الأصل في

---

١. شرح المفصل . ابن يعيش ، ١٢٠/٩ ، ١٢١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحريك الساكن الأول هو الكسر يقول السيوطيّ : " وأصل ما حرك من الساكنين الكسر لأنّها حركة توهم إعراباً إذ لا يكون في كلمة ليس فيها تنوين وما يعاقبه من أل والإضافة بخلاف الضم والفتح فإنّهما يكونان إعراباً ولا تنوين معهما قال صاحب البسيط :هذا قول النحويين . قال : ويحتمل أن يقال الفتح الأصل ، لأنّ الفرار من الثقل والفتح أخفّ الحركات ، فكان أصلاً ، أو يقال لا أصل في الالتقاء لحركة ، بل يقتضي التحريك خاصة ، وتعيين الحركة ويكون لوجوه تخُصّ " [1] ، ومن هنا فإنّه يجوز الفتح نظراً لخفته ، وذلك بشرط أن يكون أول الساكنين صوت مدّ فإن كان كذلك فإنّ إطالة الصوت بصوت المدّ تمكّن الإنسان من النطق بالساكن التالي بدون كلفة أو مشقة ، وأيضاً فإنّ صوت المدّ لا يقبل الحركة .

أمّا إذا كان الحرف الثالث من الكلمة الثانية مضموماً ضماً لازماً فإنّ النحاة يحركون الساكن الأول تارةً بالكسر على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين ، وتارة يحركونه بالضم تبعاً لضم ثالث الفعل وفي ذلك لون من ألوان المجانسة الصوتية ، ومثال ذلك قوله تعالى كما قرأه نافع : " **محظوراً ، انظر** " [2] ، والدليل على أنّ ضمة الظاء لازمة أنّك تقول " انظُر " بضم الظاء على وزن " افعُل " بضم العين . أمّا إذا كان ضم ثالث الفعل غير لازم نحو : " أن امشوا " فإنّه ليس فيه سوى الكسر .

وإنّ كان أول الساكنين واو جمع مفتوحاً ما قبلها نحو : " اخشوا القوم " فإنّ النحاة يجيزون فيها أن تحرك بالكسر على الأصل ، وإن كان الأرجح التحريك بالضم ليتناسب مع واو الجماعة [3] ، فقد قرأ الجمهور : " **اشتروا الضلالة بالهدى** " [4] بضم الواو وهي القراءة المتواترة الصحيحة وكذلك قرأ نافع لأنّ واو الجماعة الأصل فيها

---

١. همع الهوامع . السيوطيّ ، جلال الدين ، ١٧٩/٦ .

٢. سورة الإسراء ، آية ٢٠ ، ٢١ ، وانظر : كتاب سيبويه ، ٢٧٥/٢ .

٣. انظر : كتاب سيبويه ، ٢٧٥/٢ ، ٢٧٦ .

٤. سورة البقرة ، آية ١٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الضم ، في حين قرأ يحيى بن يعمر * بكسر الواو على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين وهي قراءة شاذة.

أمّا إن كان أول الساكنين كلمة " لو " فإنّه يجوز عند النحاة كسر الواو على الأصل وضمها تشبيهاً لها بواو الجمع [1] ومن أمثلة ذلك القراءات الواردة في كلمة " لو" من قوله تعالى : " **لو استطعنا** " [2] ، فقد قرأ الجمهور بالكسر ــ ومن بينهم نافع ــ على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين ، وهي القراءة الصحيحة ، وقرأ الأعمش سليمان بن مهران بضم الواو ، وذلك تشبيهاً لها بواو الجماعة وهي قراءة شاذة . وإن كان أول الساكنين لفظ " مِنْ " فإنّه يجوز عند النحاة الفتح والكسر وإن كان الفتح أرجح [3] ، ومثال ذلك قوله تعالى : " **بريءٌ من المشركين** " [4] فقد قرأها نافع بالفتح ، وإن كان أول الساكنين لفظ " عن " فإنّ النحاة يجوّزون فيه الكسر على الأصل ، والضم اتباعاً لضمة لاحقة نحو قولك " عن الرجل " وإن كان الكسر أرجح [5] وكذلك الأمر في لفظ مذ فإنّ في ذلك مجانسة صوتية عند تحريك الساكن الأول بالضم تبعاً لحركة لاحقة .

أمّا عن منهج نافع في التخلص من الساكنين فيقول ابن مجاهد : " فقد قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي : " **فمنُ اضطر** "[6] ، " **أنُ اقتلوا** " ، " **أوُ**

---

* يحيى بن يعمر هو : أبو سليمان يحيى بن يعمر العدوانيّ البصريّ ، الذي أخذ القراءة عرضاً على أبي الأسود الدوليّ ، وسمع ابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وأبا هريرة ، وروى عن جمع من الصحابة ، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء ، وهو أول من نقط المصحف ، وتوفي قبل سنة ٩٠هـ ، (انظر : معرفة القرّاء الكبار . الذهبي ، ٦٧/١، ٦٨) .

١. انظر : كتاب سيبويه ، ٢ / ٢٧٦ .

٢. سورة التوبة ، آية ٤٢ .

٣. انظر : شرح المفصل . ابن يعيش ، ١٣١/٩ .

٤. سورة التوبة ، آية ٣ .

٥. انظر : شرح شافية ابن الحاجب . الاستراباذي ، رضيّ الدين ، ٢٤٧/٢ ، تحقيق : عبد القادر عمر البغداديّ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٦. سورة البقرة ، آية ١٧٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اخرجوا " [1] " **ولقدُ استهزئ** " [2] ، "**وقالتُ اخرج** " [3] ، " **قـلُ ادعـوا الله أوُ ادعـوا الرحمن** " [4] ، وما كان مثله بضم ذلك كله غير ابن عامر فإنّه خالفهم في أحرف ، فقرأ :" **فتيلاً انظر** " ، " **مبينِ اقتلوا** " ، " **مسحوراً انظر** " ، بكسر التنوين " [5] .

فمن خلال هذه الأمثلة نلاحظ أن نافعاً قد اختار المجانسة الصوتية كمقياس أفضل في التخلص من التقاء الساكنين ، فالضم اللازم في الكلمة الثانية هو الذي تطلب الضم ، وفي هذا فائدتان هما : حصول المجانسة الصوتية التي تعدّ لوناً من ألـوان الإدغـام الأصغر في تقريب الصوت من الصوت ، فهم " كرهوا الضم بعد الكسر لأنّه يثقل على اللسان فضموا ليتبعوا الضم الضم " [6] ، والفائدة الأخرى هي الـتخلص مـن التقـاء الساكنين وهي القراءة الأقوى على هذا ؛ لأنّ من استعمل الكسر ــ وإن جاء بالأصـل ــ فإنّه نسي المجانسة الصوتيّة التي تحدث نسقاً موسيقياً جميلاً ، وهذا النسق الموسيقي حرص الإمام نافع على التمسك به في قراءته مراعاة للمجانسة الصوتية .

وقرأ نافع قوله تعالى : " **ولا تيمموا الخبيث** " [7] بتشديد التاء لتصبح " ولا تّيمموا " وهذا جمع بين ساكنين قال العكبري : " والذي سوغ ذلك المدّ الذي في الألف " [8] ، أمّا قوله تعالى : " **الم ، الله** " [9] فقد قرأه نافع بفتح الميم وصلاً ، فالميم من اسم الصـوت "ميم" حركت لالتقاء الساكنين ، وهما الساكن في الميم والساكن في همزة الوصل فـي لفظ الجلالة ، ولم تحرك لسكونها وسكون الياء قبلها لأنّ هذه الحروف جميعها والتـي على هذا المثال تسكن إذا لم يلقها ساكن بعدها " وفتحت لوجهين : أحـدهما : كثـرة

---

١. المثالان من سورة النساء ، آية ٦٦ .
٢. سورة الأنعام ، آية ١٠ ، سورة الرعد ، آية ٣٢ ، سورة الأنبياء ، آية ٤١ .
٣. سورة يوسف ، آية ٣١ .
٤. سورة الإسراء ، آية ١١٠ .
٥. كتاب السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٧٥ ، ٢٧٦ .
٦. حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٢٣ .
٧. سورة البقرة ، آية ٢٦٧ .
٨. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١١٤/١ .
٩. سورة آل عمران ، الآيتان ١ ، ٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

استعمال اسم الله بعدها ، والثاني : نقل الكسرة بعد الياء والكسرة ، وأجاز الأخفش كسرها ، وفيه من القبح ما ذكرنا ، وقيل فتحت لأنّ حركة همزة الله ألقيت عليها ، وهذا بعيد لأنّ همزة الوصل لا حظّ لها في الثبوت في الوصل حتى تلقي حركتها على غيرها " [1] .

وقد اختلف عدد من علماء اللغة في هذا الأمر ، وهذا الاختلاف يظهر من قول النحاس في مذاهب علماء اللغة في هذه المسألة : " فمذهب سيبويه أنّ الميم فتحت لالتقاء الساكنين واختاروا لها الفتح لئلا يجمعوا بين كسرة وياء وكسرة قبلها ... وقال الكسائي : حروف التهجي إذا لقيتها ألف الوصل ، فحذفت ألف الوصل ، حركتها بحركة الألف فقلت : " **المَ ، الله** " ، " **المُ اذكروا** " ، " **المِ اقتربت** " ، وقال الفراء : الأصل : " المْ أله " كما قرأ أبو جعفر الرؤاسي ، ألقيت حركة الهمزة على الميم ، وقال أبو الحسن بن كيسان : الألف التي مع اللام بمنزلة " قد " وحكمها حكم ألف القطع لأنّهما حرفان وإنّما وصلت لكثرة الاستعمال فلهذا ابتدئت بالفتح " [2] ، فالخلاف الذي يظهر هنا مرجعه إلى خشية بعض العلماء من اعتبار "ال" في لفظ الجلالة كـ " ال" التعريف كما هو واضح من قول الفراء في اعتبار الهمزة همزة قطع لا همزة وصل لكن سيبويه عامل لفظ الجلالة كما استقر عليه في هذا الوضع كاسم غير قابل للاشتقاق والتصريف ، ويبدو أنّ تعليل سيبويه هو التعليل الأنسب .

والقضية الأهم في التقاء الساكنين أنّ هنالك ثلاثة مواضع قرأ فيها نافع بالتقاء الساكنين دون تحريك أحدهما ولا حذفه : [3]

المثال الأول : قرأ نافع قوله تعالى : " **إنّ الله نِعِمّا يعظكم به** " [1] بكسر النون وإسكان العين مع الإبقاء على التشديد مما يعني الجمع بين ساكنين .

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١/١٢٢ .

٢. إعراب القرآن . النحّاس ، ١/٣٠٧ ، ٣٠٨ .

٣. انظر : السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٩٠ ، النشر . ابن الجزري ، ٢/ ٢٥٤ ، ٢٨٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المثال الثاني : قرأ نافع قوله تعالى : " **أمن لا يهَدِّي** " [٢] ، " بإسكان حركة الهاء وبقاء التشديد على الدال مما يعني أيضاً الجمع بين ساكنين ، وقد روى عنه هـذا الإسـكان قالون.

المثال الثالث : قرأ نافع قوله تعالى : " **يخِصّمون** " [٣] ، بإسكان الخاء وتشديد الصاد أي بالجمع بين ساكنين .

وحقيقة المشكلة التي تثيرها هذه الأمثلة هي أنّه في المثال الأول قد قـرئ علـى وجه يجتمع فيه ساكنان هما : العين الساكنة والميم الأولى المدغمة وهي ساكنة أيضـاً وبالتعبير الحديث : أنّه قد تجاور فيه ثلاثة صوامت دون حركة بينهمـا ، وأنّ المثـال الثاني إذا قرئ بإسكان الهاء يجتمع فيه ساكنان هما : السكون التي في الهاء والسـكون التي في الدال المشددة وكذلك الأمر في المثال الثالث على قراءة من أسـكن الخـاء . ويكفي من هذه الأمثلة أن نناقش المثال الأول منها لأنّ المثالين الآخرين مثله في توحد القضية والمفهوم .

ونبدأ أولاً مع سيبويه الذي يقرر تبعاً لأصـول مدرسـته البصـرية " أنّ التقـاء الساكنين في درج الكلام ما كان ليكون في النطق العربي " [٤]، فهـو يقـرر قاعـدة لا رخصة فيها ، لأنّها ليس من نطق العرب ، أمّا العكبري فيقول : " وفيه قراءة أخـرى هنا وهي إسكان العين والميم مع الإدغام وهو بعيد لما فيه من الجمع بين السـاكنين ، وقيل : إنّ الراوي لم يضبط القراءة ، لأنّ القارئ اختلس كسرة العين فظنه إسكاناً " [٥] ، فالعكبري في هذا يشكك في صدق رواية الراوي الثقة ، أمّا النحـاس فيؤكـد علـى استحالة مثل هذا الأمر فيقول : " أما إسكان العين فمحال ، حُكي عن محمد بن يزيد أنّه قال : أمّا إسكان العين والميم مشددة فلا يقدر أحد أن ينطق به وإنّما يروم الجمع بـين

---

١. سورة البقرة ، آية ٢٧١ .

٢. سورة يونس ، آية ٣٥ .

٣. سورة يـس ، آية ٤٩ .

٤. كتاب سيبويه ، ٢٥٨/٢ .

٥. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١١٥/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ساكنين ويحرك ولا يأبه " [1] فالنحاس يؤكد استحالة حصول مثل هذا الأمر ، ومحمد بن يزيد يطلب عدم الأخذ بمثل هذه القراءة التي اصطدمت مع القاعدة وإن جاءت من عدد من الثقات ، ووصفت الرواية بالتواتر والصحة ، أمّا الجوهري فيذكر عنه ابن منظور في اللسان أنّه أنكر الجمع بين ساكنين من غير أن يكون أولهما حرف لين ، فقال : " وهذا غير موجود في شيء من لغات العرب ، قال : وكذلك قوله تعالى : " **إنّا نحن نزلنا الذكر**" و " **أمن لا يهدي** " و " **يخصمون** " وأشباه ذلك قال : ولا معتبر بقول القراء إنّ هذا ونحوه مدغم ؛ لأنّهم لا يحصلون هذا الباب ، ومن جمع بين الساكنين في موضع لا يصح فيه اختلاس الحركة فهو مخطىء كقراءة حمزة في قوله تعالى : " **فما اسطاعوا** " لأن سين الاستفعال لا يجوز تحريكها بوجه من الوجوه " [2] ، وأغلب النحاة على هذا الرأي في رفض مثل هذه القراءة من منطلق استحالة التوصل إلى النطق بالساكنين دون تخفيف الأول منهما ، غير عدد من نحاة الكوفة الذين رأوا غير ذلك في توجيه هذه القراءة .

ما من شك في أنّ مناقشة مثل هذه القضايا فيه شيء من الاستحالة والتعقيد والسبب في ذلك ، أنّه يوجد لدينا قراءة ثابتة ثقة لا مجال للشك فيها ، واصطدمت مع قاعدة لغوية لا حلول لهذه القراءة مع هذه القاعدة ، ومن هنا فكيف نوفق ما بين الضدين ؟ لا يوجد أمامي من حل إلا تشبيه هذه الحالة من نطق الساكنين بحالة نطق الساكنين في الوقف ولكنّه لا يجوز الوقف في هذه الحالة لأنّ الساكنين ليسا في نهاية كلمة بل هما جزء من بنيتها ، أضف إلى ذلك أنّ محاولة الوقف على نعم تحدث عندنا استحالة وهي صعوبة البدء بنطق الساكن وهذا غير جائز في قانون اللسان العربي ، فمن أجل ذلك كله رأى النحاة أن لا مخرج من ذلك فقالوا : إنّ النطق بالساكنين في مثل " نِعْمّا " محظور وأنّه لا يمكن أن يتأتى إلا على الإخفاء والاختلاس ، ومثل هذا الذي شجع النحاة على اتهام القراء بعدم الدراية وقلة الضبط ، أمّا نحاة الكوفة فكانوا يجيزون اجتماع الساكنين في مثل هذه المواضع ، تسندهم قراءة أبي عمرو بن العلاء

---

١. إعراب القرآن . النحاس ، ٢٩١/١ .

٢. لسان العرب . ابن منظور ، مادة "روم" .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وغيره من القراء الآخذين عن قراءة قريش بالإسكان فيما روي من المواضع ، ويسندها أيضاً أنّ النطق بالساكنين هو قراءة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفي هذا يقول ابن الجزري : " واختلفوا في " نِعْمّا " هنا والنساء عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر ، فروى عنهم المغاربة قاطبة إخفاء كسرة العين ليس إلا ، يريدون الاختلاس فراراً من الجمع بين الساكنين ، لصحته رواية ، وورود لغة ، وقد اختاره الإمام أبو عبيدة أحد أئمة اللغة ، وناهيك به ، قال : هو لغة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يروى : " نِعْمّا المال الصالح للرجل الصالح " [1] ، فالقراء المغاربة معذورون في اتّباع وجهة نظر سيبويه ومن سار على نهجه في هذه المسألة لأنّهم كانوا بعيدين عن مشافهة الأعراب ، وأغلبهم كان من غير العرب ، فلم يجدوا إلا أن يأخذوا بالقياس فيما غابت عليهم حقيقته ، فأمّا الكوفيون والمشارقة من القراء فقد شافهوا الأعراب ، وسمعوا منهم ، ما أكّد لهم رواية الإسكان ، فكان أنْ تمسّكوا بها وأعرضوا عن كلام نحاة البصرة ومقاييسهم .

ولست في صدد البحث عن إيجاد الطريقة على التمثيل لهذا الصوت الذي هو مجهول لدي تماماً ، وصعب التشبيه ولكن أقول : إنّ هنالك طريقة ما كان القرّاء يتوصلون بها إلى النطق بالساكنين حال الوصل دون تحريك أيّ من الساكنين ، وقد يكون هذا صعب علينا اليوم لأنّنا لم نسمعه ، ويبقى هذا من موروثات اللغة التي فُقِدت ، ومن ثرواتها التي ضاعت مثلما خفي علينا اليوم حقيقة الوصف الدقيق لنطق صوت الضاد كما كان الأعراب ينطقونه .

وأخيراً أود أن أشير إلى أنّ سيبويه في قوله السابق ــ وهو كما هو معروف من الدقة بمكان ولا يضع اللفظة إلا وكانت لها إشارات بعيدة ــ قد أشار إلى استحالة ذلك على اللسان العربي ، ولم يجعلها طبيعة إنسانية تشترك فيها جميع لغات البشر ، وهذا دليل على أنّ هنالك من يستطيع التوصل إلى ذلك دون اللجوء إلى التخفيف .

---

١. النشر . ابن الجزري ، ٢/٣٣٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع

المتحرك والساكن

أولاً : الإشباع والحذف

الإشباع : " شبع الشين والباء والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على امتلاءٍ في أكل وغيره. من ذلك شَبِع الرجل شِبَعا وشَبْعاً ورجلٌ شبعانُ ثم اشتُقَّ من ذلك أشبعت الثّوبَ صِبْغًا " [1] والإشباع في القوافي حركة الدخيل وهو الحرف الذي قبل التأسيس ككسرة الصاد من قوله : كليني لهم يا أميمة ناصِب " [2] أمّا الإشباع بالمعنى الشامل يتبين من قول ابن جني : " فأمّا قوله عز اسمه :" وتظنون بالله الظنونا " و " فأضلونا السبيلا " فإنما ذلك على إشباع الفتحة للوقف على رؤوس الآي كما قرأت القراء : " والليل إذا يسر " و " ذلك ما كنا نبغ " فحذف الياء في هذا ونحوه في الوقف إنما هو لرؤوس الآي وتشبيههم إياها بالقوافي في نحو قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرِ

يريد يفري وكذلك أيضا من قرأ السبيلا و الظنونا إنما هو مشبه بوقوفهم على القوافي في نحو قول جرير :

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

ونحو قول لقيط :

يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

فهذه أشياء تعرض في الوقف وهي جارية مجرى غيرها من سائر التغاييرِ العارضة عند الوقوف " [3] .

---

١. معجم مقاييس اللغة . ابن فارس ، مادة "شبع" .

٢. لسان العرب ، مادة "شبع" .

٣. سر صناعة الإعراب . ابن جنّي ، ٤٧١/٢، ٤٧٢ . والبيت الأول من الكامل ، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص٩٤ ، والدرر ١٧٦/٦ ، وسر صناعة الإعراب ٤٧١/٢ ، وشرح أبيات سيبويه ٣٤٤/٢ ، وشرح المفصل ٧٩/٩ ، والكتاب ١٨٥/٤ ، وغيرها . (انظر : المعجم المفصل لشواهد النحو الشعرية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والإشباع والحذف من السمات البارزة في اللغة الأدبية الفصحى وفي هـذا عقـد علماء البلاغة باباً سموه الإيجاز والإطناب وكثيراً ما يدور الكلام العربي الفصيح حول هذين المحورين ، فالهدف هو البلاغة وتجويد اللغة والفصاحة سواء كان ذلك الحـذف جملة أو كلمة أو صوتاً وكذلك التفصيل سواء كان جملة أو كلمة أو صوتاً ، وفي مثل هذا ما رواه ابن جني من أنّه قيل لأبي عمرو : " أكانت العرب تطيل ؟ فقـال : نعـم لتبلغ ، قيل : أفكانت توجز ؟ قال نعم ليحفظ عنها " [1] فالإشباع والحذف لا يأتيـان إلا لهدف معنوي وليس بصورة عفوية .

ولا شك أن العربي كان يراود بين الإيجاز أو الحذف وبين الإطباق أو الإشـباع حسب مقتضى الحال إلا أنّه قد تجرأ ثانياً كذلك فحذف في حروف الكلمة حـذفاً يخـل ببقيتها ويعرض لها الشبه ومثال الإشباع قول الفرزدق : [2]

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

والأصل الدراهم والصيارف.

ومنه قول عنترة : [3] **ينباع من ذفرى غضوب بجسرة**

والأصل ينبع .

أميل يعقوب ، ٢٩٨/١) ، والبيت الثاني من الوافر ، وهو لجرير في ديوانـه ص٨١٣ ، وخزانـة الأدب ٦٩/١ ، ٣٣٨ ، والخصائص ٩٦/٢ ، والدرر ١٧٦/٥ ، ٢٣٣/٦ ، وغيره . (انظر : المعجـم المفصّـل لشواهد النحو الشعريّة . أميل يعقوب ، ٣٢/١) ، والبيت الثالث من البسيط ، وهو للقيط الأيادي في تـاج العروس ، ٤٣٣/٢٠ ، (انظر : المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربيّة . أميل يعقوب ، ٢١٢/٤) .

١. الخصائص . ابن جنّي ، ٨٣/١ .

٢. شرح أبيات سيبويه . السيرافي ، أبو محمد يوسف بن الحسن ، ٢٤٨/١ ، تحقيق : محمد الريح هاشـم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦ . والبيت من البسيط ، وهو للفرزدق في الإنصاف ٢٧/١ ، وخزانة الأدب ٤٢٤/٤ ، وسرّ صناعة الإعراب ٢٥/١ ، وشرح التصريح ٣٧١/٢ ، والكتاب ٢٨/١ ، وغيرها . (انظر : المعجم المفصّل لشواهد النحو الشعريّة . أميل يعقوب ، ٥٨٢/٢) .

٣. الخصائص . ابن جنّي ، ١٢١/٣ ، وتمام البيت ... عيرانة مثل الفنيق المكدم ، والبيت من الكامل ، وهو لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص١٧٩ ، ولسان العرب "كدم" ، وتاج العروس "كدم" . (انظـر : المعجـم المفصّل في شواهد اللغة العربيّة . أميل يعقوب ، ٣٤١/٧) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما أنّهم أشبعوا الفتحة والكسرة فكذلك أشبعوا الضمة ومثال ذلك قول الشاعر : [1]

وليلة خامدة خمودا طخياء تغشى الجدي والفرقودا

والأصل الفرقد .

ويبدو أنّ السبب في إشباع مثل هذه الكلمات هو النبر الذي وقع فيها على المقطع الأخير ويسمى نبر العلو ونبر هذا المقطع يقتضي الإطالة في الحركة حتى يبرز الصوت ومثال هذا في القرآن ما روي عن ابن عامر من أنّه قرأ : " أفئيدة من الناس " بياء بعد الهمزة وجاءت هذه القراءة على لغة المشبعين من العرب ، وأكد ابن الجزري على أنّها ليست ضرورة بل لغة مستعملة [2] ، ويبدو أنّ الهدف من وراء هذا الإشباع هو تأكيد المعنى .

ولم يرد عن نافع أنّه قرأ في مثل هذا النوع من الإشباع ولكنّه قرأ في النوع الآخر وهو إشباع الحركة الأخيرة الذي يقول فيه ابن السراج : " والعرب إذا ترنمت في الإنشاد ألحقت الألف والياء والواو فيما ينون ولا ينون لأنّهم أرادوا مدّ الصوت ، فإذا لم يترنموا فالوقف على ثلاثة أوجه ، أمّا أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي ما نون منها وما لم ينون على حالها في الترنم ليفرقوا بينه وبين الكلام " [3] فابن السراج يرى بأنّ الهدف من وراء الإشباع هو لتمييز القوافي عن باقي الكلام .

---

١. الصاحبيّ في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، ص ٢٢٩ ، تحقيق : عمر الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩٣ . والبيت من شواهد الصاحبيّ ، ص٢٢٩ .

٢. انظر : النشر في القراءات العشر . ابن الجزري ، ٣٠٠/٢ .

٣. الأصول في النحو . ابن السرّاج ، أبو بكر ، (-٣١٦هـ) ، ٣٨٤/٢ ، ٣٨٥ ، تحقيق : عبد الحسين الفتيلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

• وتمام البيت ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل ، والبيت من الطويل ، وهو للشاعر امرئ القيس في ديوانه ص٨ ، والأزهية ص٢٤٤ ، وجمهرة اللغة ص٥٦٧ ، وخزانة الأدب ٣٣١/١ ، ٢٢٤/٣ . (انظر المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربيّة . أميل يعقوب ، ٥٥٨/٦) .

• ذكر سابقاً في هذا المبحث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ الإشباع وعدمه قد يكون لهجات ليس إلا ، وقد يؤدي أحياناً شيئاً من المعنى فقد يكون الهدف من الإشباع التأكيد أحياناً وذلك بالتركيز على المقطع وإبراز موضع النبر ، أو قد يكون فيه إشارة إلى لفت الانتباه إلى أمر ما ، أو قد يكون لهجة خالصة ، ولغة من لغات العرب لا يرى فيها تأثير جديد في المعنى ، ومن أمثلة هذا النوع الأخير من الإشباع في الحركة الأخير ففي الجر قال امرؤ القيس * :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي

ومن أمثلة النصب قول جرير * :

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

ومن الرفع قول الأعشى * :

هريرة ودعها وإن لام لائمو ...

وفي قراءة نافع نلمح مثل هذا في إشباع الحركة القصيرة لتتحول إلى صائت طويل والفائدة من هذا تتراوح بين هدفين كلاهما له جمالياته ، فالأول الجانب المعنوي في إظهار لون من ألوان التوكيد الصوتي على المقطع الأخير وإبراز النبر فيه ، والآخر الجانب الموسيقي وذلك بإطالة الصوت وتجويده لما فيه من الحرية التي هي جانب من جوانب التسهيل ذلك أنّ التسكين والوقوف على الصامت دون إتباعه بصائت فيه شيء من الثقل ، ومن أمثلة الإشباع في قراءة نافع نرى ذلك في إشباع الضمة في هاء الضمير المتصل بحروف الجر وغيرها نحو : عليهم وعليه وفيه وفيهم ، حيث قرأها نافع على النحو : عليهمو وعليهو وفيهو وفيهمو وفي ذلك يقول أبو عمرو الداني: "ابن كثير وقالون يضمان الميم التي للجمع ويصلانها بواو مع الهمزة وغيرها ، نحو : "عليهمو" " أأنذرتهمو أم لم تنذرهمو" ، وشبهه ورش يضمها ويصلها مع الهمزة فقط " [1] أمّا عن القراءة في مثل هذا الضمير فقد ورد أنّ " الأصل في هذه الهاء الضم

---

* والبيت من الطويل وهو للأعشى في ديوانه ص١٢٧ ، ولسان العرب ١١/ ١٦٤ ، والردّ على النحاة ص١٠٣ ، وشرح أبيات سيبويه ٣٤٨/٢ ، والكتاب ٢٥/٤ ، وغيرها . (انظر : المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربيّة . أميل يعقوب ، ١٥٧/٧) .

١. التيسير في القراءات السبع . الداني ، أبو عمرو ، ص٢٧ ، تصحيح : أوتو يرتزل ، ط ١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لأنّها تضم بعد الفتحة والضمة والسكون ، نحو : إنّهُ ولهُ وعلامهُ ويسمعُهُ ومنْهُ ، وإنّما يجوز كسرها بعد الياء نحو : عليهم وأيديهم ، ومع الكسر ، نحو : به وبداره ، وضمها في الموضعين جائز لأنّه الأصل ، وإنّما كسرت لتجانس ما قبلها من اليـاء والكسـرة وبكل قد قرئ فأمّا عليهم ففيها عشر لغات وكلها قد قرئ به " [1] ، " والقراءات بـالخط والشكل : عليهُمْ ، عليهُمُ ، عليهُمُوا ، عليهُمِ ، عليهُمِي ، عليهِمْ ، علـيهِمِ ، عليهِمِـي ، عليهِمُ ، عليهِمُوا " [2] على أنّ " الأصل في عليهم : عليهمو بضم الهاء والمـيم والـواو التي بعد الميم والدليل على ذلك أنّ هذه الهاء للمذكر تضم وتشبع ضمتها فيولـد منهـا الواو نحو : ضربتُهُ ، وإذا فتحت كان للمؤنث نحو : رأيتها ، وهذه أيضاً وإن فتحـت فأصلها الضم بدلالة قولك للاثنين رأيتهما ، وللجماعة رأيتهن وعلامة الجمع في المذكر إلى هذه الهاء هي الميم المضمومة التي بعدها واو كما هي في قولك : ضربتكم وأصله ضربتكمو يتبين لك ذلك إذا اتصل به مضمر آخر تُردّ معه الواو نحو ضـربتكمو ولا تقول ضربتكمه ومنه قول الله عزّ وجل: " **أنلزمكموها** " [3] ، فهذا ممـا يبـيّن لـك أن الأصل عليهمو بضمتين وواو " [4] وهذا يدل على أن قراءة نافع قد راعت الأصل كمـا راعت عملية إطالة المقطع الصوتي وإبراز النبر فيه مما كان له دلالة وأثر معنوي في التأكيد بالإضافة إلى الجرس الموسيقي ومراعاة التسهيل .

ومن أمثلة الإشباع في قراءة نافع قوله تعالى: "مالك" [5] فقد قرأها: "ملكي" بإشباع الكسرة التي تحولت إلى صائت طويل ليكون النبر على المقطع الأخير والتأكيد عليه ، بالإضافة إلى جمال النسق الموسيقي ومن الأمثلة أيضاً قرأ قوله تعالى: "يأتوكمْ " [6] على النحو : " يأتوكمو" حيث أشبع الضم الذي هو الأصل ، كما في الأمثلة السابقة .

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٩/١ .

٢. تفسير البحر المحيط . الأندلسيّ ، أبو حيّان النحويّ (-٨٧٥٤هـ) ، ١ /٢٧ ، تحقيق : علي محمد معوّض ، ط ٢ ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٨٣ .

٣. سورة هود ، آية ٢٨ .

٤. حجة القراءات ، ابن زنجله ، ص ٨١ .

٥. سورة الفاتحة ، آية ٤ .

٦. سورة البقرة ، آية ٨٥ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثانياً : ياءات الإضافة

ياء الإضافة في اصطلاح القراء : هي الياء الزائدة الدالة على المتكلم . وهي في هذا التعريف انحصرت في نوع محدد من الياءات ألا وهو ياء المتكلم ، حيث خرج بقولهم " الزائدة " الياء الأصلية نحو : أدري ، وخرج بقولهم " الدالة على المتكلم " الياء في جمع المذكر السالم نحو : " حاضري المسجد " ، والياء في نحو : " فكلي واشربي " لدلالتها على المؤنث المخاطبة لا على المتكلم[1] . وتتصل ياء الإضافة بكل من الاسم والفعل فتكون مع الاسم مجرورة المحل نحو : نفسي ، وتكون مع الفعل منصوبة المحل نحو: "أدخلني" ومع الحرف مجرورة المحل ومنصوبته نحو: لي ، إنّي ، وفي هذا قال مكي القيسي: " اعلم أنّ ياء الإضافة زائدة أبداً وهي اسم المضاف إليه وأصلها الحركة ، لأنّ الاسم لا يكون على حرف واحد ساكن والدليل على أنّ أصلها الحركة أنّها كالكاف في"عليك وإليك" وكالتاء في "رأيت " و " أرأيت " وهذه المضمرات لا تكون إلا متحركات وكذلك ياء الإضافة ، وإنّما جاز إسكانها استخفافاً " [2] .

وسيدور الحديث في هذا الموضوع حول أمرين هما :

١. الحذف والإثبات في ياءات الإضافة .
٢. المتحرك والساكن في ياءات الإضافة .

١ . الحذف والإثبات :

سنخرج هنا عن اصطلاح القراء في تعريفهم ياءات الإضافة لتشمل الياء الأصلية في الفعل والاسم لأنّه ورد فيها قضايا مهمة لا بد من التطرق إليها ومن ذلك نقل أبو

---

١. انظر : الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربيّة . المحيسن ، محمد سالم ، ص ١٨٠ ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٢. الكشف . القيسيّ ، (-٤٣٧هـ) ، ٣٢٤/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حيان في تفسيره عن الزمخشري : " أنّ الاجتزاء بالكسر عن الياء كثير في لغة هذيل " [1] ، ومثل هذا ورد عن نافع ، فقد ذكر أبو حيان أنّه " قد قرأ النحويان ونافع قوله تعالى : " يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه " [2] يأتي بإثبات الياء وصلا وحذفها وقفاً وهي ثابتة في مصحف أبيّ " [3] ويذكر ابن جني أنّ " حذف الياء في هذا ونحوه في الوقف إنّما هو لرؤوس الآي وتشبيههم إياها بالقوافي ... وكذلك أيضاً من قرأ " السبيلا " و " الظنونا " إنما هو مشبه بوقوفهم على القوافي " [4] ، فابن جنى يرى أنّها قضية لهجية وجماليات موسيقية وردت للتناسق اللفظي والجرس الموسيقي في تجويد القرآن ، وكذلك الأمر بالنسبة للياء الأصلية فقد ذكر ابن مجاهد أنّ نافعاً كان يثبت الياء في نحو " الداعِ إذا دعانِ " إذا وصل ويحذفها في الوقف . [5] وإثبات الياء لغة الحجاز ، وحذفها لغة هذيل ، ولكنّ نافعاً راعى في قضية الحذف والإثبات قضيتي الحفاظ على الأصل اللغوي في الوقف والحفاظ على النسق الموسيقي والتسهيل في الوصل .

٢. المتحرك والساكن :

مع أنّ الأصل في ياء الإضافة الحركة إلا أنّ علماء القراءات عدوا هذا الأصل ثقلاً وأنّ التسكين هو التخفيف من هذا الثقل ، قال مكي القيسي : " والياء حرف ثقيل فإذا تحرك ازداد ثقلاً ، ويدل على ثقل الحركة على الياء أنّها تقلب ألفاً إذا تحركت وانفتح ما قبلها في أكثر الكلام وأنّهم لما حركوها أعطوها الفتح الذي هو أخف الحركات " [6] .

---

١. البحر المحيط . أبو حيّان ، ٢٦١/٥ ، ٢٦٢ .
٢. سورة هود ، آية ١٠٥ .
٣. البحر المحيط . أبو حيّان ، ٢٦٢/٥ .
٤. سرّ صناعة الإعراب . ابن جنّي ، ٢/ ٤٧١ .
٥. انظر : السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٩٧ .
٦. الكشف . القيسيّ ، ٣٢٤/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنّ عدّة ما اختلف القراء فيه من ياءات الإضافة مئة وخمس وسبعون ياء فتحها ورش عن نافع إلا ثلاثاً وعشرين فإنّه أسكنها ، وهذه الياءات التي أسكنها نافع موضحة في الجدول التالي : [1]

النص القرآني	السورة والآية	النص القرآني	السورة والآية
اذكروني أذكركم	البقرة ١٥٢	يا ليتني اتخذت	الفرقان ٢٧
وإنّ هذا سراطي مستقيماً	الأنعام ١٥٣	إن معي ربي	الشعراء ٦٢
	ـــــــــــ	ما لي لا أرى	النمل ٢٠
معي بني إسرائيل	الأعراف ١٠٥	معي ردءاً	القصص ٣٤
وإنّي اصطفيتك	الأعراف ١٤٤	إنّ أرضي واسعة	العنكبوت ٥٦
معي عدواً	التوبة ٨٣	ولي نعجة واحدة	ص ٢٣
وما كان لي عليكم	إبراهيم ٢٢	وما كان لي من	ص ٦٩
معي	الكهف ٦٧، ٧٢	ذروني أقتل موسى	غافر ٢٦
من ورائي وكانت	مريم ٥	ادعوني أستجب	غافر ٦٠
هارون أخي أشدد	طه ٣٠ ، ٣١	يا عبادي لا خوف	الزخرف ٦٨
ذكر من معي	الأنبياء ٢٤	بيتي مؤمناً	نوح ٢٨

أمّا ما تبقى من ياءات الإضافة التي خصّصها تعريف القراء بياء المتكلم ، فإنّ نافعاً قد فتحها جميعاً على الأصل رغماً عن النقل المزعوم فيها كما قرأ قالون بمثل ذلك وزاد على ورش ثماني ياءات .

أمّا القراءة بالوجهين فقد روي أنّ رواة نافع قد قرءوا بالوجهين الفتح والإسكان في ثلاثة مواضع هي : موضعان رواهما ورش وهما قوله تعالى: " **إنّي أوفي الكيل** "[2]

---

١. انظر : الكشف . القيسيّ ، ٣٢٥/١ . و السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٥٣ .

٢. سورة يوسف ، آية ٥٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى : " **قل هذي سبيلي** " [1] ، وموضع رواه قالون وهو قوله تعالى : " **إلى ربي إنّ لي عنده** " [2] .

في الجدول السابق والآيات الثلاثة الأخرى نلحظ أنّ رواة نافع قد قرءوا اليـاءات فيها بالإسكان وبالفتح على الوجهين ويبدو أنّ السر في قراءة نافع يكمن هنا في اختياره للوجهين في القراءة : وجه التسهيل وهو الإسكان ، ووجه الصعوبة في نطق الصوت وهو الفتح على الأصل ، ومعروف أنّ منهج نافع هو الأخذ بالأسهل في النطق ، فلـمَ أخذ بالأصعب كأكثرية في هذا الباب ؟

ليست القضية قضية السهولة أو الصعوبة في نطق الياء لكنّ الأمر متعلق بقضية الوصل والوقف على هذه الياءات في إثبات الحركة أو التسكين ، فإذا كان هنالك وصل فإنّ الحركة أخف وأسهل على اللسـان أمّا إذا كان الوقف على الياء فـإنّ التسـكين يكون أخف وأسهل ، وهذا هو منهج أهل المدينة في القراءة ، ومما يدل على أنّ فـي الفتح خفة عند الوصل قول الكسائي : " رأيت العرب إذا لقيت الياء همزةً استحبوا الفتح فيقولون : " **إنّيَ أعلم** " [3] وقد قرأ نافع هذه الياء بـالفتح دون الإسـكان لأنّ العـرب استحبوا الفتح فيها وهذا دليل على خفتها على ألسنتهم ، وهذا ما أكده المحيسـن فـي كتابه المهذب في القراءات حيث قال : " " إنّيَ أعلم " قرأ نافع وابن كثير وأبو عمـرو وأبو جعفر بفتح ياء الإضافة وصلاً للتخفيف " [4] .

إنّ السبب في مثل هذا التنوع في القراءة لا يقتصر على القضايا اللهجية أو قضايا السهولة والصعوبة بل قد يتعداه إلى ما هو أعمق وأكثر أهمية وهي القضايا المعنويـة ودليل ذلك ما أورده النحاس في ياء الإضافة في قوله تعالى : "**ومالـيّ لا أرى الهدهد**"[5]

---

١. سورة يوسف ، آية ١٠٨ .

٢. سورة فصلت ، آية ٥٠ .

٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٦١/١ . والآية من سورة البقرة ، آية ٣٣ .

٤. المهذب في القراءات العشر . المحيسن ، محمد سالم ، ٥١/١ ، دار الأنوار ، مصر ، ١٩٧٨ .

٥. سورة النمل ، آية ٢٠ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حيث قال : " قراءة المدنيين وأبي عمرو بإسكان الياء ، وقرءوا : " **وما ليَ لا أعبد** " بتحريك الياء ، فزعم قوم أنّهم أرادوا أن يفرقوا بين ما كان مبتدأ وبين ما كان معطوفاً على ما قبله ، قال أبو جعفر : وهذا ليس بشيء ، وإنّما هي ياء النفس من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها ، فقرءوا باللغتين والدليل على هذا أنّ جماعة من القراء قرءوها جميعا بالفتح منهم عبد الله بن كثير وعاصم والكسائي ، وأنّ حمزة قرأهما جميعاً بالتسكين ، واللغة الفصيحة في ياء النفس أن تكون مفتوحة لأنّها اسم وهي على حرف واحد فكان الاختيار أن تسكن فيجحف بالاسم " [1] حيث نرى ما ينطوي عليه هذا النص من بيان اختلاف العلماء في بيان أسباب هذا الاختلاف في منهج القراء ، فأبو جعفر يفند الزعم القائل بالتفرقة بين ما كان مبتدأ وما كان معطوفاً ويدعي بأنّها ياء النفس يجوز فيها الفتح والإسكان ، أمّا اختيار وجه واحد وخاصة وجه التسكين فهو إجحاف بحق اسميتها .

وهذا ما يدلّ على أنّ الأصل فيها الفتح وهو خلاف ما أقره ابن الجزري من أنّ " الإسكان هو الأصل لأنّها مبنية والأصل في البناء السكون " [2] .

لا شكّ أنّ الفتح والإسكان هو من قبيل الزيادة والحذف في بنية الكلمة ، فلا بد أن يؤدي هذا إلى أثر معنوي وفائدة بلاغية وقد جاء في قراءة نافع ما يمثّل هذا فهو عندما قرأ : " **وما ليْ لا أرى الهدهد** " وقف وقفاً خفيفاً على الياء لبيان التسكين الذي يعني الحذف في الاسم والذي أفاد معنى التهديد والوعيد ، في حين أنّه فتح مثل هذه الياء في مثل هذا اللفظ في سياق آخر ، فقرأ : " **وما ليَ لا أعبد الذي فطرني** " فأبقى الاسم على أصله في فتح الياء مع الوصل مما أفاد التوكيد على حق الله في العبادة .

---

١. إعراب القرآن . النحّاس ، ٥١٢/٢، ٥١٣ . والآية من سورة يس ، آية ٢٢ .

٢. الظواهر الصوتيّة في قراءة الأعمش . حنفيّة ، نادر ، ص ١٣٨ ، رسالة رقم ٤٣٤٦ ، اليرموك ٢٠٠١ ، نقلاً عن النشر ، ابن الجزريّ ، ١٦١/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا التراوح بين الفتح والإسكان يحمل دلالات معنوية حيناً في حين أنّه كثيراً ما يكون عبارة عن قضايا لهجية ، أو طرق صوتية بقصد التسهيل ، مما جعل عدداً من الدراسات السابقة تؤكد في نتائجها على أنّه لا يوجد تفسير حقيقي لفتح أو إسكان ياء المتكلم [١] .

إن التنوّع في قراءة هذه الياءات لابد من أنه يحمل في طياته فوائد قد نجهلها الآن والذي يدل على ذلك ما ذكر من الأمثلة على هذه الفوائد فمثلا قولة تعالى : " **إلا أمانيّ وإن هم إلا يظنون** " [٢] قرأ نافع إلا أمانيَ من غير تشديد و هذا دلنا على أن الياء المشددة الثانية هي الياء الأصلية فيكون وزنها على أفاعيل وأمانيَ على أفاعل لأنّ أمانيّ من أمنيّة مثل أضحيّة وأغنيّة ومن هنا قال الفراء : " وهو كما يقال : القراقير والقراقر ، فمن قال الأمانيَ بالتخفيف فهو الذي يقول القراقر ، ومن شدّد الأمانيّ فهو الذي يقول القراقير والأمنيّة في المعنى التلاوة كقول الله عزّ وجلّ : " **إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته** " أي في تلاوته ، والأمانيّ أيضاً أن يفتعل الرجل الأحاديث المفتعلة " [٣]

أما في قولة تعالى : "**يا بُنيَّ** " [٤] ، فقد قرأ نافع بكسر الياء "يا بُنَيِّ " دلالة على الياء المحذوفة وفيها قال النحاس : "ومن فتحها فلخفة الفتحة عنده " [٥] ومن هنا كان الفتح والإسكان والحذف كذلك له دلالات وفوائد معنوية قد نعرف أقلها ولكننا نجهل الكثير من الدلالات التي تحتاج الكثير من التعمق والبحث بروية وأناة .

---

١. انظر : الظواهر الصوتيّة في قراءة الكسائيّ . بني مصطفى ، عبير ، ص ١١٥ ، رسالة رقم ٣٤٩٢ ، اليرموك ، ١٩٩٨ . و الظواهر الصوتيّة في قراءة الأعمش . حنفيّة ، نادر ، ص١٣٩ .

٢. سورة البقرة ، آية ٧٨ .

٣. معاني القرآن . الفرّاء ، ٤٩/١، ٥٠ .

٤. سورة لقمان ، الآيات ١٣، ١٦ ، ١٧ .

٥. إعراب القرآن . النحّاس ، ٦٠٢/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يضاف إلى هذه الفوائد ما يحدثه فتح وإسكان ياء المتكلم من تغيير في البنية المقطعية المضافة إليها إذا قورن الفتح بالإسكان في هذه الياء ، ويتمثل هذا التغيّر في زيادة عدد مقاطع الكلمة عند الفتح بمقدار مقطع واحد عن الإسكان وهذا ما يوضحه المثال التالي في بيان عدد المقاطع الصوتية في كلمة "سبيلي "بين الإسكان والفتح :

إسكان ياء الإضافة	فتح ياء الإضافة
سَ / بِيـْ / لِيْ	سَ / بِيـْ / لِيْ / يَ
ثلاثة مقاطع صوتية	أربعة مقاطع صوتية

والفرق بين البينة المقطعية للكلمة في حالة الإسكان وبنيتها في حالة الفتح فرق واضح فالمقطع الأخير عند فتح الياء تتصل بنيته في مطلع الكلمة التي بعد كلمة " سبيليَ " والمقطع الأخير في كلمة " سبيليْ " عند الإسكان منفصل عما بعده وهو مقطع طويل مفتوح.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الثاني

القضايا الصرفيّة في قراء نافع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

الاشتقاق

الاشتقاق لغة : " أخذ شقّ الشيء ، وأخذ الكلمة من الكلمة " [1] وهذا لا يعني أنّ الأخذ هو الاقتطاع والتجزئة فقط بل أنّه يشمل الأصل وزيادة عليه أو يكون هنالك نقصان على هذا الأصل .

أمّا في الاصطلاح ، فقد ذكر العكبري أنّ أقرب عبارة في تعريف الاشتقاق ما ذكره الرماني * بقوله : " الاشتقاق : اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل " [2] ، ويضيف العكبري مبيناً ما تضمنه هذا التعريف من معاني حيث قال : " فقد تضمن هذا الحد معنى الاشتقاق ولزم منه التعرض للفرع والأصل وأمّا الفرع والأصل فهما في هذه الصناعة غيرهما في صناعة الأقيسة الفقهية والأصل ها هنا يراد به الحروف الموضوعة على المعنى وضعا أولياً والفرع لفظ يوجد فيه تلك الحروف مع نوع تغيير ينضم إليه معنى زائد على الأصل والمثال في ذلك الضرب مثلا فإنّه اسم موضوع على الحركة المعلومة المسماة ضربا ولا يدل لفظ الضرب على أكثر من ذلك ، فأمّا ضرب يضرب وضارب ومضروب ، ففيها حروف الأصل ، وهي الضاد والراء والباء ، وزيادات لفظية لزم من مجموعها الدلالة على معنى الضرب ومعنى آخر " [3] ، فالاشتقاق اللغوي لا يشبه الأقيسة الفقهية ذلك أنّ هذا الاشتقاق وإن اعتمد مبدأ القياس إلا أنّه قياس مطّرد وتحكمه ظروف السماع والشيوع والاستخدام والهجر

---

١. القاموس المحيط ، مادة "شقّ" .

* هو أبو الحسين علي بن عيسى الرمّانيّ النحويّ ، إمام في اللغة والنحو ، أخذ النحو عن ابن السرّاج وابن دريد ، وكان من كبار النحويّين المتفنّنين في علوم كثيرة في التفسير والنحو منها شرح سيبويه في نحو سبعين جزءاً ، وكتاب الحدود ، وغير ذلك ، وتوفي سنة ٣٨٤هـ . (انظر : إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويّين . عبد الباقي اليمانيّ ، ص ٢٢١) .

٢. مسائل خلافيّة في النحو . العكبريّ ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، ١/٧٤ ، تحقيق : محمد خير الحلوانيّ ، ط ١ ، دار الشرق العربيّ ، بيروت ، ١٩٩٢ .

٣. المرجع السابق ، ١/٧٤ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في حين أنّ الأقيسة الفقهية ثابتة مطلقاً ، والاشتقاق في تعريفه الاصطلاحي قد يبتعد عن التنوع والتبادل اللفظي ليشمل اشتقاق المعاني ومن ذلك أنّ أبا هلال العسكري عدّه لوناً من ألوان البديع ، فقال في تعريفه : " وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده في مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد في نفطويه :

لو أوحي النحو إلى نفطويه ما كان هذا العلم يعزى إليه
أحرقه الله بنصف اسمه وصيّر الباقي صياحاً عليه [1]

وهو بهذا يعطي الاشتقاق بعداً جديداً ، وهو ابتكار المعاني كما هو واضح في بيتي الشعر السابقين ، فقد جزّأ ابن دريد اسم نفطويه إلى نفط وهي مادة الوقود وكلمة ويه وقصد بها البكاء والصياح .

إنّ العبارة السابقة التي ذكرها الرماني في تعريف الاشتقاق أشارت إلى اطّراد الاشتقاق وعدم شمولية القياس فيه ويبدو أنّ مردّ هذا إلى كون أنّ هنالك أسماء لا أفعال لها وأنّ هنالك أفعالاً جامدة أصولها عربية لا يشتق منها والأمر في هذا وذاك مرده إلى السماع لأنّ القياس محكوم بنصوص سماعية في اللغة إلا أنّ هنالك من عارض هذه الفكرة ومن هؤلاء أحمد بن فارس الذي يقول : " أجمع أهل اللغة ــ إلا من شذ منهم ــ أنّ للغة العرب قياساً وأنّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض وأنّ اسم الجن مشتق من الاجتنان وأنّ الجيم والنون تدلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع جنة وأجنة الليل وهذا جنين أي هو في بطن أمّه وأنّ الإنس من الظهور يقولون: أنست الشيء أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب علم ذلك من علم وجهله من جهل قال وهذا مبني أيضا على ما تقدم من أنّ اللغة توقيف فإنّ الذي وقفنا على أنّ الاجتنان الستر هو الذي وقفنا على أنّ الجنّ مشتق منه وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأنّ في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها قال

---

١. خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجة الحمويّ ، تقيّ الدين أبو بكر علي (-٨٧٣هـ) ، ٢/ ٢٨٦ ، تحقيق : عصام شعيتو ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونكتة الباب أنّ اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن " [1] فابن فارس يقرّ بحتميّة الاشتقاق فإنّه لا بد من أنّ لكلّ مادة لغوية معنى مشتركاً يربط بين جميع مشتقات هذه المادة زادت أو نقصت .

جوانب الاشتقاق في قراءة الإمام نافع

لقد استخدم الإمام نافع في مواطن كثيرة من النص القرآني ألفاظاً تختلف في بنيتها عن الألفاظ التي استخدمها غيره من القراء وهذا الاستخدام لألفاظ متغيرة في نص ثابت كالقرآن الكريم لا بد أنّه يشكل بحد ذاته ظاهرة تستحق المناقشة والوقوف على المفردات المختلفة ملياً ومناقشة معانيها وبيان الفروق بينها وبالتالي لنلحظ ، هل أنّ النص القرآني اختلف فعلاً أم لا ؟ انطلاقاً من أنّ كل تغيير في المبنى يلحقه تغيير في المعنى ، وهل هذا ينطبق على القراءات القرآنية ؟ فإن انطبق فما هي الفائدة التي جنتها هذه التغيرات ؟ وإن لم ينطبق فما هو السر الذي جعل القرآن يستوعب هذه التغيرات في الأبنية المختلفة في النص الواحد ؟ .

وفيما يلي جدول يبين جوانب اختلاف الاشتقاق في قراءة الإمام نافع عن قراءة حفص عن الإمام عاصم (النص القرآني الذي بين أيدينا) ضمن مستويات الاشتقاق الثلاثة وهي:

اختلاف الحركات ،اختلاف الحروف ، القلب المكاني :

---

١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ــ السيوطيّ ، جلال الدين (-٩١١هـ) ، ١/٢٧٤ ، ٢٧٥ ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، ط١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٩٨ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أ. اختلاف الحركة :

النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية	النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية
مُخْلَصاً	مُخْلِصاً	مريم ٥١	مُسْتَنْفِرة	مُسْتَنْفَرة	المدثر ٥٠
مُفْرَطون	مُفْرِطون	النحل ٦٢	دَأْباً	دَأْباً	يوسف ٤٧
مُبَيِّنات	مُبَيَّنات	النور ٣٤، ٤٦	السَّلْم	السِّلْم	البقرة ٢٠٨
مُسْتَقِرّ	مُسْتَقَرّ	القمر ٣	غُرْفَة	غَرْفَة	البقرة ٢٤٩
قَدَرُه	قَدْرُه	البقرة ٢٣٦	برَبوة	برُبوة	البقرة ٢٦٥
عَسَيتم	عَسِيتم	البقرة ٢٤٦	يحسَبهم	يحسِبهم	البقرة ٢٧٣
هَيْتَ	هِيْتَ	يوسف ٢٣	حجّ	حَجّ	آل عمران٩٧
يَنْحِتون	يَنْحَتون	الحجر ٨٢	مُتّم	متِم	آل عمران١٥٧
بِشِقّ	بِشَقّ	النمل ٧	مُدْخَلاً	مَدْخَلاً	النساء ٣١
ظَعْنكم	ظَعَنكم	النحل ٨٠			والحج ٥٩
ضَيْق	ضِيق	النحل ١٢٧	الدَّرْك	الدَّرَك	النساء ١٤٥
وِعاء	وُعاء	يوسف ٧٦	للسُّحْت	للسَّحْت	المائدة ٢٢
القِسْطاس	القُسْطاس	الإسراء ٣٥	حَرَجاً	حَرِجاً	الأنعام ١٢٥
ورَجِلك	ورَجْلك	الإسراء ٦٤	حَصاده	حِصاده	الأنعام ١٤١
مِرْفَقاً	مَرْفَقاً	الكهف ١٦	ضَعْفاً	ضَعَفاً	الأنفال ٦٦
عُقْباً	عُقُباً	الكهف ٤٤	قُرْبة	قُرُبة	التوبة ٩٩
نُكْراً	نُكُراً	الكهف ٧٤،٧٨	لمَهْلَكهم	لمُهْلَكهم	الكهف ٥٩
نَسْياً	نِسْياً	مريم ٢٣	السَّدّين	السُّدّين	الكهف ٩٣
سُوىً	سِوىً	طه ٥٨	عِتِيّا	عُتِيّا	مريم ٨، ٦٩
سِخْرِيّا	سُخْرِيّا	المؤمنون ١١٠، ص ٦٣	جِثِيّا	جُثِيّا	مريم٦٨، ٧٢
			خُلُق	خُلْق	الشعراء١٣٧
فمَكَثَ	فمَكُثَ	النمل ٢٢	مَهْلِك	مُهْلِك	النمل ٤٩
جَذْوة	جِذْوة	القصص ٢٩	الرَّهْب	الرَّهَب	القصص٣٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضَعْف	ضُعْف	الروم ٥٤	أُسْوة	إسْوة	الأحزاب ٢١
خَاتَم	خَاتِم	الأحزاب ٤٠	شُغُل	شُغْل	يـــس ٥٥
نُصْب	نُصُب	ص ٤١	يَصِدّون	يَصُدّون	الزخرف ٥٧
فاعتلوه	فاعتُلوه	الدخان٤٧	نَصُوحا	نُصُوحا	التحريم ٨
عُذْرا، نُذْرا	عُذْرا،نُذْرا	المرسلات ٦	بَرِق	بَرَقَ	القيامة ٧
مَقَام	مُقَام	الدخان ٥١	مُقَام	مَقَام	الأحزاب ١٣

ب. اختلاف الحروف

النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية	النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية
فارهين	فرهين	الشعراء ١٤٩	قِيَماً	قَيِّماً	الأنعام ٦١
مذءوماً	مذوماً	الأعراف ١٨	طيراً	طائراً	المائدة ١٠٧
قِياماً	قِيَماً	النساء ٦	ـــــ	ـــــ	الأنعام ٩٦
السَّلام	السَّلَم	النساء ٩٤	جَعَلَ	جاعل	الكهف ٩٨
لساحر	لسحر	يونس ٢	دكّاء	دكّاً	طه ٥٣
بَقِيّة	بَقْيه	هود ١١٦	مهداً	مهاداً	الحج ٤٠
حافظاً	حِفْظاً	يوسف ٦٤	دَفْعُ	دِفاعُ	الشعراء ٥٦
خِلافك	خَلْفك	الإسراء ٧٦	حاذرون	حذرون	النمل ٨٧
زكيّة	زاكية	الكهف ٧٤	أتوه	آتَوه	القصص ٤٨
غسّاق	غَسَاق	ص ٥٧	سحران	ساحران	يس ٥٥
إحساناً	حسناً	الأحقاف ١٥	فاكهون	فكهون	الانشقاق ٣١
مالك	ملك	الفاتحة ٤	فكهين	فاكهين	يس ٣٣ ،
			الميّتة	الميْتة	الأنعام ١٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ج. القلب المكاني :

النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية
نأى	ناء	الإسراء ٨٣

ولبيان أثر اختلاف القراءات في النص القرآني بمقارنة الأثر المعنوي بين قراءة الإمام نافع وبين النص القرآني عبر المستويات المختلفة ، نبدأ بالمستوى الأول وهو اختلاف الحركة .

أولاً : اختلاف الحركة :

إنّ اختلاف الحركة تكون فائدته في أحد أمرين : إمّا أن يكون للتخفيف من ثقل ما أي أنّه لهجة خالصة وإمّا أن يكون للمعنى ولا يعني ذلك أننا سنناقش كلا الأمرين منفصلاً على حدة بل سيكون بيان ذلك من خلال الأمثلة العديدة ، ونبدأ مع قوله تعالى : " **واذكر في الكتاب موسى إنّه كان مخلَصاً وكان رسولاً نبياً** "[1] ، فقد قرأ الإمام نافع هذه اللفظة بكسر اللام وهو ما يعني أنّ الاختلاف وقع في قضية معنوية فمخلَص بالفتح اسم مفعول وبالكسر اسم فاعل وهما من الفعل المزيد أخلص فهي بالكسر تعني " موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه وكان رسولاً نبياً أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع أنّه أخص وأعلى "[2] ، وقال أبو جعفر : " والصواب من القول في ذلك عندي أنّه كان صلى الله عليه وسلم مخلِصاً عبادة الله ، مخلَصاً للرسالة

---

١. سورة مريم ، آية ٥١ .

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاويّ . البيضاويّ ، ناصر الدين أبو سعيد (-٧٩١ هـ) ، ٢٠/٤ ، تحقيق : عبد القادر عرفات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنبوة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب " [1] وقد ذكر النحاس ما يوضح هذا التقارب حين قال : " مخلَصا أي أخلصناه فجعلناه مختاراً خالصاً من الدنس ومعنى مخلِصاً بكسر اللام وحّد الله عز وجل بطاعته وأخلص نفسه من الدنس " [2] ، فالمعنى المشترك أنّه أخلص من الدنس وهي النتيجة التي تلتقي عندها الآية في القراءتين وهذا أدّى إلى تكامل المعنى وذلك لأنّ النبيّ موسى عليه السلام كان مختارا للرسالة من عند الله وأطاع الله وأخلص العمل له ، فأخلصه الله من الدنس وأخلص نفسه من هذا الدنس أيضاً ؛ فكان نقي الجسد والنفس والروح .

ومثل هذا نلحظه في قوله تعالى : " **ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى لا جرم أنّ لهم النار وأنهم مفرَطون** " [3] ، التي قرأها نافع بكسر الراء وهي من الفعل أفرط ، حيث اختلف المفسّرون في معناها فقد ذكروا لها معانٍ عدّة هي: مضيّعون ، ومقصّرون ومتروكون ومنسيّون ومعجلّون لأنّهم يجعلون لله ما يكرهون وهن البنات ، وقال البيضاوي معنىً آخر هو : " وأنّهم مفرَطون مقدّمون إلى النار من أفرطته في طلب الماء إذا قدّمته وقرأ نافع بكسر الراء على أنّه من الإفراط في المعاصي " [4] وهو بهذا يكون التقاء المعنى لا اختلافه لأنّ الافتراءات التي يفترونها على الله تجعلهم " مفرِطون " أي مقدّمون أنفسهم إلى النار بسبب جرمهم هذا أو أنّ هذا الأمر يجلب غضب الله عليهم فهم إذاً " مفرَطون " أي مقدّمون إلى النار .

وهذا الاختلاف بين اسم الفاعل واسم المفعول لم يكن اختلافاً عامّاً في جميع القرآن ، وإنّما كان في مواطن معينة ، وهذه الاختلافات لا يمكن بأيّ حال عزوها إلى قضايا لهجيّة وإنّما يمكن أن نقول إنّ مثل هذه الاختلافات جاءت لتؤدي نوعاً من وضوح الرؤية وتكامل المعنى ، فمن الآيات القرآنية التي وقع فيها مثل هذا الاختلاف

---

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . الطبريّ ، محمد بن جرير (-٣١٠ هـ) ، ٩٤/١٦ ، تحقيق : محمود شاكر ، أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٢. معاني القرآن . النحّاس ، ٣٣٧/٤ .

٣. سورة النحل ، آية ٦٢ .

٤. تفسير البيضاويّ ، ٤٠٥/٣ ، ٤٠٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصرفي نذكر قوله تعالى : " **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيِّنات** " وقوله: " لقد أنزلنا آيات مبيِّنات " [1] ، وفيها قال الطبري : : "واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قـراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين مبيَّنات بفتح الياء بمعنى مفصَّلات وأنّ الله فصَّلهنّ وبيَّنهنّ لعباده فهنّ مفصَّلات مبيَّنات ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبيِّنات بكسر اليـاء بمعنى أنّ الآيات هنّ من تبين الحق والصواب للناس وتهديهم إلى الحق ، والصـواب من القول في ذلك عندنا أنّهما قراءتان معروفتان وقد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء مـن القرّاء متقاربتي المعنى وذلك أنّ الله إذا فصّلها وبيّنها صارت مبيِّنة بنفسها الحق لمـن التمسه من قبلها ، وإذا بيّنت ذلك لمن التمسه من قبلها ، فيبيّن الله ذلك فيهـا ، فبـأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب " [2] ، وكذلك الأمر في قوله تعالى : " **كأنّهم حمر مستنفِرة** " [3] أو " مستنفَرة " على قراءة نافع .

أمّا قوله تعالى : " **وكذّبوا واتبعوا أهواءهم وكلُّ أمر مستقِرّ** " [4] ، فقد قرأها نافع "مستقَرّ " وهنا استخدم المصدر أو اسم المكان بدلاً من اسم الفاعل لأنّ الفعل استقرّ فعل لازم ، فكيف يتم التوافق المعنوي في مثل هذا الاختلاف في الاستخدام ؟ " فبالكسـر اسم فاعل بمعنى القار وبالفتح المصدر أو المكان لأنّ استقرّ لازم " [5] وبهذا يمكن القول أنّ كل أمر مستقِرّ أي يستقر بكلّ عامل عمله فالخير مستقِرّ بأهله في الجنـة والشـر مستقِرّ بأهله في النار أمّا مستقَرّ فتعني أنّ لكل شيء وقتاً يقع فيه من غير تقدم وتأخر على اعتبار المصدر وأنّ له مكاناً ثابتاً على اعتبار اسم المكان وبهذا نلحظ أنّ المعنـى قد أخذ نوعاً من الشمولية في أداء الفكرة وليس قضية تكامل للمعنى وإنّما عملية بنـاء تصاعدي للمعنى بما يعطي نوعاً من الوضوح والشمولية في إعطاء الفكرة .

---

١. سورة النور ، آية ٣٤ ، ٤٦ .

٢. تفسير الطبريّ ، ١٣٤/١٨ . وانظر : معاني القرآن . الفرّاء ، ٢٥١/٢ .

٣. سورة المدثر ، آية ٥٠ .

٤. سورة القمر ، آية ٣ .

٥. التبيان في تفسير غريب القرآن ، ابن الهائم ، شهاب الدين المصريّ (-٨١٥ هـ) ، ١ / ١٩٥ ــ تحقيـق : فتحي الدابولي ، ط ١ ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن جوانب اختلاف الحركة نلحظ أنّ هذا الاختلاف ما هو إلا قضايا لهجية تكلّمت بها العرب على وجوه مختلفة فهي لا تتعدى الأثر الصوتي ومن أمثلة هذا النوع من الألفاظ قوله تعالى : " **قال تزرعون سبع سنين دأباً** " [1] ودَأباً على قراءة نافع وفيه قال القرطبي : "وهما لغتان وفيه قولان: قول أبي حاتم إنّه من نَئِبَ ، قال النحاس : ولا يعرف أهل اللغة إلا دَأبَ ، والقول الآخر : إنّه حرّك لأنّ فيه حرفاً من حروف الحلق قاله الفراء ، وقال : وكذلك كل حرف فتح أوله وسكّن ثانيه فتثقيله جائز إذا كان ثانيه همزة أو هاء أو عيناً أو غيناً أو حاء أو خاء وأصله العادة"[2] ، والهدف من وراء هذا الاختلاف هو التخفيف ، فالأصل والقياس فيه التسكين ولكن يجوز التحريك لكلّ مصدر فتح أوله وسكّن ثانيه وأمثلة ذلك كثيرة [3] إلا أنّ هنالك من حاول إيجاد فوارق لغوية أو جعل مثل هذه الكلمة ــ إن لم يكن ثانيها من حروف الحلق ــ كلمتين منفصلتين لا اعتبارها كلمة في لهجتين ومن ذلك ما ذكره النحاس في التفريق في قراءة قوله تعالى : " **على الموسع قَدَره وعلى المقتر قَدَره** " [4] ، وقَدَره على قراءة نافع ، فقال النحاس : " القدر بالتسكين الوسع يقال : فلان ينفق على قَدْره أي على وسعه وأكثر ما يستخدم القَدَر بالتحريك للشيء إذا كان مساوياً للشيء يقال : هذا على قَدَر هذا " [5] ، فالنحاس يرى أنّ لكل منهما معنى منفصلاً عن الآخر وليس الأمر في كونهما لهجتين لمعنى واحد كما ذكر ابن زنجلة من أنّه " كان الفراء يذهب إلى أنهما بمعنى واحد ، تقول : هذا قَدْر هذا : قَدَره " [6] ، وهم في هذا على اختلاف أيضاً في كون القَدْر مصدراً والقَدَر اسماً [7] والواقع أنّ مثل هذه الألفاظ ليس ما يشير فيها إلى وجود فوارق لغوية وإنّما هي لا تتعدى أكثر من أن تكون لهجات في بيئات مختلفة

---

١. سورة يوسف ، آية ٤٧ .

٢. الجامع لأحكام القرآن . القرطبيّ ، أبو عبد الله أحمد الأندلسيّ (-٦٧١ هـ) ، ٢٠٣/٩ ، تحقيق : أحمد البردوني ، ط ٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .

٣. انظر : الجدول السابق في هذا المبحث .

٤. سورة البقرة ، آية ٢٣٦ .

٥. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢٧١/١ .

٦. حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٣٧ .

٧. انظر : الحجّة في القراءات . ابن خالويه ، ص ٩٨ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

للفظة الواحدة ولو وضعنا مثل هذه الألفاظ بقرب بعضها لما وجدنا من فـوارق بينهـا ولنأخذ مجموعة منها : (ظَعْنكم : ظَعَنكم ، نَهْر : نَهَر ، دأْب : دأَب ، قدْر : قَدَر) ، فليس هنالك من قضية خفة أو ثقل تلحظ ، وهي جميعها متساوية فـلا بـد أن تكـون لهجات لا وجود للفوارق اللغويّة المدّعاة بينها .

أمّا بالنسبة للاختلاف الواقع في حركات الأفعال نحو : عسَيتم في قوله تعالى : " **فهل عسَيتم إن توليتم** " [1] ، و" عسِيتم " على قراءة نافع ، وقوله : " **يحسَبهم الجاهل أغنياء من التعفف** " [2] و" يحسِبهم " على قراءة نافع وقوله : " **ولئن قتلتم في سبيل الله أو مُتّم** " [3] و" مِتّم " على قراءة نافع ، وقوله : " **ينحِتون الجبـال بيوتـاً** " [4] ، وينحَتون على قراءة نافع وغير ذلك من الأفعال كما هو موضح في الجدول السـابق ففي عسيتم قال القرطبي : " عسيتم بالفتح والكسر لغتان وبالثانية قرأ نـافع والبـاقون بالأولى وهي الأشهر قال أبو حاتم: وليس للكسر وجه وبه قرأ الحسن وطلحة * قال مكي في اسم الفاعل عس فهذا يدل على كسر السين في الماضي والفتح في السين هي اللغة الفاشية قال أبو علي ووجه الكسر قول العرب هو عس بذلك مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل في نحو نعم ونعم وكذلك عسيت وعسيت فإن أسند الفعل إلى ظـاهر فقياس عسيتم أن يقال عسى زيد مثل رضي زيد فإن قيل فهو القياس وإن لم يقل فسائغ أن يؤخذ باللغتين فتستعمل إحداهما موضع الأخرى " [5] ، إلا أنّ هنالك من رفض مثل هذه القراءة وبعضهم أشار إلى رداءتها : " قال أبو حاتم : لا وجه لعسِيتم ... ولو كان

---

١. سورة البقرة ، آية ٢٤٦ .

٢. سورة البقرة ، آية ٢٧٣ .

٣. سورة آل عمران ، آية ١٥٧ .

٤. سورة الحجر ، آية ٨٢ .

* الحسن : هو الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصريّ ، إمام زمانه علماً وعمـلاً ، قـرأ علـى حطّـان الرقاشيّ عن أبي موسى الأشعريّ ، وعلى أبي العالية وأبي زيد . (غاية النهاية . ابن الجزري ، ٢٣٥/١).
طلحة : هو أبو محمد بن أبي بكر اليابريّ الإشبيليّ ، كان نحويّاً ماهراً مقرئاً متقناً ، عروضيّاً حاذقـاً ، ذا حظ وافر من الأدب ، عارفاً بطريق الرواية ، وتواريخ الرجال وأحوالهم ، توفي في حدود سنة ٦٤٥ هـ . (بغية الوعاة . السيوطيّ ، ١٩/٢، ٢٠) .

٥. تفسير القرطبيّ ، ٢٤٤/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كذا لقرئت فعسِي الله وقال أبو جعفر : حكى يعقوب بن السكّيت وغيره أنّ " عسِيْت " لغة ولكنها لغة رديئة فإذا قال عسَى الله ثم قال : " فهل عسِيتم " استعمل اللغتين جميعاً إلا أنّه ينبغي له أن يقرأ بأفصح اللغتين وهي فتح السين " [1] ، ويبدو أنّ مقياس الفصاحة الذي يعنيه هو الشيوع على الألسنة وربما كان الكسر إشارة إلى أنّ الأصل فيها عسي مثل رضي أو أنّ له بناءان هما عسى وعسي ومثل هذا لفظة " متّم بكسر الميم وضمها وفيها قال ابن خالويه : " فالحجة لمن أجراه على أصله من ذوات الواو ، كقولك : قُلت تقول ، وجُلت تجول ، والحجة لمن كسر أنّه بناه على خِفت تخاف ، ونِمت تنام والضم أفصح وأشهر " [2] ، ويبدو أيضاً أنّ مقياس الفصاحة هو الشيوع على الألسنة ففي المثال السابق نجد بأنّ عاصماً من استخدم اللفظة الأفصح في حين أنّ نافعاً استخدم اللغة الرديئة وفي المثال الثاني حصل عكس ذلك فماذا نقول في مثل هذه الحالة ؟ لا بدّ أنّ مقياس الشيوع هو المقياس الرديء للحكم على فصاحة ورداءة الألفاظ ، فما يكون شائعاً في بيئة ما يكون مجهولاً في بيئة أخرى وعلى هذا فإنّ القول بالرداءة والفصاحة قول غير عادل ، لأنّ في ورود هذه الألفاظ على ألسنة الثقات وأصحاب القراءات المتواترة دليلاً على علو الفصاحة فيها ؛ لأنّ الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أفصح العرب كان قد أقرّها ، ودليل ذلك أيضاً أنّ النحاس قال: " أهل الحجاز يقولون متِم ، وسفلى مضر يقولون متُم بضم الميم " [3] ، وقد قال سيبويه بأنّ الكسر شاذ [4] ، ويبدو أنّ التعليل الأنسب ما ذكره الكوفيون الذين قالوا : " من قال متّ ، قال : يَمات . مثل خِفت يَخاف ، ومن قال : مُتّ . قال : يَموت " ، " وهذا قول حسن " [5] . ويبدو أنّ قول سيبويه بشذوذ الكسر يرجع إلى أنّه لا قياس في متّ يموت ، فالأمر في اختلاف القراءة يتفق مع واقع اللهجات العربية ولا ينفصل عنها بحال من الأحوال فالعرب لها طرائق عديدة في قياسها مما جعل الأمر يغبى

---

١. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢٧٧/١ . أبو حاتم : هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، وأبو جعفر هو : أبو جعفر النحّاس .

٢. الحجّة في القراءات . ابن خالويه ، ص ١١٥ .

٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ٣٧٣/١ .

٤. انظر : كتاب سيبويه ، ٣٦١/٢ .

٥. إعراب القرآن . النحّاس ، ٣٧٤/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

على بعض العلماء ، فحكموا بالشذوذ مع أنّها جاءت في لهجة أهل الحجاز ، ولو لـم تأتِ بلهجة أهل الحجاز لحكموا عليها باللحن .

إنّ الاختلاف على مستوى الحركة قد يكون بدافع لهجي في غالبه ولكن نرى أنّ كثيراً من علماء اللغة يحاولون التفرقة بينها إمّا من الناحيـة المعنويّـة أو التركيبيّـة كالقول بأنّ هذا مصدر وذاك اسم ، وسيكون في الاستعراض لأمثلة من ذلك وضـوح للرؤية في تعليل هذه الاختلافات ، حيث جاءت آراء العلماء في ثلاثة محاور هي :

المحور الأول : الاتفاق التام على أنّ الاختلاف في الحركة هو قضية لهجية لا معنوية ويندرج تحت هذا المحور مجموعة من الألفاظ منها :

* ربوة بضم الراء وهي لغة قريش وقراءة نافع وفتحها وهي لغة تميم وقراءة عاصم [1]
* وعاء بضم الواو على قراءة نافع وكسرها على قراءة عاصم .
* القسطاس " يقرأ بضم القاف وكسرها وهما لغتان " [2] مثل القِرطاس والقُرطاس
* عُقبا بسكون القاف وضمها على قراءة نافع .
* نُكرا بسكون الكاف وضمها على قراءة نافع قال النحاس : " نُكُرا الأصل ، ومن قرأ نُكْرا حذفت الضمة لثقلها " [3] .
* جذوة بفتح الجيم وكسرها وكذلك الضم لغات قرئ بهن .وهي مثل ربوة ورغوة .
* الرَّهب بفتح الهاء وسكونه لغتان وضم الراء والهاء لغة ثالثة .
* أسوة بضم الهمزة وكسرها لغتان فالضم لغة قيس والكسر لغة الحجاز وهي قـراءة نافع
* شغل " بضمتين وضم بعده سكون وبفتحتين وبفتحة بعدها سكون ، لغات قد قـرئ بهن " [4]

---

١. انظر : حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٤٦ .
٢. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٩٢/٢ .
٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢٨٦/٢ .
٤. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٢٠٤/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

* عُذرا ونُذرا بسكون الذال وضمها وهما لغة لأهل الحجاز [1] .
* الدَّرك والدَّرك ، الضَعف والضُعف .

المحور الثاني : الخلاف في كون اختلاف الحركة قضية لهجية أو أنّ هنالك أثراً واختلافاً معنوياً ، ويندرج تحت هذا المحور ألفاظ منها :
* نسياً بفتح النون وكسرها على قراءة نافع فالفراء أشار إلى أنّهما " لغتان مثل الجَسْر والجِسْر والحَجْر والحِجْر والوَتْر والوِتْر " [2] ، في حين أنّ العكبري حاول أن يفرق معنوياً بينهما فقال : " بالكسر هو بمعنى المنسي وبالفتح أي شيئاً حقيراً وهو قريب من معنى الأول " [3]
* غرفة بضم الغين وفتحها على قراءة نافع وقد قيل فيها أن الضم والفتح لغتان والتعليل الآخر أنّ الغُرفة بمعنى المغروف أو مقدار ما تحمله اليد أمّا الغَرفة فهي المرّة الواحدة [4]
* حجّ بكسر الحاء وفتحها على قراءة نافع لغتان وقيل بالفتح تكون مصدراً وبالكسر اسماً للمصدر .
* شقّ بكسر الشين وفتحها على قراءة نافع لغتان وقيل بالفتح تعني الجهد ينقص القوة وبالكسر النصف من القوة .
* سخريا بكسر السين وضمها على قراءة نافع لغتان وقيل بالكسر بمعنى الهزل وبالضم بمعنى الإذلال من التسخير [5] .
* مرفق بكسر الميم وفتح الفاء ، وفتح الميم وكسر الفاء على قراءة نافع لغتان ولنأخذ فيها قولي الفراء والأخفش فالفراء قال : " فكأنّ الذين فتحوا الميم وكسروا الفاء أرادوا أن يفرقوا بين المَرفِق من الأمر والمِرفَق من الإنسان وأكثر العرب على كسر الميم من

---

١. انظر : معاني القرآن . الفرّاء ، ٢٢٢/٣ .
٢. المرجع السابق ، ١٦٤/٢ .
٣. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١١٢/٢ .
٤. انظر : المرجع السابق ، ١٠٤/١ .
٥. انظر : المرجع السابق ، ١٥٢/٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأمر والإنسان والعرب تفتح الميم من مرفق الإنسان لغتان فيهما " [1] فهو بعدما حاول التفرقة معنوياً رجع وصرح باللهجية ، ومثله قال الأخفش [2] .

* السِّلْم بكسر السين وفتحها ، فقد ذكر الكسائي أنّ السَّلم والسِّلم واحد وكذا عند أكثر البصريين إلا أنّ أبا عمرو فرّق بينهما وقرأ ههنا : " **ادخلوا في السِّلْم** " وقال هو الإسلام وقرأ التي في الأنفال (آية ٦١) والتي في سورة محمد ـصلى الله عليه وسلم ـ (آية ٣٥) " السَّلْم " بفتح السين ، وقال هي بالفتح المسالمة... ومحمد بن يزيد ينكر هذه التفريقات وهي تكثر عن أبي عمرو ، واللغة لا تؤخذ هكذا وإنّما تؤخذ بالسماع لا بالقياس ويحتاج من فرق إلى دليل وقد حكى البصريون : بنو فلان سِلْم وسَلْم بمعنى واحد " [3] ، فيبدو أنّ المعنى مختلف في الواقع ولكن مؤدى ونتيجة هذا الاختلاف واحدة وهي أنّ من دخل في الإسلام فقد دخل في المسالمة والصلح .

* السّدّين بفتح السين وضمها فهي بالفتح مصدر سدّ وبالضم اسم للمسدود وقيل المضموم ما كان من خلق الله والمفتوح ما كان صفة الآدمي وقيل هما لغتان بمعنى واحد [4] .

المحور الثالث : إجماع العلماء على الاختلاف المعنوي نتيجة اختلاف الحركة ويتمثل ذلك في الألفاظ التالية :

* رَجلك بسكون الجيم وكسرها وتعني بسكون الجيم الرجالة وبكسرها وهو فعل من رجل يرجل إذا صار راجلاً ، فالرجال أو الراجلون في هذا الموطن تنصّب في المدلول نفسه .

* خلق بفتح الخاء وإسكان اللام وهي قراءة نافع : أي افتراء الأولين مثل افترائهم ، ويجوز أن يراد به الناس : أي هل نحن وأنت إلا مثل من تقدم في دعوى الرسالة والتكذيب ، وإنّا نموت ولا نعاد ، ويقرأ بضمتين وهي قراءة عاصم : أي عادة

---

١. معاني القرآن . الفرّاء ، ١٣٦/٢ .

٢. انظر : معاني القرآن . الأخفش ، ٣٩٤/٢ .

٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢٥٠/١ ، ٢٥١ . محمد بن يزيد هو : المبرّد ، وأبو عمرو هو : أبو عمرو ابن العلاء .

٤. انظر : المرجع السابق ، ٢٩٣/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأولين[1] ، وهنا اتفق العلماء على أنّ المعنى اختلف وليس في الأمر ما يشير إلى أنهما لهجتان ، ويبقى الاختلاف المعنوي من عوامل إيضاح وتكامل المعنى فعادة الأولين هي الافتراء والكذب فقراءة نافع فسرت القراءة الأخرى وبينتها ، وهذا نوع من التكامل أدّاه الاختلاف في الاشتقاق .

* مُهْلَك على قراءة نافع تعني الإهلاك ، ومَهْلِك وهو اسم موضع الهلاك كما تقول مَنْزِل لموضع النزول .

وبعد هذا العرض يتبين لنا أنّه لا يوجد تلك المقاييس الجادّة في الحكم على اختلاف الحركة بوجود فوارق لغويّة إلا ما ندر ، كما يتبين أنّ الأحكام الصادرة على وجود خلاف معنويّ في باب القراءات تزول عندما يكون هنالك التقاء معنويّ على مستوى النص وإن اختلفت معاني الألفاظ كذلك نجد أنّ اختلاف القراءة قد خدم التفسير القرآني وأعطى نوعاً من التكامل اللغوي في وضوح أبعاد الصورة وجوانب المعنى فهي على هذا المستوى قد حققت شمولية المعنى وإن كان هنالك من اختلاف في معنى الألفاظ فإنّه لا يتعدى الصورة الشكلية التي تبقى في إطار المفردة ذلك أنّ النص هو من شمل ووحد بين المعنيين وأعطاهما هذا التكامل ومن هنا يمكن القول أنّ علم القراءات هو أحد فروع علم التفسير لا غنى لمفسري القرآن عن تكوين صورة واضحة للمعاني من خلاله .

ثانياً : اختلاف الحروف

لقد لاحظنا في اختلاف الحركة أنّ الوجه الأغلب فيها هو قضية التغير الصوتي والتزام التخفيف حيناً أو هو شأن خاص بلهجة ما اتبعت في نطقها لكلمة ما منهجاً يخالف غيرها من اللهجات دون أن يكون ذلك صناعة تعمد إليها بل هي أتت عفو الخاطر حيناً آخر والأمر هنا على العكس تماماً فاختلاف الحروف في المادة الواحدة لا

١- انظر : معاني القرآن . الفرّاء ، ٢٨١/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بد له من أثر معنوي إلا ما ندر وهي أوزان تحدث عنها علماء اللغة في كتبهم ومثال ذلك قول المبرد في مجيء فَعيل وفُعال بمعنى واحد فالسبب في رأيه : " لأنّهما يقعان لشيء واحد ، تقول : طَويل وطُوال ، وخَفيف وخُفاف ، وسَريع وسُراع " [1] ، ومثاله أيضاً قول المبرد في أنّ فواعل بمعنى مفاعل : " وعلى هذا جاء " **وأرسلنا الرياح لواقح** " [2] ، ولو كان على لفظه لكان ملاقح لأنّه يقال ألقحت فهي مُلقِحة " [3] ، وفيما يلي بيان لجوانب الاختلاف الصرفي في ألفاظ النص الواحد في ضوء الاختلافات بين قراءة نافع والنص القرآني ، ومن أمثلة هذا الاختلاف :

* قوله تعالى : " **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قِياماً** " [4] و قِيَماً على قراءة نافع وفيها ثلاثة أقوال وهي : [5]

الأول : أنّ قِياماً مصدر مثل الحِول والعِوض ، وكان القياس أن تثبت الواو لتحصنها بتوسطها كما صحّت في الحول والعوض ولكن أبدلوها حملاً على قيام على اعتلالها في الفعل ، وهي هنا مثل قيام التي هي مصدر قام .

الثاني : أنّها جمع قيمة كديمة وديم والمعنى أنّ الأموال كالقيم للنفوس إذ كان بقاؤها بها .

الثالث : أن يكون الأصل قياماً ، فحذفت الألف كما حذفت في خيم .

وهناك من أشار إلى أنّها لغات وردت عن العرب ومن هؤلاء الكسائي فهو يقول: " قياماً وقواماً وقيماً ثلاث لغات والمعنى واحد ، وهو ما يقيم شأن الإنسان ويعيشهم " [6] فهذه الأقوال ليس إلا اجتهادات لا ترقى إلى الحقيقة الناصعة ولكن على الأرجح أنّها لغات للعرب وهي على هذا تكون مصدراً للفعل قام فنقول: قام قياماً وقيماً وهذا

---

١. المقتضب . المبرّد ، ٢/٢١٠ .

٢. سورة الحجر ، آية ٢٢ .

٣. المقتضب . المبرّد ، ٤/١٧٩ .

٤. سورة النساء ، آية ٦ .

٥. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١/١٦٧ .

٦. حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٩١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المصدر الأخير ليس إلا لهجة في المصدر قيام ومنبثق عنه حيث تحول صوت الألف فيها إلى حركة ولذا قال الأخفش في " قِيَماً ": "وهي حسنة ولم أسمعها من العرب " [1] .

* قوله تعالى : " **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلام لست مؤمناً** " [2] والسَّلَم على قراءة نافع وفيها قولان أحدهما ذكره القرطبي ،هو أنّ : " السِّلْم والسَّلَم والسَّلام واحد قاله البخاري وقرئ بها كلها واختار أبو عبيد القاسم بن سلام السلام " [3] ، والآخر ذكره جمع من العلماء منهم العكبري الذي يقول : " السَّلام بالألف التحية ، ويقرأ بفتح اللام من غير ألف ، وبإسكانها مع كسرة السين ، وهو الاستسلام والصلح " [4] ، وهي على هذا تؤدي هذه الاختلافات رغم الفوارق اللغويّة إلى معنى واحد وزيادة في توضيح المعنى فبما أنّ السَّلَم يعني الانقياد والاستسلام فإنّ السلام يعني قول السلام عليكم ورحمة الله وهو راجع إلى الأول لأن سلامه بتحية الإسلام مؤذن بطاعته وانقياده ، وهي على هذا أدت إلى إيضاح معنى السلام بأنّه التحية

* قوله تعالى: " **أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله** " [5] وطائراً على قراءة نافع ويبدو أنّ هنالك حكمة في كلا القراءتين وهي بيان نوع هذا الطائر وصفاته فالطير هو مصدر والطائر صفة لهذا المصدر ومن هنا فإنّ هذا الطير ليس طيراً كغيره من الطيور فهنالك طيور غير طائرة وهنالك طائر غير طير أي ليس له صفة من صفات الطيور إلا الطيران وهي الصفة الغالبة على الطيور فهذا الطير الذي خلقه سيدنا عيسى بإذن الله هو الخفاش يقول القرطبي مبيناً سبب مطلبهم من سيدنا عيسى أن يخلق لهم خفاشاً : " لأنّه أكمل الطير خلقاً ليكون أبلغ في القدرة لأنّ لها ثدياً وأسنانا وأذنا وهي تحيض وتطهر وتلد ويقال إنّما طلبوا خلق خفاش لأنّه أعجب من سائر الخلق ومن عجائبه أنّه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما تبيض سائر الطيور فيكون له الضرع ويخرج منه اللبن ولا يبصر في

---

١. معاني القرآن . الأخفش ، ٢٩٢/٢ .

٢. سورة النساء ، آية ٩٤ .

٣. تفسير القرطبي ، ٣٣٨/٥ .

٤. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١٩١/١ . وانظر : إعراب القرآن . النحّاس ، ٤٤٦/١ ، والحجّة في القراءات . ابن خالويه ، ص ١٢٦ . وحجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ٢٠٩ .

٥. سورة المائدة ، آية ١٠٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضوء النهار ولا في ظلمة الليل " [1] ، كما أنّ هذا الاختلاف في القراءة يبين أنّ هذا الطير ناقص في طبيعة الخلق فهو لا يملك إلا الوصف بأنّه طائر وفي هذا قال القرطبي : " كان يطير ما دام الناس ينظرون إلية فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى " [2] ، فقراءة نافع " طائراً " بيّنت وفسّرت شكل وهيئة هذا الطير.

* قال تعالى : " **فالق الإصباح وجعل الليل سكنا** " [3] ، وجاعل على قراءة نافع ويبدو أنّ استخدام الفعل واسم الفاعل بمنزلة واحدة في التعبير عن المعنى نفسه يقول المبرد : " فاسم الفاعل ــ قلت حروفه أو كثرت ــ بمنزلة الفعل المضارع " [4] ، والحقيقة أنّ اسم الفاعل لا يؤدي معنى المضارع فقط بل يؤدي معنى الماضي ومن هنا قال ابن خالويه : " والحجّة لمن حذفها ونصب أنّه جعله فعلاً ماضياً وعطفه على فاعل معنى ولفظاً كما عطفت العرب اسم الفاعل على الماضي لأنّه بمعناه " [5] ، فمن استخدم الفعل أو اسم الفاعل فإنّ المعنى واحد ولا تغير فيه لأن فاعل هو فعل ومن قام بالفعل فجاعل الليل هو جعل ومن قام بهذا الفعل وهو الله .

* قال تعالى على لسان موسى : " **أقتلت نفساً زكيّة بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً** " [6] و زاكية على قراءة نافع وفي هذا اختلف علماء اللغة فهناك من أشار إلى أنّ النفس الزكية هي التي أذنبت ثم غفر لها وأمّا الزاكية فهي التي لم تذنب قطّ وهو قول أبي عمرو بن العلاء [7] ، في حين أنّ الفراء لم يرى فيهما اختلافاً معنوياً بل قال : " وهي مثل قوله : " **وجعلنا قلوبهم قاسية** " وقسيّة " [8] ، ويبدو أنّ رأي الفراء هو الأنسب

---

١. تفسير القرطبيّ ، ٩٤/٤ .

٢. المرجع السابق ، ٩٤/٤ .

٣. سورة الأنعام ، آية ٩٦ .

٤. المقتضب . المبرّد ، ١١٩/٢ .

٥. الحجّة في القراءات . ابن خالويه ، ص ١٤٦ .

٦. سورة الكهف ، آية ٧٤ .

٧. انظر : تفسير البيضاويّ ، ٥١٣/٣ .

٨. معاني القرآن . الفرّاء ، ١٥٥/٢ . والآية ١٣ من سورة المائدة ، والقراءة الثانية قسيّة لحمزة والكسائي .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هنا ذلك أنّ الذي قتله الخضر لم يكن طفلاً وظاهر القرآن يدل على أنّه كان بالغاً ويدل على ذلك "بغير نفس" فهذا دليل على أنّ قتله بنفس جائز ، وهذا لا يكون لطفل ولا يقع القود إلا بعد البلوغ ومن هنا فلا يجوز التفرقة بين زكيّة وزاكية ولا يجوز القول بأنّ الزاكية هي التي لم تفعل إثماً قط .

* قال تعالى : " **الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً** " [1] ومهاداً على قراءة نافع وفيها يقول الشوكاني : " قرأ الكوفيون مهداً على أنّه مصدر لفعل مقدر أي مهدها مهداً أو على تقدير مضاف محذوف أي ذات مهد وهو اسم لما يمهد كالفراش لما يفرش وقرأ الباقون مهاداً واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم * قالا : لاتفاقهم على قراءة : " **ألم نجعل الأرض مهاداً** " قال النحاس : والجمع أولى من المصدر لأنّ هذا الموضع ليس موضع المصدر إلا على حذف المضاف قيل : يجوز أن يكون " مهاداً " مفرداً كالفراش ، ويجوز أن يكون جمعاً ، ومعنى المهاد الفراش فالمهاد جمع المهد " [2] ، فيبدو أنّ القول بأنّ المهد هو المصدر وأنّ المهاد هو الجمع وأنّ الجمع أولى من المصدر ــ قول خاطيء ، فالمعنى في هذا واحد لأنّ المهد مثل الفرش والمهاد مثل الفراش وإذا كان ذلك لأرض سلك فيها الله للناس سبلاً فلا فرق في المعنى فمهد على تقدير المحذوف تصبح : وجعل لكم الأرض مهّدها مهداً ، وكذلك مهّدها مهاداً .

* إنّ ما كان على وزن فَعِل وقراءته الأخرى فاعل فهو لا يخرج عن كونه لغات للعرب [3] ومثال ذلك : فرهين ، وفارهين . حذرون ، وحاذرون . فكهون ، وفاكهون ، إلا أنّ هنالك من حاول أن يضع فروقاً لغوية بين هذه اللهجات وهي ليس أكثر من اجتهادات لغوية [4] .

---

١. سورة طه ، آية ٥٣ .

* أبو عبيد : هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخرسانيّ أحد الأعلام المجتهدين ، وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر ، إمام أهل دهره صاحب سنّة ثقة ، توفي سنة ٢٤٤هـ . (غاية النهاية . ابن الجزري ، ١٧/٢) . وأبو حاتم : هو أبو حاتم السجستانيّ .

٢. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير . الشوكاني ، حمد بن علي (-١٢٥٠هـ) ٣٦٩/٣ ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ . وانظر : إعراب القرآن . النحّاس ، ٣٤٠/٢ .

٣. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١٦٩/٢ .

٤. انظر : معاني القرآن . الفرّاء ، ٢٨٠/٢ ، ٢٨٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

* قال تعالى : " **مالك يوم الدين** " [1] وملك على قراءة نافع بدون ألف ، في حين أنّهم اتفقوا على كلمة ملك في قوله تعالى : " الملك القدوس " وغيرها [2] ، واتفقوا على مالك في قوله تعالى : " قل اللهم مالك الملك " [3] ، فالنحاس اعتبر ذلك وجهاً لغوياً ذلك لأنّ هذه اللفظة فيها " أربع لغات : مالك ومَلْك ومِلك ومليك كما قال لبيد :

فاقنع بما قسم المليك فإنّما قسم المعايش بيننا علاّمها [4]

إلا أنّ هنالك من حاول وضع فروق لغوية هي في حدّ ذاتها تسيء إلى صدق القراءة لأنّ هذه الفروق في هذه اللفظة فروق تفضيلية ومتى حصل تفضيل فهنا حصل نوع من الإساءة فيجب الأخذ بالأقوال التي تحدّ من هذه الفروق لأنّ في ذلك محاولة لوحدة القراءة التي تؤدي لوحدة المعنى وما اختلاف الألفاظ إلا لفائدتين : صوتية وتفسيرية أي أنّ اللفظة تكتسب من خلال الكلمة المخالفة معنى جديداً لا معنى متضاداً وهذا ما أريده في هذه اللفظة ، فالذين أشاروا إلى وجود فوارق لغوية قالوا [5] : إنّ مالكاً أمدح من ملك فالملك داخل تحت المالك لأنّ المالك يجمع الاسم والفعل في حين أنّ أبا عمرو بن العلاء قد فضل ملكاً على مالك ، لأنّ ملكاً يجمع مالكاً ومالك لا يجمع ملكاً ، ويبدو أنّ هذه الفروق اللغوية خارج نطاق هذه الآية جائزة ذلك أنّ المالك ليوم القيامة والملك واحد والمعنى لا يفرق طرفة عين لأنّ الله يوم القيامة يخاطب الخلائق جميعاً : " لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار " ومن هنا كان اتفاق القراء على ملك ومالك في غير هذه الآية .

---

١. سورة الفاتحة ، آية ٤ .

٢. سورة الجمعة ، آية ١ . وكذلك وردت كلمة ملك باتفاق القراء في (سورة طه ، آية ١١ ، وسورة الناس ، آية ٢) .

٣. سورة آل عمران ، آية ٢٦ .

٤. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٢٢/١ ، والبيت من الكامل ، وهو للبيد في ديوانه ص ٣٢٠ ، ولسان العرب "خلق" ، وتاج العروس "خلق" ، (انظر : المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربيّة . أميل يعقوب ، ١٤٠/٧) .

٥. انظر : كتاب السبعة . ابن مجاهد ، ص ١٠٤ . الحجّة في القراءات . ابن خالويه ، ص٦٢ . حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ٧٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ الاختلافات اللغوية في باب الاشتقاق على مستوى الحروف لا يختلف في دوافعه وأهدافه عن اختلاف الحركة فالمتمعن في الأمثلة السابقة يرى أن أهداف الاختلافات الصرفية لا تخرج عن أهداف صوتية (لهجية) أي أنّ قبيلة كانت تستخدم لهذا التعبير اسم فاعل وتلك تستخدم المصدر للتعبير ذاته دون وجود أهداف وفوارق معنوية على مستوى الآية لكن ما من شك أنّ الأمر إذا خرج عن النص القرآني فإنّه لا بد من وجود تلك الفوارق والهدف الآخر هو هدف تفسيري وخدمة وتسهيل للناس على الزيادة والإحاطة بالمعنى ومن هنا ، وكما أسلفت فلا غنى لمفسر القرآن الكريم من أن يكون محيطاً بوجوه القراءة ومن هنا عدّ علم القراءات أحد فروع علم التفسير .

ثالثاً : القلب المكاني :

إنّ هذا النوع من الاشتقاق جاء في القرآن الكريم قليلاً جداً ففي قراءة الإمام نافع نجد لفظة واحدة خالف بها قراءة حفص عن عاصم ، وهي :

* قوله تعالى : " **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه** " [1] وناء على قراءة نافع وفي هذا قال الطبري : " وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك وناء فيصير الهمزة بعد الألف وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخر وتأخيرهم في موضع هو مقدم ... كما قال أبار وهي أبآر فقدموا الهمزة فليس ذلك هو اللغة الجودى بل الأخرى هي الفصيحة " [2] ، إلا أنّ هنالك من وضع احتمالا آخر غير القلب المكاني في مثل هذه اللفظة ، فالعكبري يقول فيها : " يقرأ بألف بعد الهمزة : أي بعد عن الطاعة ، ويقرأ بهمزة بعد الألف وفيه وجهان : أحدهما مقلوب نأى ، والثاني هو بمعنى نهض : أي ارتفع عن قبول الطاعة أو نهض المعصية والكبر " [3] ، فالاحتمال الأقوى أنّ هذا على القلب المكاني لا على اختلاف الأصل اللغوي مع أنّ في عدم شيوع هذه اللفظة على الألسنة محاولات لإيجاد

١. سورة الإسراء ، آية ٨٣ .

٢. تفسير الطبريّ ، ١٥٣/١٥ .

٣. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٩٦/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بديل لها وهي بهذا مثل ألفاظ رأى وراء وجذب وجبذ لا فروق لغوية فيها وإنّما هي لهجات محضة تتراوح بين الشيوع وقلة الاستخدام وهذا لا يعني أنّ القرآن قد أكد على فصاحة هذا اللون من الاشتقاق رغماً عن الشيوع وعدمه .

وهنالك مثال أخر لكنه لا خلاف فيه بين نافع وغيره من القرّاء ، وهو لفظة " هارٍ " في قوله تعالى : " **على شفا جرف هارٍ** " [1] ، وهذه الكلمة كسابقتها تحتمل أمرين تحدث عنهما العكبري بقوله : " وفي هارٍ وجهان : أحدهما أصله هور أو هير على فعل ، فلما تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله قلب ألفاً وهذا يعرف بالنصب والرفع والجر مثل قولهم كبش صاف : أي صوف ، ويوم راح : أي روح . والثاني أن يكون أصله هاورا أو هايراً ثم أخرت عين الكلمة فصارت بعد الراء وقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذف لسكونها وسكون التنوين فوزنه بعد القلب فالع وبعد الحذف فال " [2] ، ومن هنا نلحظ أنّ الكلمات تدخل أحياناً في حركة تشابكية يصعب الوصول من خلالها إلى الحقيقة الناصعة في بيان أصول الكلمات ويبقى السياق هو المقياس في وضع الحلول ، ففي مثل هذه اللفظة فإنّ الحكم بالقلب المكاني هو الأنسب لأنّ هايراً ومقلوبها هارٍ هو المعنى المناسب للجرف .

وبقي أن نقول في ختام هذا المبحث أنّ الاختلافات الصرفية ليس بالضرورة تؤدي إلى تغير المعنى على الرغم من كل الأبحاث التي أثبتت أنّ كلّ زيادة في المبنى تلحقها زيادة في المعنى فهذا الحكم غير دقيق في ظل لغة عريقة احتوت لهجات كثيرة وتأثرت وأثرت بغيرها من اللغات فقد تستخدم قبيلة ما مشتقاً ما في أحد التراكيب في حين أن قبيلة أخرى تستخدم مشتقاً غيره في التركيب اللغوي نفسه وقد نعلم هذا حيناً أو نجهله أحياناً والاختلافات الصرفية في ضوء القراءات تساعدنا كثيراً على بلوغ هذه الغاية لأن التركيب القراني واحد مهما تعددت القراءات .

---

١. سورة التوبة ، آية ١٠٩ .

٢. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٢٢/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

الأفعال

الفعل : هو ما دلّ على حدث في زمن معين ، فمدلول الفعل أمران الحدث والزمن ، فيدل الفعل على الحدث بمادته أي حروفه التي يتكون منها مثل (ضرب) فإنّه يدل على الضرب بمادته أي الضاد والراء والباء وهي حروف المصدر الأصلية ، ويدل الفعل على الزمان بهيئته أي وزنه وصورته التي يكون عليها وهي عدد الحروف المرتبة وحركاتها المعينة وسكناتها ، فيراعى الترتيب والحركات والسكنات ، فوزن (ضرب) : فعل . وهو يدل على الزمن الماضي وقتاً لحدوث الضرب ، ووزن (يضرب) : يفعل . وهو يدل على الزمن المستقبل أو الحاضر وقتاً لحصول الضرب ، ووزن (اضرب) : افعل . وهو يدل على الزمن المستقبل وقتاً لحصول الفعل .

واعتبار الزمن ماضياً أو حاضراً ، أو مستقبلاً إنّما هو بالنسبة لوقت الحديث والتكلم فإنّ كان زمن الحدث قيل قبل وقت التكلم كان زمناً ماضياً وسمي فعله فعلاً ماضياً ، وإن كان مع زمن التكلم أو بعده كان زمناً حاضراً أو مستقبلاً وسمي فعله مضارعاً ، وإن كان بعد زمن التكلم كان زمناً مستقبلاً وسمي فعله فعل أمر .

فلما اختلف زمن الفعل اختلف وزنه ونوعه ، فصار الفعل لاختلاف زمنه ثلاثة أنواع هي الماضي والمضارع والأمر ، والماضي هو أصل الأفعال في تصريف بعضها من بعض فمنه يؤخذ المضارع والأمر ، ومما سوى الفعل من الأسماء المتصلة بمعناه فرع عليه لتضمنها معناه واشتمالها على حروفه الأصلية ، وهي المشتقات .

والفعل ينقسم باعتبارات أخرى غير الزمن ، فهو باعتبار أصالة حروفه يقسم إلى مجرد ومزيد وباعتبار تصرفه ينقسم إلى جامد ومتصرف وباعتبار صحته وإعلاله

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ينقسم إلى قسمين صحيح ومعتل ثم تعتريه أحكام صرفية أخرى عند إسناده إلى فاعله أو عند إلحاق نون التوكيد به أو عند بنائه للمجهول .

وسنتناول في هذا المبحث قسمين من أقسام الفعل هما قضية الاختلافات في المجرد والمزيد والقضية الأخرى هي قضية الاختلافات في البناء للمعلوم والمجهول ونبدأ ب :

أولاً : المجرد والمزيد :

والفعل المجرد : هو ما كانت جميع حروفه أصلية لا يسقط منها حرف في تصاريف الكلمة إلا لعلة صرفية مثل : علم ، جلس ، وجد ، دحرج ، زلزل ... ، فهذه الأفعال مجردة لأصالة حروفها ، إذ لا يسقط منها حرف إلا لسبب وعلة صرفية تقتضي سقوطه ، وذلك مثل " وجد " حيث تسقط الواو في المضارع لوقوعها بين الفتحة والكسرة فيقال "يجد" بحذف الواو ، فلا يخرجها عن الأصالة ، ولهذا المجرد قسمان هما : الثلاثي المجرد والرباعي المجرد ، ولا يتجاوز الفعل المجرد أربعة أحرف لثقله عن الاسم ولأنّه يلحقه من الضمائر ما يصير معه كالكلمة الواحدة ، ولا يقل الفعل المجرد عن ثلاثة أحرف لأنّ أقل ما تكون عليه الكلمة المفيدة ثلاثة أحرف .

أمّا المزيد : فهو كل فعل لحقته زيادة على الأصل الثلاثي أو الرباعي بطريقتي الزيادة المعروفتين بالزيادة في حروف سألتمونيها وبالزيادة الأخرى للإلحاق والذي يهمنا من هذين النوعين هو الزيادة الأولى لأنّ الاختلافات بين القراء وقعت فيها

المجرد والمزيد في قراءة الإمام نافع

الجدول التالي يوضح جوانب الاختلاف في هذا الباب بين قراءة الإمام نافع والنص القراني (قراءة حفص عن عاصم) :

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النص القرآني	قراءة نافع	السورة و الآية
١. فعل	فعّل	————
فتخطفه	فتخطّفه	الحج ٣١
يلوُون	يُلوُّون	آل عمران٧٨
خرقوا	خرّقوا	الأنعام ١٠٠
كذبوا	كذّبوا	يوسف ١١٠
تفجر	تُفجّر	الإسراء ٩٠
ملئت	مُلِئَت	الكهف ١٨
فعدلك	فعدّلك	الانفطار ٧
فقدرنا	فقدّرنا	المرسلات ٢٣
٢. فعّل	فعل	————
كفلها	كفلها	آل عمران٣٧
تعلّمون	تعلَمون	آل عمران٧٩
يغشيكم	يغشيكم	الأعراف ١١
سنقتّل	سنقتل	الأعراف١٢٧
يقتّلون	يقتلون	الأعراف١٤١
لهُدّمت	لهُدِمت	الحج ٤٠
صدّق	صدق	سبأ ٢٠
ذُكّرتم	ذُكِرتُم	يـــس ١٩
ننكّسه	ننكُسه	يـــس ٦٨
لوّوا	لوَوا	المنافقون ٥
٣. افتعل	فعل	————
يتّبعوكم	يتْبعوكم	الأعراف١٩٣
٤. فعل	افتعل	————
تعدوا	تعْدوا	النساء ١٥٤
٥. تفاعل	أفعل	————
ادّارك	أدْرك	النمل ٦٦

النص القرآني	قراءة نافع	السورة و الآية
١١. أفعل	فعّل	————
يُثْبتُ	يُثَبّتُ	الرعد ٣٩
يُبْدلَه	يُبدّلَه	التحريم ٥
١٢. فعّل	أفعل	————
وصّى	أوْصَى	البقرة ١٣٢
يُكذّبونك	يُكْذبونك	الأنعام ٣٣
يُنجيكم	يُنْجيكم	الأنعام ٦٤
يُغشّيكم	يُغْشيكم	الأنفال ١١
١٣. فعل	أفعل	————
ليَحْزُنُك	لَيُحْزِنُك	الأنعام ٣٣
يمُدُّونهم	يُمِدُّنهم	الأعراف٢٠٢
تَهْجُرُون	تُهْجرُن	المؤمنون ٦٧
يقْتُرُوا	يُقْتِرُوا	الفرقان ٦٧
١٤. أفعل	فعل	————
ليُضلّوا	لَيضِلّوا	الأنعام١١٩
نُسقّيكم	نَسْقِيكم	النحل ٦٦
فيُسْحتَكم	فَيسْحتَكم	طـــه ٦١
يُصنّعقون	يَصْعَقون	الطور ٤٥
ليُزلّقونك	لَيزْلِقونك	القلم ٥١
١٥. فعّل	فاعَل	————
تُصعّر	تُصاعِر	لقمان ١٨
١٦. فاعل	تفعّل	————
تُظاهرون	تَظَّهّرون	الأحزاب ٤
١٧. تفعّل	فعّل	————
تقطّع	تُقطّع	التوبة ١١٠
١٨. فعّل	تفعّل	————
تُنزّل	تتنزّل	الحجر ٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦.أفْعل	تفاعل	ـــــــ	١٩. تفاعل	فَعل	ـــــــ
يُصلحا	يصّالحا	النساء١٢٨	تَحاضون	تَحُضُون	الفجر ١٨
٧. تفعّل	فعل	ـــــــ	٢٠. أفْعلَ	افْتَعلَ	ـــــــ
يسّمّعون	يسْمعُون	الصافات ٨	فأتْبع	فاتَّبع	الكهف٨٥ ،
٨.فعل	تفعّل	ـــــــ	.	.	٨٩، ٩٢
تلْقف	تَلْقَّف	الأعراف١١٧	٢١. افْتَعلَ	فَعلَ	ـــــــ
٩. فاعل	فعل	ـــــــ	تَدُّعون	تَدْعون	الملك ٢٧
لأتوها	لأتوها	الأحزاب ١٤	٢٢. فاعل	تَفَعّلَ	ـــــــ
١٠. فَعل	فاعل	ـــــــ	يُظاهِرون	يَظَّهَّرون	المجادلة ٢
عقدتْ	عاقدتْ	النساء ٣٣			

من المعروف أنّ اختلاف أبنية الأفعال لا بد لها من تأثير معنوي من منطلق أنّ كلّ زيادة في المبنى يلحقها زيادة في المعنى ومن هنا فإنّ في الاختلافات التي بينها الجدول السابق قضية تستحق النظرة التأملية في التعرف على أقوال العلماء واستخلاص مدى التوافق في هذه الأبنية ، ومدى تأثير النص القرآني في إحداث هذا التوافق ، ولا ننسى القضايا اللهجية في هذه القراءات في استخدام قبيلة ما لبناء ما في نص في حين أنّ قبيلة أخرى تستخدم بناء آخر للنص نفسه ، ولنقتصر في الدراسة لمجموعة من الأمثلة تعطي صورة جلية عن هذا الأمر في أطره الثلاثة :

أولاً : التوافق اللهجي في معاني الأبنية :

إنّ التوافق في المعنى يقع في عدد من الأبنية ومن هذه الأبنية الاشتراك المعنوي بين بناءي " أفعلَ وفعّلَ " في أنّهما يخرجان لفائدة تعدية الفعل ، فإن كان الفعل لازماً أصبح متعدياً وإن كان متعدياً تعدّى بهذا البناء إلى مفعولين ، ومثال ذلك الفعل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"يغشّيكم" في قوله تعالى : " **إذ يغشّيكم النعاس أمنة** " [1] ، فمعنى يغشيّكم يلقي عليكم النعاس في الحرب أمانا من الله ــ عزّ وجلّ ــ بسبب الخوف الذي أصابهم يوم أحد ، حيث قرأها نافع يُغشيكم فالأولى من الفعل غشّى والثانية من الفعل أغشى ، والفائدة التي حصلت في الزيادة على المجرد في المبنيين واحدة وهي أنّ الفعل تعدّى من مفعول به واحد إلى مفعولين وفي هذا يقول البيضاوي : " والفاعل على القراءتين هو الله تعالى " [2] ، وقد كان الاختيار الأفضل عند العلماء هو التشديد يقول الطبري : " وأولى ذلك بالصواب إذ يغشيّكم على ما ذكرت من قراءة الكوفيين لإجماع جميع القراء على قراءة قوله وينزّل عليكم من السماء ماء بتوجيه ذلك إلى أنّه من فعل الله ــ عزّ وجلّ ــ فكذلك الواجب أن يكون كذلك يغشيّكم إذ كان قوله وينزّل عطفاً على يغشّي ليكون الكلام متسقا على نحو واحد " [3] وعلى الرغم من هذا فإنّ القراءتين على مستوى واحد من الاستخدام اللغويّ ، ولا يجب وضع مثل هذه المفارقات .

وفي الفعل " تُظاهرون " في قوله تعالى : " **وما جعل أزواجكم اللاتى تظاهرون منهن أمهاتكم** " [4] ، قرأها نافع تَظَّهَّرون ، وهذا البناء " مشتق من الظهر لأنّ الظهر موضع الركوب " [5] ، فالبناءان فاعل وتفعّل يتقاربان معنوياً في مثل هذه اللفظة على الرغم من الفوارق اللغوية وعدم وجود مشتركات معنوية بين البناءين إلا أنّ مثل هذه اللفظة حوت على قدر معنويّ مشترك ، فظاهر على وزن فاعل لا تحمل معنى المشاركة لأنّ الأمر يصدر عن الرجل والمرأة كارهة لحدوثه لكنه قد يكون فيه لونا من المبالغة لأنّ الرجل يحمّل نفسه وزوجه ما لا يطيقان وقد يكون في استخدام هذا البناء إغناء عن المجرد الذي هو فعل لازم نحو قولك: حاول وعاقب ، أمّا تظهّر على وزن تفعّل فلو استعرضنا المعاني التي يخرج إليها هذا البناء لوجدنا أنّها لا تنتسب إلى أي معنى على وجه الدقة إلا أن نقول أنّها أغنت عن المجرد والمعاني التي يخرج إليها

١. سورة الأنفال ، اية ١١ .
٢. تفسير البيضاويّ ، ٩٣/٣ .
٣. تفسير الطبريّ ، ١٩٤/٩ .
٤. سورة الأحزاب ، اية ٤ .
٥. إعراب القران . النحاس ، ٦٢٢/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا البناء هي : المطاوعة نحو : تقطّع وهذا المعنى لا يحتمل أن تخرج إليه هذه اللفظة والانتساب نحو: تعرّب وهذا محتمل لكون الظهار مأخوذ من الظهر لكنّه لا يعني قضية معنوية والتكلف والمبالغة نحو: تصبّر وهذا محتمل وهو يشبه فاعل ، ولا يخرج إطلاقا إلى معاني التجنب نحو: تحرّج ، ولا إلى معنى الطلب نحو: تنحّى ، ولا إلى الصيرورة نحو: تشيع ، ومن هنا قال الفراء : " وقرأ أهل المدينة (تظّهّرون) بنصب التاء ، وكلّ صواب ومعناه متقارب " [1] ، ففي هذا المثال قدر مشترك معنوي بين هذه اللفظة ببناءيها المختلفين .

وفي الفعل " تَعْدوا " في قوله تعالى : " **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** " [2] وقرأها نافع: " تَعْدّوا " أي تعتدوا فأصبح هنا بناءان هما: فَعلَ وافتعل وفي هذين البناءين نلحظ قدراً مشتركا من المعنى بين المجرد والمزيد فمعنى عدا يعدو أي أنّه تجاوز الحدّ والحقّ وظلم وكذلك الأمر في معنى اعتدى إلا أنّ الفرق البسيط والذي ليس فيه أي تأثير معنوي هو أنّ اعتدى تفيد المطاوعة للمجرد فنقول عدا أصحاب السبت فاعتدوا .

ولنأخذ بناء أخر على هذا النمط فكلمة "عدلك " في قوله تعالى : " **الذي خلقك فسواك فعدلك** " [3] ، و " فَعدّلك " على قراءة نافع . فالبناءان المجرد عدل والمزيد المضعف عدّل يؤديان المعنى نفسه على الرغم ما بين فَعلَ وفَعّلَ من فروق في أنّ التشديد يدل على الكثرة ، وفي هذا قال الأخفش : " قال : " فعدّلك" أي: كذا خلقك ، وبعضهم يخففها ، فمن ثقّل " عدّلك" ، فإنّما يقول : عدّل خلقك ، وعدلك أي: عدل بعضك ببعض ، فجعلك مستوياً معتدلاً وهو في معنى "عدّلك" " [4] ، ويبدو أنّ الأمر يكمن في أنّ التشديد والتخفيف أي المجرد والمزيد لا فرق بينهما في مثل هذه اللفظة

---

١. معاني القرآن . الفرّاء ، ٣٣٤/٢ .

٢. سورة النساء ، اية ١٥٤ .

٣. سورة الانفطار ، أية ٧ .

٤. معاني القرآن . الأخفش ، ٥٣١/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأنّ المعنى بينهما مشترك وهو الاعتدال والاستواء والقاسم المشترك بينهما فعل الخالق بالمخلوق فلا يجوز أن ندعي بأنّ المشدد فيه المبالغة والتكثير في مثل هذا .

إنّ اختلاف أبنية الأفعال قد يحمل حيناً تشابهاً معنوياً بين بنيتين مختلفتين في حين أنّ بعض الألفاظ تأخذ منحىً آخر في كونها هي المفتاح في حدوث هذا التوافق وهذا بحد ذاته فيه انعزال عن تقنين المعاني التي تخرج إليها الزيادة في الأفعال .

ثانياً : تأثير النص القرآني في إحداث التوافق :

إنّ للنص القرآني دوراً بارزاً في إحداث التوافق بين البنى المختلفة من أبنية الأفعال ، وهذا الدور يكمن في الدور المحوري الذي يلعبه النص القرآني في القدرة على استيعاب أكثر من بنية يوجد بينهما فوارق واضحة ، لكنّ النص يزيل هذه الفوارق ، فتغدو البنيتان بنية واحدة من حيث نيابة كل منهما عن الأخرى دون فرق يلحظ ، ولنأخذ أمثلة متنوعة من هذه الاختلافات في البنى تدلل على صحة ذلك :

فمن ذلك لفظة " تَهجرون " في قوله تعالى : " **قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تَهْجُرُون** " [1] ، و " تُهْجِرُون " على قراءة نافع فالأولى من المجرد هجر والثانية من المزيد أهجر وفيها قال الفراء : " وقرأ ابن عباس : "تُهْجِرون" من أهجرت ، والهُجْر أنّهم كانوا يسبون النبي ـ صلوات الله عليه وسلم ـ إذا خلوا حول البيت ليلاً ، وإن قرأ قارئ : "تَهْجُرون" يجعله كالهذيان ، يقال : قد هجر الرجل في منامه إذا هذى" [2] ، ورغم الاختلاف المعنوي بين بناءي فعل وأفعل في هذه اللفظة إلا أنّ النص يلعب دوراً بارزاً في التوافق المعنوي ، فالسباب والهذيان معنيان مختلفان لكنّ النص يجعلهما متوافقين فإذا كان السباب يتعلق بشخص الرسول الكريم فإنّ هذا هو الهذيان بعينه وكذلك الأمر يمكن القول : إنّ البناء الذي أفاد معنى السباب

---

١. سورة المؤمنون ، آية ٦٧ .

٢. معاني القرآن . الفرّاء ، ٢٣٩/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قد أفاد البناء الآخر من الناحية التفسيرية بعداً معنوياً منسجماً يؤدي المعنى الأصلي ويوجهه ، وهذه حسنة من حسنات اختلاف القراءات .

ولنأخذ مثالا على صيغتي فَعَّلَ وفَعلَ ، وهذا المثال هو لفظة " كفل " في قوله تعالى : " **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكَفَّلَها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً** " [1] ، و "كَفَلَها زكريا" على قراءة نافع وفيها قال ابن زنجله : " قرأ عاصم وحمزة والكسائي : "وكفّلها" بالتشديد ... وحجتهم ، أنّ الكلام تقدم بإسناد الأفعال إلى الله وهو قوله قبلها : "فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً" ، فكذلك أيضاً "وكفّلها" ليكون معطوفاً على ما تقدمه من أفعال الله ... قال أبو عبيد : كفلها ، أي : ضمنها ومعناه في هذا : ضمن القيام بأمرها ، وحجتهم قوله : "إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفُل مريم" * ولم يقل : "يكفّل" فالكفالة مسندة إليهم وكذلك في هذا الموضع " [2] ، وقد فضل الطبري القراءة بالتشديد وعلل ذلك بقوله : " وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وكفلها مشددة الفاء بمعنى وكفلها الله زكريا بمعنى وضمها الله إليه لأنّ زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له ... وأمّا ما اعتل به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله أيهم يكفل مريم وأنّ موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله وكفلها فحجة دالة على ضعف اختيار المحتج بها وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل كفل فلان فلانا فكفله فلان فكذلك القول في ذلك ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله إياه بقضائه الذي يقضي بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام " [3] والمتمعن في قول الطبري هذا يجد أن قوله ــ لأنّ زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له ــ إشارة إلى صحة القراءة بالتخفيف ، ويبدو أنّ كفل بالتخفيف أفاد معنى المطاوعة بمعنى كفّل الله زكريا مريم فكفل زكريا مريم بالقرعة التي جرت وبهذا تكون الدلالات المختلفة للنص القرآني عاملاً من عوامل معرفة صحة الاختلافات في

---

١. سورة آل عمران ، آية ٣٧ .

٢. حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٦١ . * الآية ٤٤ من سورة الأنعام .

٣. تفسير الطبريّ ، ٣/٢٤١ ، ٢٤٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القراءات والذي دلل على صحة هذه القراءة هو قوله تعالى : " **إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفُل مريم** " .

وفي وزني افتعل وفعل نأخذ كلمة " تدعون " في قوله تعالى : " **وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون** " [1] ، و " تدْعون " بقراءة نافع ، وفيها قال الفراء : " تدّعون تفتعلون من الدعاء وهو قول أكثر العلماء أي تتمنون وتسألون " [2] ، أمّا ابن عباس والزجاج من بعده ، فقالا في معنى تدّعون : " تكذبون وتأويله هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأحاديث " [3] ، ويبدو أنّ ما ذهب إليه الفراء هو المعنى الأنسب لأنّ ذلك يتناسب مع القراءة الأخرى وهي قراءة الإمام نافع " تدْعون " أي تتمنون ومن هنا كانت القراءات ضرورية لبيان المعاني الصحيحة في إطار السياق القرآني ولذا فقد ظن ابن عباس أنّ المعنى هو تكذبون انطلاقاً من أنّ المعنى المعروف لتدّعون هو الافتراء والكذب ولكن هذا المعنى لا يتناسب مع القراءة الأخرى ، ومن هنا كانت قراءة نافع مفسرة للقراءة الأخرى ومبينة لها مع عدم إهمال دور النص في بيان هذا التوافق في المعنى بين البناءين المختلفين وفي هذا قال الفراء : " وقوله : " وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون " يريد : تدْعون ، وهو مثل قوله : تذْكرون وتذّكرون ، وتخبرون وتختبرون ، والمعنى واحد والله أعلم " [4] .

وفي وزني أفعل وتفاعل نأخذ لفظة " يصلحا " في قوله تعالى : " **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً** " [5] ، و " يصّالحا " على قراءة نافع ، وفي القراءتين تكامل للمعنى ، ويوضح ذلك التكامل التركيب القرآني ولننظر إلى التركيبين أصلحا بينهما وتصالحا بينهما ، فكلّ تركيب يحمل في دلالته معنيين وهما حدوث الصلح بوجود طرف آخر وحدوث الصلح فيما بينهما دون وجود

---

١. سورة الملك ، آية ٢٧ .
٢. تفسير القرطبيّ ، ٢٢٠/١٨ .
٣. المرجع السابق ، ٢٢١/١٨ .
٤. معاني القرآن . الفرّاء ، ١٧١/٣ .
٥. سورة النساء ، آية ١٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا الطرف وتحليل ذلك أن تركيب أصلحا بينهما دلت كلمة أصلح على وجود طرف ثالث بالوقت نفسه دلت ألف التثنية على أنّ الصلح قد جاء من قبل الطرفين عينهما دون وجود طرف ثالث وكذلك بالنسبة للتركيب الآخر " يصّالحا بينهما " فدلالة يتصالحا تفيد مشاركة طرفي الخصام في الصلح دون وجود طرف آخر مصلح والتركيب بشكل عام يوحي بوجود حذف وهو كلمة " فيما " أي يصلحا فيما بينهما وحذف هذه الكلمة دل على أنّ هنالك دلالة ثانية وهي وجود طرف آخر للصلح وبهذا كان التركيب هو المفتاح لبيان هذا التوافق بين القراءتين .

إنّ مثل هذه الأمثلة وغيرها من أمثلة الاختلاف بين القراءات المختلفة ما هو إلا لفوائد تتعدى قضايا لغات العرب المختلفة ليتبين لنا أنّ مثل هذه الاختلافات أدّت إلى حدوث توافق معنويّ كما لا يمكن أن نجهل دور هذه القراءات في حدوث توضيح وتفسير وتكامل للمعنى وبهذا يجب رفض القول الذي يشير إلى أنّ القراءات هي لغات العرب لأنّ القضايا الصرفية تبطل مثل هذه الأقوال بل يجب القول بأنّ القراءات مجال واسع يشمل أهدافاً عديدة منها اللهجي ومنها المعنوي ومنها البلاغي مما ينم عن قضية إعجازية لا يستهان بها .

ثالثاً : التوافق اللهجي :

إنّ الاختلاف في القراءة فيما يتعلق بأبنية الأفعال مجردها ومزيدها يرجع في كثير منه إلى استخدام العرب في بيئاتهم المختلفة إلى أبنية مختلفة في السياق نفسه وهي لا تعود إلى أي قضية معنوية أو قضية توافق النص وإنّما تخلص إلى اختلاف استخدامات العرب في بيئاتهم المختلفة لمثل هذه الأبنية ، ولنأخذ أمثلة على ذلك :

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعلى بناء فعل وأفعل نأخذ كلمة " يزلقونك" في قول الله تعالى : " **وإن يكاد الذين كفروا ليُزْلِقُونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر ويقولون إنّه لمجنون** " [1] ، و " يَزْلِقونك " على قراءة نافع ، فالبناءان زلق وأزلق ليس في اختلافهما أثر معنوي وإنّما هما لهجتان ومن هنا قال الفراء :" والعرب تقول للذي يحلق رأسه : قد زلقه وأزلقه " [2] ، في تعليقه على القراءتين ، وفيها قال القرطبي: " وقرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء وضمها الباقون وهما لغتان بمعنى واحد يقال زلقه يزلقه وأزلقه يزلقه إزلاقا إذا نحاه وأبعده وزلق رأسه يزلقه زلقاً إذا حلقه " [3] ، فالاستخدام اللغوي للبناءين هو استخدام واحد ، وهذا الاستخدام يكون حصوله في بيئتين لهجتين في أصل الاستخدام ، ولكنّ التأثر والتأثير قد يجعل استخدامه في بيئة لهجية واحدة .

ومن أمثلة هذين البناءين أيضاً كلمة " يسحتكم " في قول الله تعالى : " **قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيُسْحِتَكُمْ بعذاب وقد خاب من افترى** " [4] ، و " يَسحتكم " على قراءة نافع فالقراءة الأولى من الفعل أسحت والثانية من سحت ، والسحت بمعنى الهلاك وقد أشار عدد من علماء اللغة إلى أن سحت وأسحت لغتان والأولى لغة أهل الحجاز ، والثانية لغة تميم [5] .

ومن أبنية التوافق اللهجي بناءا أفعل وفعّل ومثاله كلمة " يبدل " في قوله تعالى : "عسى ربه إن طلقكنّ أن يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكن " [6] ، و " يُبَدِّلَهُ " على قراءة نافع ، وهما من الفعلين أبدل وبدّل وفيها قال الفراء : " وكلّ صواب : أبدلت وبدّلت " [7]

---

١. سورة القلم ، آية ٥١ .

٢. معاني القرآن . الفرّاء ، ١٧٩/٣ .

٣. تفسير القرطبيّ ، ٢٥٤/١٨ .

٤. سورة طه ، آية ٦١ .

٥. انظر : إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ١٢٣/٢ . معاني القرآن . الفرّاء ، ١٨٢/٢ . إعراب القرآن . النحاس ، ٣٤٢/٢ .

٦. سورة التحريم ، آية ٥ .

٧. معاني القرآن . الفرّاء ، ١٦٧/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالاستخدام لهذين البناءين أفادا التعدية في زيادتهما على المجرد ولكنّ الاستخدام في سياق واحد هو من استخدام بيئتين مختلفتين لا من استخدام بيئة واحدة ، ولذا فقد قال الطبري في هاتين القراءتين : " والصواب من القول أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب " [1] ، وأمثلة هذا النوع من القراءات كثيرة وقد بينها لنا الجدول السابق .

من الواضح أنّ ما استشهدت به من أمثلة لحالات التوافق الثلاث يبين الأهمية البالغة في دراسة مثل هذه الاختلافات التي تبين لنا أنّ النص القرآني قد لعب دوراً بارزاً في إحداث نوع من التقارب بين الأبنية المختلفة مما يدلّ على الإعجاز المتمثل في قدرة النص القرآني على استيعاب أبنية مختلفة الهدف من ورائها حصول رؤية تفسيرية للنص القرآني أكثر إحاطة وشمولية مما لو اقتصر الأمر على بناء واحد ، كما لا يمكن نسيان دور الكلمة في أبنيتها في إحداث هذا الشكل من الإحاطة والشمولية في التفسير ، كما أنّ التوافق اللهجي يبين لنا أنّ الاستخدامات المختلفة للأبنية ليس بالضرورة لهدف لغوي ما فقد يكون هذا الاستخدام هو من قبيل القضايا الصوتية في اعتياد بيئة على استخدام بناء لا تستخدمه البيئة الأخرى ، وهو من هذا المنطلق يهدف إلى التسهيل واليسر .

إنّ مثل هذه الاختلافات في الأبنية يشير إلى وجود خفايا مكنونة ومعجزات لغوية تتغلغل في النص القرآني ، وهذه الخفايا والمعجزات لها ارتباطات مختلفة هي : النص القرآني والأبنية المختلفة للقراءات بالإضافة إلى القضايا التاريخية المتمثلة بدراسة اللهجات المختلفة وبهذا يمكن إضافة دراسة اللهجات والبيئات اللهجية كمرتكز أساسي من مرتكزات علم التفسير .

---

١. تفسير الطبري ، ١٦٢/٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً : المبني للمعلوم والمبني للمجهول

الفعل المبني للمجهول : هو الفعل الذي حدث تغيير في بنائه ليتلاءم مع حذف فاعله إلى ما يقوم مقام الفاعل لفوائد معنوية وبلاغية جمّة نضمها أبو حيان الأندلسي في أرجوزة ، فقال [1] :

وحذفه للخوف والإبهـــام والوزن والتحقير والإعظام

والعلم والجهل والاختصار والسجع والوفاق والإيثار

فهي تخرج لإحدى عشرة فائدة منها ما يخص الشعر كفائدة الوزن الشعريّ ومنها مـــا يخص النثر كفائدة السجع والبقية تدخل في القضايا المعنويّة والبلاغية .

إنّ الذي نعنيه من دراسة المبني للمعلوم والمبني للمجهول هو قضية استخدام أحد القراء للمعلوم والآخر للمجهول في النص القرآني الواحد الأمر الذي يعني أنّ البناء للمجهول لم يكن مجيئه لفائدة معنوية أو بلاغية وقد يكون الأمر على غير ما يظنّ ولكن بدراسة المواطن التي حدث فيها الاختلاف يتضح لنا مدى ازدواجية هذا الاختلاف ، وفيما يلي جدول يوضح الاختلافات في هذا الباب ، تتبعه مناقشة وتحليل لهذه الاختلافات :

النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية	النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية
يُرجعون	يَرجِعون	القصص ٣٩	فنُجِّيَ	فننْجي	يوسف ١١٠
يُنزفون	يُنزِفون	الواقعة ١٩	نُنْجِي	نُجِّيَ	الحج ٨٨
يُرَى	يَرَى	الأحقاف ٢٥	قاتل	قُتِلَ	آل عمران١٤٦
وصدُّوا	وصدّوا	الرعد ٣٣	يَغُلَّ	يُغَلَّ	آل عمران١٦١
فعُمِّيت	فعَمِيت	هود ٢٨	نَزّلَ	نُزِّلَ	النساء ١٤٠

---

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب . الأندلسيّ ، أبو حيّان (-٧٤٥هـ) ، ١٨٤/٣ ، تحقيـــق : مصـــطفى النماس ، ط١ ، مطبعة المدنيّ ، مصر ، ١٩٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يُضلّ	يَضِلّ	التوبة ٣٧	اِستَحَقَّ	اُستُحِقَّ	المائدة ١٠٧
تُسوّى	تَسَوّى	النساء ٤٢	نَغْفِرْ	تُغْفَرْ	الأعراف ١٦١
وأُحِلّ	وأحلّ	النساء ٢٤	إنْ نَعْفُ	يُعْفَ	التوبة ٦٦
يُوصى	يُوصِي	النساء ١٢	أَسَّسَ	أُسِّسَ	التوبة ١٠٩
ولا تُسْأَلُ	ولا تَسْأَلْ	البقرة ١١٩	لا يَهْدِي	لا يُهْدَى	النحل ١٣٧
لَخَسَفَ	لَخُسِفَ	القصص ٨٢	يَفْصِلُ	يُفْصَلُ	الممتحنة ٣
نَتَقَبَّلُ	يُتَقَبَّلُ	الأحقاف ١٦	لا تَسْمَعُ	لا يُسْمَعُ	الغاشية ١١
نَتَجاوزُ	يُتَجاوز	الأحقاف ١٦	نَغْفِرُ	يُغْفَرُ	البقرة ٥٨

نلحظ من الجدول السابق أنّ نافعاً مخالف في قراءته لما ورد في النص القرآني بقراءة حفص عن عاصم ، وهذه المواطن على الرغم من قلتها ومحدوديتها إلا أنّها تكشف عن مدى الدقة التي هم عليها القراء في قراءتهم ، ففي هذه المواطن اختلفا وفي غيرها من الأفعال اتفقا ، وهذا الاختلاف جاء متنوعاً ، ففي المواطن التي قرأ فيها نافع بالمعلوم نجد حفصاً عن عاصم يقرأ بالمجهول ، والعكس بالعكس ، ولا شكّ بأنّ البناء للمجهول يحمل معنى غير المعنى الذي يحمله المبني للمعلوم ، وهذه المعاني قد بيّنها أبو حيان كما وضّحها في بيتي الشعر السابقين ، ولكنّ النص القرآني الذي حدثت فيه الاختلافات هو نص واحد يحمل دلالات على الرغم من عمقها وكثرتها أحياناً إلا أنّها يجب ألا تختلف من قراءة لأخرى ، ومن هنا لا بدّ أنّ للنص القرآني دوراً رئيسياً في إحداث هذا التوافق ، الأمر الذي يستدعي دراسة هذه الاختلافات في إطار النص القرآني حتى نتبين حقيقة مثل هذه الاختلافات .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتدرج هذه الاختلافات في طبيعتها من ناحيتي المبنى والمعنى في إطارين هما :

الإطار الأول : فقدان القيمة المعنويّة للمبني للمجهول في حالة اختلاف المبنيين في المجرد والمزيد .

إنّ اختلاف البناءين من حيث المجرد والمزيد ــ على الرغم من وحدة الرسم القرآني بين البناءين من حيث المعلوم والمجهول ــ قد جعل الناحية المعنوية للمجرد والمزيد تطغى على بناءي المجهول والمعلوم ، وقد نلحظ هذا في عدد من الأمثلة السابقة نوجز الدراسة في عدد منها .

ونبدأ أولاً مع قوله تعالى : " **واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنّوا أنّهم إلينا لا يُرْجعُون** " [1]، " وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم " [2]، فالقراءة الأولى على البناء للمجهول ، والثانية في قراءة نافع على البناء للمعلوم ، ولم يرد في مثل هذه الكلمة اختلاف بين المعلوم والمجهول إلا في موطن واحد ، وقرأه نافع بالبناء للمعلوم كما قرأه حفص عن عاصم ، ولكنّ غيرهما قرأه بالبناء للمجهول [3] ، وهو في قوله تعالى : " ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرْجِعُون " [4] ، فالفعل رجع فعل لازم ، والفعل اللازم في مثل هذا السياق لا يجوز فيه البناء للمجهول ، ولذا كان البناء للمجهول من الفعل المتعدي أرجع ، والتقدير في الآية الأولى : وظنّوا أنّنا لا نُرْجِعهم إلينا ، من الفعل أرجع المتعدي المزيد ، والأخرى من الفعل اللازم المجرد ، فصار التقدير في القراءتين على النحو رجعوا إلى الله ، وأرجعهم الله إليه ، وجاء الرسم القرآني على النحو يرجعون ، وهذا اللون من البناء للمجهول لا تأثير معنوي فيه لأنّ الفعلين مختلفا البناء من حيث التعدية واللزوم هذا من

---

١. سورة القصص ، آية ٣٩ .

٢. كتاب السبعة . ابن مجاهد ، ص ٤٩٤ . تفسير البيضاويّ ، ٢٩٤/٤ .

٣. انظر : تفسير القرطبيّ ، ١٠٨/١٤ .

٤. سورة السجدة ، آية ٢١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جهة ومن جهة أخرى لأنّ الفاعل الحقيقي في الموطنين هو الله وهو يشبه كلمة الفعل مات وأمات كما وردت في النص القرآني فعلى الرغم من اللزوم والتعدية وعلى الرغم من المقاييس اللغوية فيما جاء به التركيب ، فالفاعل هو الله في الفعلين ، وهذان الموطنان وردت فيهما القراءة بالمجهول دون غيرهما وفي هذا الفعل بالتحديد لأنّ النص القرآني يخاطب الكفار المنكرين للبعث حتى يكون الوقع أكبر أثراً في نفوسهم وحتى يتعظ من يقرأ ، لأنّ الرجوع غير الإرجاع ، فالإرجاع يحمل طابع الحتمية للرجوع ، ويكون المخاطب فيه يكره الرجوع ولا يؤمن به فيجبر عليه ، والرجوع يكون برغبة من الراجع فلا إكراه فيه ، ولا تكون هذه الموعظة بينة إلا لمن يعلم بالقراءتين ، وهذا واجب المفسرين للقرآن العظيم أنّ يبينوه .

وفي الفعل " ينزفون " في قول الله تعالى : " **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدّعون عنها ولا يُنْزِفون** " [1] ، وقرأها نافع " يُنْزَفون" بالبناء للمجهول ، فالفعل المبني للمعلوم في النص القرآني جاء من الفعل المزيد " أنزف " ، والفعل المبني للمجهول في قراءة نافع جاء من الفعل المجرد " نزف " ، والبناءان التقيا في رسم واحد وهو " ينزفون " ، فالفعل نزف المجرد هو فعل مزيد ، في حين أنّ الفعل أنزف المزيد هو فعل لازم ، ومن هنا كان الأمر المعنوي محكوم ليس بقضية المعلوم والمجهول وإنّما بقضية المفارقة اللغوية بين البناءين المجرد والمزيد ومن هنا قال الفراء : " ولا يُنْزفون ، أي : لا تذهب عقولهم ، يقال للرجل إذا سكر : قد نُزِف عقله ، وإذا ذهب دمه أو غشي عليه أو مات قيل : منزوف . ومن قرأ: " يُنْزِفون " يقول : لا تفنى خمرهم ، والعرب تقول إذا فني زادهم : قد أنزفوا ، وأقتروا ، وأنفضوا ، وأرملوا " [2] ، ويبدو أن في اختلاف البناءين ، حصول لازدواجية المعنى في ذكر صفة شراب الجنة بأنّه لا يذهب العقل ولا ينفد أبداً ، ويبدو أنّ العرب عندما قالوا نُزِف عقله لم يأتوا بالفاعل الحقيقي لأنّهم يدركون القيمة الاجتماعية السيئة لعادة السكر وشرب الخمرة على الرغم من شيوعها ومن هنا كان المعنى الذي يحمله

---

١. سورة الواقعة ، الآيات ١٧ ــ ١٩ .

٢. معاني القرآن . الفرّاء ، ١٢٣/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البناء للمجهول هو الخوف والتحرج من ذكر الفاعل ، والله تعالى خاطب العرب بلغتهم .

ومن أمثلة هذا الإطار أيضاً الفعل " قاتل " في قوله تعالى : " **وكأيّنْ من نبي قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** " [1] ، وقرأها نافع " قُتِلَ " ، فالرسم القرآني واحد لأنّ ألف قاتل رمز لها بألف صغيرة ، ومن هنا كان المجهول فعلاً مجرداً والمعلوم فعلاً مزيداً ، وأنّ الفاعل مختلف في الفعلين ، ففاعل قاتل هو ربيون والمفعول به غير موجود لأنّ الفعل يدل على المشاركة وفي المجهول كان نائب الفعل هو الضمير المستتر العائد إلى نبي ، والفاعل مجهول لدلالة السياق عليه وهو عدو لجماعة المؤمنين عباد الله وهم الربيون ، وفي هذا قال الأخفش : " جعل النبي هو الذي قُتِل ، وهو أحسن الوجهين ، لأنّه قد قال : " أفإن مات أو قُتِلَ " ، وقال بعضهم : " قاتل معه " وهي أكثر وبها نقرأ ، لأنّهم كانوا يجعلون " قُتِل " على " ربيون " ، ونقول : فكيف يقول : " فما وهنوا " وقد قلنا : إنّهم قد قُتِلوا ؟ فإنّه كما ذكرت لك أنّ القتل على النبي " [2] ، ومن هنا كانت هنالك عوامل مجتمعة أفقدت البناء للمجهول قيمته الدلالية .

ومن أمثلة هذا الإطار أيضاً الفعل " تسوى " في قوله تعالى : " **يومئذٍ يودّ الذين كفروا لو تُسوّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثاً** " [3] ، وقرأ نافع : " لو تَسَّوَّى بهم الأرضُ " ، على إدغام الياء بالسين والأصل " تتسوّى " وبهذا كان البناءان مختلفين في الزيادة ، فالأول في النص القرآني على وزن " تفعّل " والثاني بقراءة نافع على وزن "تتفعل" ، فالأول متعدٍّ والثاني لازم وكان القاسم المشترك بين القراءتين هو كلمة " الأرض " التي جاءت مرفوعة على الوجهين في الأولى على أنّها نائب فاعل ، وفي الثانية على أنّها فاعل كما أنّ الرسم القرآني جاء واحداً ، ومن هنا كان اختلاف البناءين من حيث المجرد والمزيد مدعاة لزوال الأثر المعنوي الذي يسببه المجهول

---

١. سورة ال عمران ، اية ١٤٦ .

٢. معاني القرآن . الأخفش ، ٢١٧/١ .

٣. سورة النساء ، آية ٤٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليفرض الاختلاف في المجرد والمزيد معنى جديداً يؤدي إلى وحدة أو تكامل المعنى ، بما أنّه يمكن الحكم بعدم وجود هذا الفرق ، ومن هنا قال ابن زنجلة معللاً القراءتين : " تُسَوَّى ... وحجّتهم أنّ المعنى في ذلك يودّ الذين كفروا لو يجعلهم الله تراباً فيسوّي بينهم وبين الأرض كما فعل بالبهائم ، ثم ردّ إلى ما لم يسمى فاعله ... تَسَّوَّى ... الأصل تتسوّى ثم أدغمت التاء في السين أي : يودون لو صاروا تراباً فكانوا سواءً هم والأرض " [1] ، والفاعل الحقيقي في الأمرين هو الله لأنّ الخلق شأن من شؤون الله .

ومثل هذا نلحظه في الاختلاف في قراءة كلمة " فعميت " في قوله تعالى : " **قال يا قومِ أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فَعُمِّيَتْ عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** " [2] ، وقرأها نافع " فَعَمِيَتْ " فالأول فعل مبني للمجهول من الفعل المتعدي المزيد على وزن فُعِّلَ والثاني معلوم ولازم ومجرد على وزن فَعِلَ ، فالقاسم المشترك بين الفعلين هو الضمير المستتر العائد إلى رحمة ويكون إعرابه في المجهول نائب فاعل وفي المعلوم فاعلاً ، فالرحمة والبينة ، وهي الدين إذا عميت عن الإنسان ولم يرها فإنّ الله لا يلزمه بها لأنّه لا يعرفها ، فالفاعل هو الإنسان على المدى الأوسط ، فالإنسان هو الذي لا يبصر الأشياء وليس الأشياء هي التي لا تريه نفسها وعلى المدى الأعلى الفاعل هو الله صاحب المشيئة وواضع البصر في الإنسان إن شاء أراه وإن شاء لم يره ومن هنا كانت القراءة الثانية تعبيراً عن المدى الأعلى للفاعل وهو الله ، فأمام هذه المعاني فقد المجهول قيمته المعنوية لأنّه جاء لقضية أخرى غير الفائدة المعنوية للمجهول ، وفي هذا قال الطبري : " وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ "فعُمّيت عليكم" بضم العين وتشديد الميم للذي ذكروا من العلة لمن قرأ به ولقربه من قوله : " **أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده** " ، فأضاف الرحمة إلى الله فكذلك تعميته على الآخرين بالإضافة إليه أولى ، وهذه الكلمة مما حولت العرب الفعل عن موضعه وذلك أن الإنسان هو الذي يعمى عن إبصار الحق إذ يعمى عن إبصاره والحق لا يوصف بالعمى إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام ، وهو في جوازه لاستعمال العرب إياه نظير قولهم دخل الخاتم في

---

١. حجة القراءات . ابن زنجله ، ص ٤٠٢ .

٢. سورة هود ، آية ٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يدي ، والخف في رجلي . ومعلوم أنّ الرجل هي التي تدخل في الخف والأصبع في الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك لما كان معلوما المراد فيه "[1] .

إنّ الأمثلة السابقة من الاختلافات في المعلوم والمجهول مثّلت لمعجزة لغوية في القراءات ذلك أنّ هذه الاختلافات جاءت على قدر متناهٍ من الدقة في جعل اختلاف الأبنية من وجوه أخرى غير المعلوم والمجهول تزيل الاختلاف المعنوي الذي كان قد يسببه البناء للمجهول ، كما ورأينا كيف أنّ العوامل الصرفية المساندة للبناء للمجهول كالمزيد والمجرد واللزوم والتعدية قد عملت على إعطاء وحدة تكاملية للمعاني تفيد المعنى العام للآية فضلاً عن المبادئ اللغوية في أنّ الفاعل الحقيقي للأشياء هو الله جلّ وعلا .

الإطار الثاني : فقدان القيمة المعنوية للمبني للمجهول في حالة دلالة النص عليه :

إنّ هنالك أسباباً ترجع إلى تأثير النص القرآني في عدم حصول أي اختلاف معنوي من شأنه حصول اختلاط في التفسير فيكون هنالك رابط قويّ يجذب هذه الاختلافات ويوحد فيما بينها ، مع أنّ هنالك أموراً مساندة للنص القرآني لها دور فاعل في حصول هذا الأمر، وهذا ما تبينه الدراسة لأمثلة هذا الإطار من دراسة المعلوم والمجهول .

ومن أمثلة هذا لإطار الفعل " تسمع " في قوله تعالى : " **وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية ، لا تَسْمَعُ فيها لاغيةً** "[2] ، وقرأها نافع " لا تُسْمَعُ فيها لاغيةً " وهذا البناء من المعلوم والمجهول غير الذي رأيناه في الإطار الأول فالفعل هنا في البناءين فعل مجرد فلا وجود للاختلافات من حيث اللزوم والتعدية والمجرد والمزيد .

---

١. تفسير الطبري ، ٢٨/١٢ .

٢. سورة الغاشية ، الأيات ٨ ــ ١١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن خلال رؤيتنا للنص القرآني نلحظ أنّ المخاطب هو الإنسان " هل أتاك حديث الغاشية " ولذا نجد أنّ الفاعل في جملة المعلوم هو ضمير مستتر ليس عائداً إلى الوجوه وإنّما يعود إلى الإنسان المخاطب وعندما جاء هذا الخطاب لكلّ إنسان وليس لإنسان بعينه كان البناء للمجهول شيئاً لا تأثير فيه في إحداث شيء في تغيير المعنى ، لأنّ الخطاب موجّه إلى جهة معروفة فالأمر سواء بالمعلوم والمجهول فيه ، وقد استحسن الفراء قراءة نافع فقال : " وكأنّه للقراءة موافق ، لأنّ رؤوس الآيات أكثرها بالرفع " [1] ، وهو يعني رفع لاغية على أنها نائب فاعل .

وفي مواطن أخرى نجد اختلاف القراءة بالمعلوم والمجهول يتمحور في كثير من الأحيان حول النصوص التي يكون الفعل فيها من اختصاص الله كالمغفرة والتوبة وإدخال الجنة وإحلال الحلال وتحريم الحرام وغير ذلك ، ومن أمثلة هذا الصنف الفعلان " نتقبل ، نتجاوز " في قوله تعالى : " **أولئك الذين نَتَقَبَّلُ عنهم أحسنَ ما عملوا ونَتَجاوَزُ عن سيئاتهم في أصحاب الجنة** " [2] ، وقرأها نافع : " يُتَقَبَّلُ ... أحسنُ ... ويُتَجاوَزُ عن سيئاتهم " فالذي يتقبل من الناس أعمالهم والذي يتجاوز عن سيئاتهم ، فيكونوا من أصحاب الجنة ــ هو الله تعالى ، وبهذا يمكن أن تكون فائدة المجهول هي العلم بالفاعل ومن هنا قال الفراء : " ولو قرئت " تُتَقَبَّلُ عنهم أحسنُ ما عملوا وتُتَجاوزُ " كان صواباً " [3] .

وفي الفعل " أحل " في قوله تعالى : " **حُرِّمت عليكم أمهاتكم و ... ، والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأُحِلَّ لكم ما وراء ذلكم** " [4] ، و" أحلَّ "

---

١. معاني القرآن . الفرّاء ، ٣/٢٥٨ .

٢. سورة الأحقاف ، آية ١٦ .

٣. معاني القرآن . الفرّاء ، ٣/٥٣ .

٤. سورة النساء ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالمعلوم قراءة نافع ، فالذي يحلل الحلال هو الله تعالى ، فإن قرئ بالمجهول كان لفائدة العلم بالفاعل .

إنّ هذه الأمثلة وغيرها كما في الجدول السابق بينت أنّ الاختلافات لم تكن بصورة عشوائية وإنّما جاءت بحكمة وبقدر في النصوص التي كان للنص القرآني فيها دور يلعبه في توحد هذه الاختلافات التي تجعل من دراسة هذه الجوانب والتنويعات في البنى الصرفية ذات فائدة في اختيار طرق لتناسب النغم الموسيقي في تجويد القرآن بما يناسب طريقة القارئ في هذا التنويع وبما لا يخلّ بالأثر المعنوي للنص القرآني بين القراءتين .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

المفرد والجمع

ينقسم الاسم في العربية إلى ثلاثة أقسام باعتبار عدده ، وهي المفرد والمثنى والجمع ، والذي يهمنا في هذه الدراسة من هذه الأقسام المفرد والجمع فقط ، ويمكن تعريف الاسم المفرد : بأنّه كل اسم دلّ على واحد أو واحدة ، أمّا الجمع : فهو كل اسم دلّ على أكثر من اثنين أو اثنتين بزيادة في آخره ، نحو : مسلمون ومسلمات ، أو بتغيير في بنائه ، نحو : قادة ورجال ، ويقسم الجمع إلى نوعين هما :

١. الجمع السالم :

الجمع السالم : هو الجمع الذي سلم بناء مفرده عند الجمع من التغيير ، ويزاد في آخره واو ونون إن كان مذكراً لتصبح الواو ياء عند وقوع هذا الاسم مجروراً أو منصوباً ، ويزاد ألف وتاء إن كان مؤنثاً ، والأصل في الجمع السالم أن يدل على القلة إذا كان الاسم من الجوامد ، ويدل على القلة والكثرة إذا كان من الصفات ، ويرى الصرفيون أنّ الأصل في الصفات أن لا تكسر لمشابهتها الأفعال وعملها عملها كما أنّ جمعها جمعاً سالماً يدل على إرادة الحدث ، وجمعها جمع تكسير يبعدها عن إرادة الحدث ويقربها إلى الاسمية [١].

٢. جمع التكسير :

جمع التكسير : هو الجمع الذي تغير بناء مفرده عند الجمع بالزيادة أو الحذف أو التبديل المكاني للحروف أو تغيير الحركة ، وله قسمان : جمع قلة وجمع كثرة ،

---

١. انظر : شرح المفصل . ابن يعيش ، ٥/٢٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والقياس أن يبتدئ جمع القلة بالثلاثة وينتهي بالعشرة ، ويبتدئ جمع الكثرة بالثلاثة أيضاً ، ولا نهاية له ، أمّا صيغ منتهى الجموع فتدل على أحد عشر وما فوقه إلا إذا كان الاسم له جمع واحد فقط ، فإنّه يستخدم للقلة وللكثرة ، لكن العرب قد تستعمل جمع القلة في موضع الكثرة .

وفي هذا المبحث لا نريد الحديث عن قضايا المفرد والجمع بالشكل المعهـود لأنّ ذلك ليس من أهداف هذه الدراسة التي سأتناول فيها الإفراد والجمع من أمور ثلاثة هي : ما يتعلق باختلاف الحركات في جمع ما بين القراء ، ومنها ما يتعلق باستخدام جموع مختلفة ، والأمر الآخر هو ما يتعلق باستخدام أحد القراء جمعاً والآخر مفـرداً فـي سياق النص القرآني الواحد .

وهذه القضية اللغوية تحتاج إلى استقصاء مواطن الاختلافات من خلال تصـنيفها حسب نوع الاختلاف ودراسة ما يتعلق منها بجانبيه الصرفي والصوتي أو ما يتعلـق بقضايا اللهجات .

وفيما يلي جدول يبين الاختلافات في الجمع والمفرد بين قراءتي الإمام نافع وبين النص القرآني وهو قراءة عاصم برواية حفص .

النص القرآني	قراءة نافع	السورة و الآية	النص القرآني	قراءة نافع	السورة و الآية
مسكين	مساكين	البقرة ١٨٤	غِيابة	غيابات	يوسف ١٠
رسالته	رسالاته	المائدة ٦٧	الكفّار	الكافر	الرعد ٤٢
برسالاتي	برسالتي	الأعراف١٤٤	للكتب	للكتاب	الأنبياء
ذرّيّتهم	ذرّيّاتهم	الأعراف١٧٢	لأماناتهم	لأمانتهم	١٠٤المؤمنون
شُركاء	شِركاً	الأعراف١٩٠	آثار	أثر	٨ الروم ٥٠
كلمات	كلمة	الأنعام ١١٥	مسكنهم	مساكنهم	سبأ ١٥
كلمة	كلمات	يونس ٣٣	قُبُلا	قِبَلا	الأنعام١١١
صلاتك	صلواتك	التوبة ١٠٣	ـــــــ	ـــــــ	الكهف ٥٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية	النص القرآني	قراءة نافع	السورة والآية
إسرارهم	أسرارهم	محمد ٢٦	كِسَفاً	كَسْفاً	الإسراء٩٢
أدبار	إدبار	ق ٤٠	البُيُوت	البيُوت	أينما وردت
جمالة	جِمالات	المرسلات٣٣	نَحِسات	نَحْسات	فصلت ١٦
خطيئته	خطِيناته	البقرة ٨١	عُرُباً	عُرْباً	الواقعة ٣٧
خُطُوات	خُطْوات	البقرة ١٦٨	ثُمَر	ثُمُر	أينما وردت
الريح	الرياح	إبراهيم ١٨	لفتيانه	لفتيته	يوسف ٦٢
أُكُلها	أُكْلها	البقرة ٢٦٥	أسْورة	أساورة	الزخرف ٥٣
رُسُله	رُسْله	البقرة ٢٨٥			

إنّ الأمثلة الواردة في هذا الجدول تدور حول محاور ثلاثة لدراسة اختلاف المفرد والجمع في ضوء قراءة نافع والنص القرآني وهذه المحاور هي :

المحور الأول :

ويدور هذا المحور من دراسة المفرد والجمع حول استخدام القارئ للجمع في موطن ما من النص القرآني واستخدم القارئ الآخر للمفرد أو أي مشتق آخر كالمصدر كما هو موضح في الجدول السابق وفيما يلي عرض لنصوص هذا المحور من الدراسة ومناقشتها وبيان مدى استيعاب النص القرآني لمثل هذه الاختلافات :

نبدأ أولاً بالاسم المفرد الريح وجمعه الرياح ولنأخذ قولاً يوضح الاختلافات بين القراء في قراءة هذه الكلمة حيث جاء في تفسير القرطبي تعليقاً على كلمة الرياح في قوله تعالى : " **وتصريف الرياح** "[١] ، فيقول : " قرأ حمزة والكسائي الريح على الإفراد وكذا في الأعراف والكهف وإبراهيم والنمل والروم وفاطر والشورى والجاثية لا خلاف بينهما في ذلك ووافقهما ابن كثير في الأعراف والنمل والروم وفاطر والشورى

١. سورة البقرة ، آية ١٦٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

، وأفرد حمزة الريح لواقح وأفرد ابن كثير وهو الذي أرسل الريح في الفرقان وقرأ الباقون بالجمع فيها جميعاً سوى التي في إبراهيم والشورى فلم يقرأهما بالجمع سوى نافع ولم يختلف السبعة فيما سوى هذه المواضع " [١] ، والموضعان اللذان انفرد نافع بجمع الريح فيهما عن غيره من السبعة هما قوله تعالى : " **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء** " [٢] ، وقوله تعالى : " **إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور** " [٣] ، ويضيف الطبري معلقاً على هذه الاختلافات بين القراء فيقول : " فمن وحّد الريح فلأنّه اسم للجنس يدل على القليل والكثير ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنّه فعل ذلك اعتباراً بالأغلب في القرآن نحو الرياح مبشرات والريح العقيم فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله وجرين بهم بريح طيبة " [٤] ، إنّ مثل هذه الأقوال ليست من الدقة بمكان ذلك أنّ الذي وحّد وجمع هو الرسول الكريم والتزم كل قارئ بما شاء فالاختلاف حاصل في النص القرآني الواحد وليس القضية مناهج للقراء يلتزمونها ، ولو جاز هذا الرأي الذي قاله القرطبي لجاز لنا القراءة بالوجهين في جميع القرآن وهذا ما لم يرد حتى عن القرّاء أنفسهم ، ولكن الذي نقوله أنّ الريح والرياح ليس بالجمع الملموس وهو شبيه بقولك ماء ومياه وقد يكون استخدامهما بقصد أو بدون قصد بمعنى أنّ المواطن التي وردت فيها الاختلافات هي مواطن لا إشارة فيها إلى معنى مقصود تؤديه هذه الكلمة بمفردها أو بجمعها، بل أنّ في النص ما يشير إلى نوع هذه الريح ، ولكن في المواطن التي كان الإجماع على القراءة الموحدة فيها بالجمع أو الإفراد ؛ فإنّهما قد جاءا لهدف معنوي يكون للفظة بدلالتها مقصد يبين الريح أو الرياح ، أي العذاب في الريح والرحمة في الرياح ، وهذا ما يوضحه القولان التاليان للرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد روى أبو داؤد عن

---

١. تفسير القرطبيّ ، ١٩٨/٢ .

٢. سورة إبراهيم ، آية ١٨ .

٣. سورة الشورى ، آية ٣٣ .

٤. تفسير القرطبيّ ، ١٩٨/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبّوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها " وأخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ، وروي أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول إذا هبت الريح : " اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً " وذلك لأنّ ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنّها جسم واحد [1] ، وهذا هو التفسير الأنسب للاختلاف في الريح والرياح لأنّ الريح تأتي بالرحمة والعذاب وذلك إن لم تكن تحمل في ذاتها دلالة تختلف عن الرياح ، ثمّ نرى في الحديث الثاني أنّ الرسول يستعيذ منها إذ أنّ هنالك معنى تحمله كلمة الريح يختلف في المدلول عن الرياح ولذا فإنّ ما ورد عن القراء يلتزم ولا يجوز استخدام إحداهما مكان الأخرى في المواطن التي أجمع عليها القرّاء .

فالمثال السابق رغم الاختلاف بين المفرد والجمع إلا أنّه ليس هنالك من تأثير معنوي بالدرجة التي يكون فيها المفرد والجمع مبنياً على أحكام وتشريعات كالإفراد والجمع في كلمة مسكين ــ مساكين حيث قرأ نافع قوله تعالى : " **وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين** " [2] ، على النحو : " وعلى الذين يطيقونه فديةُ طعامِ مساكين " ففي هذه الآية حكم شرعي يترتب على الذين لا يقدرون على الصيام إطلاقاً لمرض مزمن أو غيره ولا يستطيعون قضاء ما فاتهم من صيام الفريضة من شهر رمضان المبارك فإنّ الحكم الشرعي المترتب عليه إطعام مسكين عن كل يوم وبهذا جاءت القراءة الأولى فديةٌ طعامُ مسكين على اعتبار طعام مسكين بدل من الفدية التي تعني المرة الواحدة هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الآية السابقة أشارت إلى كلمة أيام وهي أيام الشهر والتي يترتب على مفطرها إطعام مساكين لا مسكين واحد ومن هنا جاءت القراءة الثانية فديةُ طعامِ مساكين على اعتبار الوحدة الواحدة لأيام الشهر المترتب عليها حكماً بإطعام مساكين أي لكل يوم مسكين فالفدية رغم أنّها مصدر ولا دلالة فيها على الإفراد إلا أنها بإضافتها إلى اسم مضاف إلى جمع اكتسبت معنى الجمع ، والأمر

---

١. تفسير الطبري ، ١٩٧/٢ ، ١٩٨ .

٢. سورة المائدة ، آية ٦٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآخر الذي يمكن قوله هو أنّ كلّ قراءة من القراءتين قد فسرت القراءة الأخرى وأعطتها معنى جديداً أدى في النهاية إلى القول أنّ مثل هذه الاختلافات هي اختلافات تجانس والتقاء لا اختلافات تنافر وابتعاد في المعنى وتعقيد فيه .

إنّ أقرب التفسيرات للاختلاف بين قراءة مسكين ، ومساكين ، قول ابن زنجله الذي قال: " وحجتهم في التوحيد في المسكين أنّ في البيان على حكم الواحد في ذلك ، البيان عن حكم جميع أيام الشهر ، وليس البيان عن حكم إفطار جميع الشهر البيان عن حكم إفطار اليوم الواحد ، فاختار التوحيد لذلك ، إذ كان أوضح في البيان ... وحجة من قرأ مساكين ، قوله قبلها : " **يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** " ، ثم قال : "أياماً معدودات " قال : إنّما عرّف عباده حكم من أفطر الأيام التي كتب عليهم صومها بقوله : " أياماً معدودات " ، فإذا كان ذلك كذلك فالواجب أن تكون القراءة في المساكين على الجمع لا على التوحيد وتأويل الآية : وعلى الذين يطيقونه فدية أيام يفطر فيها إطعام مساكين ، ثم تحذف أياماً وتقيم الطعام مكانها . قال الحسن : فالمساكين عن الشهر كله والأيام " [1] .

ومن أمثلة المفرد والجمع رسالة ورسالات ، ففي قوله تعالى : " **يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته** " [2] ، ورسالاته في قراءة نافع ، في حين أنّ نافعاً قرأ : " برسالتي " على الإفراد في قوله تعالى: " **قال يا موسى إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيناك وكن من الشاكرين** " [3] ، وقد أورد القرطبي رأيه في هذا فقال : " والقراءتان حسنتان والجمع أبين لأنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ينزل عليه الوحي شيئا فشيئا ثم يبيّنه والإفراد يدل على الكثرة فهي كالمصدر والمصدر في أكثر الكلام لا يجمع ولا يثنى لدلالته على نوعه

---

١. حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٢٥ .

٢. سورة المائدة ، آية ٦٧ .

٣. سورة الأعراف ، آية ١٤٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بلفظه كقوله : "**وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** " [1] ، ولكن لا يجوز المفاضلة بين القراءتين ، لأنّ كلا القارئين قرأ بالإفراد والجمع في الموقعين ، فالرسالة في مدلولها العام في الآية تؤدي مفهوم الإفراد والجمع وكذلك الجمع فمؤدّاه الدلالة على المفرد لأنّ الرسالة بمدلولها وحدة واحدة تدل على مجموع الرسالات التي قدّمها النبي وحملها وبلغها للناس ويمكن أن تكون الرسالة هي الديانة والرسالات قواعد ونصوص هذه الديانة فمن لم يبلغ الرسالة لم يبلغ النصوص والعكس صحيح فالنص والسياق القرآني هو ملتقى لأشتات الأبنية وفق نظام دقيق يتواءم فيه النص بالمفردات المختلفة وفق ما نص عليه القرّاء الثقات .

ومن أمثلة الجمع والمفرد كلمة الكفّار في قوله تعالى: " **وقد مكر الذين من قبلهم فللّه المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** " [2] ، حيث قرأها نافع "وسيعلم الكافر " ، وفيها قال النحّاس: " وسيعلم الكفّار، والكافر بمعنى واحد يؤدّي عن جمع " [3] ، وما كان هذا ليحصل أعني تأدية المفرد لمعنى الجمع لولا السياق ، فالنص القرآني هو من سمح بمثل هذه الاختلافات التي لم تأتي عبثاً وإنّما جاءت بدقة متناهية لهدف هو تكامل المعنى كما لاحظنا ذلك في أمثلة سابقة ، فالاختلافات في مثل هذا لا ترجع إلى فوائد صوتية أو قضايا لهجية وإنّما هي بهدف معنوي ، إذ بهذا الاختلاف نوع من اتّحاد المعنى وتكامله ، فكلمة الكافر لها مدلولها وكلمة الكفار لها مدلولها وبالتالي يكون في المدلولين فوائد تحقق هدفاً وهو تكامل المعنى ، فكلمة الكافر جاء استخدامها لمناسبة النزول أي أنّ النص نزل في حادثة ومن هنا " قال ابن عبّاس : يريد بالكافر أبا جهل " [4] ، وفي الوقت نفسه فكلمة الكافر اسم للجنس فيها دلالة الجمع ومن الكلمات التي تدل عليها كلمة نفس في الآية نفسها ، أمّا الكفّار فدلالتها على الجمع

---

١. تفسير القرطبيّ ، ٢٤٤/٦ . وانظر : إعراب القرآن . النحّاس ، ٥٠٩/١ .

٢. سورة الرعد ، آية ٤٢ .

٣. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٧٥/٢ .

٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . الألوسيّ ، أبو الفضل محمود (-١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مطلقاً وأنّ الذي دل على جواز هذا الاستخدام هو ضمير الجماعة في كلمة " قبلهم" أي أنّ الخطاب موجه إلى الكفّار جميعاً وأنّ كلمة الكافر اشتملت على العموم والخصوص.

ومثل هذا نلحظه في كثير من الأمثلة التي يغني ما سبق عن الخوض والحديث فيها وهذه الأمثلة ضمن النصوص القرآنية هي قوله تعالى : [1] " والذين هم لأماناتهم (لأمانتهم) وعهدهم راعون " و " كطي السجل للكتب (للكتاب) " و " إلى آثار (أثر) رحمة الله " و " والقوه في غيابة (غيابات) الجب " و " إنّ صلاتك (صلواتك) سكن لهم " و " وتمّت كلمة (كلمات) ربك " و " إنّها ترمي بشرر كالقصر كأنّه جمالة (جمالات) صفر " و " من ظهورهم ذريتهم (ذرياتهم) " و " لقد كان لسبأ في مسكنهم (مساكنهم) آية جنتان عن يمين وشمال " وأحاطت به خطيئته (خطيئاته) " .

ففي هذه القراءات نلحظ كيف أنّ للنص القرآني دوراً في توافق المعنى كما نلحظ في أغلب الأمثلة مطابقة الرسم العثماني لكلا القراءتين ومن أمثلة ذلك كلمة لأمانتهم بالإفراد وعند الجمع توضع ألف صغيرة بين التاء والهاء ، وفي كلمة للكتب نلحظ الأمر نفسه وفي كلمة جمالة كتبت التاء المربوطة تاء مبسوطة في الرسم العثماني على النحو : جملت بوضع ألف صغيرة بين الجيم والميم للمفرد ، وعندما تكون للجمع نضع ألف صغيرة أخرى بين اللام والتاء .

وقد يخرج الأمر إلى ما يشبه المفرد والجمع نحو استخدام المصدر والجمع بتغيير بسيط كتغيير الحركة بين الفتح والكسر في الهمزة في كلمة "إسرارهم " في قوله تعالى: " **والله يعلم إسرارهم** " [2] ، وهي مصدر للفعل أسرّ ، حيث قرأها نافع بفتح الهمزة " أسرارهم " وهي جمع سرّ ومثل هذا ورد في كلمة " أدبار " في قوله تعالى : " **ومن الليل فسبّحه وأدبار السجود** " [3] ، وهي جمع دبر ، وقرأها نافع بكسر الهمزة " إدبار "

---

١. انظر : الجدول السابق في هذا المبحث لمعرفة اسم السورة والآية التي أخذت منها الاختلافات .

٢. سورة محمّد ، آية ٢٦ .

٣. سورة ق ، آية ٤٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي مصدر أدبر ، وفي القراءتين فائدة أدت إلى تكامل المعنى ويدلّ على هذا ما ذكره الفرّاء بالفرق بين أدبار وإدبار أنّه " جاء عن علي بن أبي طالب أنّه قال : وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب ، وإدبار السجود الركعتان قبل الفجر " [1] ، ففي القراءتين تفسير للمدة الزمنية المقصودة بأدبار وإدبار السجود ، وهي صلاة ركعتين نافلة في الفترة الواقعة بين صلاتي المغرب والفجر .

ففي هذا المحور كان الهدف من وراء هذه الاختلافات هو خدمة التفسير وبيان المعاني وقد لاحظنا كيف أنّ النص القرآني لعب دوراً بارزاً في إحداث التوافق بين الاختلافات ليردها إلى ما يشبه المكملات ، فلا يستغني عنها مفسّر القرآن ومبيّن آياته لإحداث نوع من تكامل الصورة وهي بمثابة حجة لمفسر القرآن لتأكيد صحة رأيه في بيان المعاني .

المحور الثاني :

ويدور هذا المحور من دراسة المفرد والجمع حول اختلاف الحركات في الجمع نفسه بين القارئين ، وهذه الاختلافات تعود إلى قضايا لهجية في ضوء القواعد المعروفة في حين أنّ بعضها الآخر يعود إلى قضايا التخفيف الصوتي وعموماً هي لا تخرج في إطارها العام عن قضايا صوتية .

ومفردات هذا المحور هي : كلمة " خطوات " في قوله تعالى : " ولا تتبعوا خُطُوات الشيطان " [2] وبإسكان الطاء في قراءة نافع ، وفيها قال ابن خالويه : " يقرأ بضمّ الطاء وإسكانها فالحجة لمن ضمّ أنّه أتى بلفظ الجمع على حقيقة ما وجب له ، لأنّه جمع خطوة ... والحجة لمن أسكن أنّه خفف الكلمة لاجتماع ضمتين متواليتين

---

١. معاني القرآن . الفرّاء ، ٣/٨٠ .

٢. سورة البقرة ، آية ١٨٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وواو ، فلما كانوا يسكنون مثل ذلك مع غير الواو كان السكون مع الواو لثقلها أولى " [1] ، وهذا المثال هو من باب القضايا الصوتيّة إذ لا وجود لقاعدة تجيز السكون لكنّه جائز من باب التخفيف من الثقل الحاصل نتيجة توالي ضمتين وواو ، وهنالك أمثلة تشبه هذه من حيث الحركة والتسكين وهذه الأمثلة هي كلمة رُسُل قرأها نافع بتسكين السين أينما وردت وكلمة أُكُل في قوله تعالى: "فأتت أُكُلَها " [2] ، قرأها نافع بتسكين الكاف وقد أشار ابن زنجله إلى أنّه لا ضرورة تدعو إلى مثل هذا التسكين بدليل إجماعهم على قوله : " هذا نُزُلُهم " وقد اجتمعت ثلاث ضمات في كلمة [3] ، وكذلك كلمة عُرُباً في قوله تعالى: "عُرُباً أتراباً " [4]، وبالتسكين في قراءة نافع ، وعلى العكس من ذلك نجد أنّ نافعاً قرأ كلمة البُدْن في قوله تعالى: "والبدن خلقناها لكم" [5] بضم الدال فنحن هنا أمام حقيقة أخرى غير ما ذكر من أنّ ذلك يعود إلى عامل التخفيف من ثقل ما لأنّ الاتفاق على كلمة نزل بتوالي ثلاث ضمات نفى وجود هذا الثقل ، ولنأخذ في الوصول إلى حقيقة ذلك قولين الأول للفراء الذي يقول : " حدثني شيخ عن الأعمش قال : كنت أسمعهم يقرؤون : " عُرْباً أتراباً " بالتخفيف ، وهو مثل قولك : الرُّسْل والكُتْب في لغة تميم وبكر بالتخفيف ، والتثقيل وجه القراءة ؛ لأنّ كلّ فعول أو فعيل أو فِعال جمع على هذا المثال " [6] ، والقول الآخر للنحاس الذي يقول : " فإن قال قائل : فلمَ صار بَدَنَة وبُدْن أفصح ، وخَشَبة وخُشُب أفصح ، والوزن واحد ؟ ، فالجواب : أنّ بَدَنَة في الأصل نعت من البدانة وهي السمَن ، وخَشَبَة ليست بنعت ، والنعت أولى بالتسكين وما ليس نعت أولى بالحركة " [7] ، فالقول الأول إشارة إلى أنّ القضية ليست إلا ضرب من اللهجية ، والقول الثاني قد فسّر ذلك بحقيقة علمية وقاعدة ثابتة ، فلا يعود الأمر إلى قضية ثقل حاصل ، ولكنه لم ينكر جواز القراءة الأخرى بدليل قوله أفصح أي أنّ الأخرى

---

١. الحجّة في القراءات السبع . ابن خالويه ، ص ٩١ ، ٩٢ . وانظر : إملاء ما منّ به الرحمن ، ٧٥/١ .

٢. سورة البقرة ، آية ٢٦٥ .

٣. انظر : حجّة القراءات . ابن زنجله ، ص ١٤٦ . والشاهد القرآنيّ من سورة الواقعة ، آية ٥٦ .

٤. سورة الواقعة ، آية ٣٧ .

٥. سورة الحجّ ، اية ٣٦ .

٦. معاني القران . الفرّاء ، ١٢٥/٣ .

٧. إعراب القران . النحّاس ، ٤٣/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فصيحة أيضاً ، وهذا يدل على شيوعها واستخدامها عند القبائل بالطريقتين ، فهنالك من كان يدرك هذا الأمر ، فيفرق بين النعت وغير النعت بهذه الطريقة ، ومنهم من كان يلتزم إحداهما ومنهم من كان لا يأبه بهذا التمييز ، لأن اللفظة تدل بذاتها على النعت وغير النعت دون اللجوء إلى التسكين أو عدمه .

وقد ورد التسكين أيضاً عن نافع ولكن في غير الضم ، فكلمة " نَحِسات " في قوله تعالى: " في أيام نَحِسات " [1] ، قرأها نافع بتسكين الحاء وهي لا تعدو أن تكون لغات ليس فيها ما يشير إلى ثقل ومن هنا قال الأخفش : " في أيام نَحْسات ، وهي لغة من قال نَحْس ، ونَحِسات لغة من قال نَحِس " [2] ، وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة كِسَفاً في قوله تعالى: " أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً " [3] ، وبتسكين السين في قراءة نافع ، والكِسْف في كلام العرب جمع كِسْفة وهو جمع الكثير من العدد للجنس كما تجمع السِدْرة بسِدْر والتَمْرة بتَمْر ، وقد يحتمل إذا قرئ "كسفاً " بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من كسف ، فأمّا الكسف بفتح السين فإنّه جمع ما بين الثلاث إلى العشر يقال كسفة واحدة وثلاث كسف وكذلك إلى العشر يعني بذلك قطعاً ما بين الثلاث إلى العشر [4] .

أمّا ما ورد عن نافع أنّه كان يقرأ كلمة بُيُوت أينما وردت بكسر الباء ، فلم يجز النحويّون القدماء هذه القراءة لأنّها خالفت الباب [5] ، ولكنّ النحاس أشار إلى أنّ " بيوت بالكسر لغة رديئة لأنّه يخالف الباب وجازت على أن تبدل من الضمة كسرة لمجاورتها الياء " [6] ، ويدل على شذوذ هذا الاستخدام أنّ نافعاً قرأ ما شابه هذه اللفظة بالضم في

---

١. سورة فصلت ، آية ١٦ .

٢. معاني القرآن . الأخفش ، ٤٦٥/٢ .

٣. سورة الإسراء ، آية ٩٢ .

٤. انظر : تفسير الطبريّ ، ١٦٠/١٥ ، ١٦١ .

٥. انظر : إعراب القرآن . النحّاس ، ٤٣٩/٢ .

٦. المرجع السابق ، ٢٤٢/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نحو قوله تعالى : " ثم لتكونوا شُيُوخاً " [1] ، وقوله : " **وفجّرنا فيها من العُيُون** " [2] ، وقوله : " **إنّك أنت علام الغُيُوب** " [3] ، وقوله : " **وليضربن بخمرهنّ على جُيُوبهنّ** " [4] ، فهذه الجموع قرأها نافع بضم الحرفين الأول والثاني على خلاف قراءته في كلمة بيوت التي قراءها بكسر الباء خلافاً للقاعدة .

وقد يكون في اختلاف الحركات في إطار الجمع الواحد نوع من الفروق اللغويّة ومثال هذا قراءة كلمة "ثَمَر" في قوله تعالى : " **وكان له ثَمَر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً** " [5] ، حيث قرأها نافع ثُمُر بضمتين وقد روى الفراء عن مجاهد أنّه فرّق بين القراءتين فقال : " ما كان في القرآن من ثُمُر بالضم فهو مال ، وما كان من ثَمر مفتوح فهو من الثمار " [6] ، وليس هذا موجود إلا فيما ندر ولا يشكل اختلاف الحركة باباً بالضرورة لحصول الفروق اللغويّة .

المحور الثالث :

ويدور هذا المحور من دراسة المفرد والجمع حول اختلاف الجموع وهذا المحور لم يأتي فيه إلا مثالين في الاختلاف بين قراءة نافع والنص القرآني ، والمثال الأول هو كلمة "فتيان" في قوله تعالى: " **وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** " [7] ، و"لفتيته" على قراءة نافع وقد روى النحاس عن أبي جعفر الرؤاسيّ أنّه اختار قراءة نافع ، فقال : " وهذا مخالف للسواد * لا ألف فيه ولا نون ، فلا يترك للسواد المجتمع عليه لهذا

---

١. سورة غافر ، آية ٦٧ .
٢. سورة يس ، آية ٣٤ .
٣. سورة المائدة ، آية ١٠٩ .
٤. سورة النور ، آية ٣١ .
٥. سورة الكهف ، آية ٣٤ .
٦. معاني القران . الفرّاء ، ١٤٤/٢ .
٧. سورة يوسف ، آية ٦٢ .
* للسواد : أي للرسم العثماني ، ويقصد هنا قراءة من قرأ لفتيانه .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإسناد المنقطع ، وأيضاً فإنّ فتية أشبه من فتيان لأنّ فتية عند العرب لأقل العدد ، والقليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشبه "[1]، إلا أنّ هنالك من خفف من وطأة هذا الاعتراض على قراءة " فتيان " وفي هذا قال العكبري : " قوله تعالى (لفتيته) يقرأ بالتاء على فعلة ، وهو جمع قلة مثل صبية ، وبالنون مثل غلمان ، وهو من جموع الكثرة ، وعلى هذا يكون واقعاً موقع جمع القلة "[2] ، في حين أنّ الفراء اكتفى بقول: " قراءتان مستفيضتان "[3] ، ويبدو أنّ رأي العكبري هو الرأي الأرجح في استخدام جمع الكثرة للدلالة على جمع القلة ولا يمكن الأخذ برأي أبي جعفر بالرغم مما قاله من مخالفة فتيانه للسواد لأنّ القراءة في السواد على النحو " لفتينه " بوضع ألف صغيرة بين الياء والنون وبوضع حرف التاء موضع حرف النون تصبح " لفتيته " وهي بهذا لا تكون مخالفة للسواد .

والمثال الثاني هو كلمة " أسورة " في قوله تعالى : " **فلولا ألقي عليه أسْوِرَة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين** "[4]، و " أساورة " على قراءة نافع ، وفي القراءتين قال الفراء " وكلّ صواب "[5] ، لأنّ أسورة جمع سوار ، وأساورة جمع أسوار أو جمع أسورة أي أنّها جمع الجمع ، فأصل هذا الجمع أساوير ثم جعلت التاء عوضاً عن الياء كما في جمع زنديق على زنادقة والأصل زناديق .

إنّ الاختلافات في محاورها الثلاثة لا تخرج من دائرة أن تكون تعبيراً عن مناهج لهجية في طابعها العام مع وجود بعض منها لفائدة تخدم تفسير النص القرآني وأخرى ترجع إلى شيوع الاستخدام لجمع ما عند قبيلة ما ولا تستخدمه القبيلة الأخرى مما يعني لوناً من التخفيف ولا يمكن عده من باب القضايا الصوتية .

---

١. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٤٦/٢ .

٢. إملاء ما منّ به الرحمن . العكبريّ ، ٥٥/٢ .

٣. معاني القرآن . الفرّاء ، ٤٨/٢ .

٤. سورة الزخرف ، آية ٥٣ .

٥. معاني القرآن . الفرّاء ، ٣٥/٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع
الإدغام الأكبر

الإدغام لغة : مأخوذة من " دغم الغيث الأرض وأدغمها : إذا غشيها وقهرها ... والإدغام : إدخال اللجام في أفواه الدوابّ ، وأدغم الفرس اللجام : أدخله في فيه ... قال الأزهري : وإدغام الحرف بالحرف مأخوذ من هذا ، والإدغام إدخال حرف في حرف ، يقال أدغمت الحرف وادّغمته على افتعلته " [1] وفي مقاييس اللغة : " دغم الدال والغين والميم أصلان : أحدُهما من باب الألوان، والآخر دخولُ شيءٍ في مَدْخَلٍ ما. فـالأوّل الدُّغمة في الخيل : أن يخالف لونُ الوجه لون سائر الجسد، ولا يكون إلا سَواداً، ومن أمثال العرب: " الذَّنَبُ أدْغَمُ ". تفسير ذلك : أنّه أدغَمُ ولَغَ أو لم يلَغْ، فالدُّغْمَة لازمةٌ له ، فربَّما قيل قد ولَغَ وهو جائع يضرب هذا مثلاً لمَنْ يُغْبَط بما لم ينَلْه . ومن هذا الباب دَغَمَهم الحرُّ، إذا غشِيَهُمْ؛ لأنّه يغيّر الألوان ، والأصل الآخَر: قولُهم أدغَمْتُ اللّجام في فم الفرس ، إذا أدخَلْتَه فيه ومنه الإدغام في الحُروف " [2] .

أمّا في الاصطلاح : فهو "وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك بلا سكنة على الأول بحيث يعتمد بها على المخرج اعتمادة واحدة قوية " [3] ، وقال آخر في الإدغام : " أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقـف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة ، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام " [4] .

---

١. لسان العرب ، مادة "دغم" .

٢. مقاييس اللغة ، مادة "دغم" .

٣. شرح الشافية . الرضيّ ، ٢٣٥/٣ .

٤. شرح المفصل . ابن يعيش ، ١٢١/١٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ هؤلاء النحاة إنما يعبرون في التعريف بعملية الإدغام عن الصورة النهائية لهذه العملية دون الإشارة إلى ما يسبقها من حذف للصامت وقلب للصائت الأول أو الثاني من جنس الآخر ، سواء أكان مجانساً أم مقارباً ، أي أنّهم اقتصروا على تصوير العملية الصوتية ، والمفروض أنّ الإدغام لا يكون إلا بين مثلين ، سواء أكان ذلك بالتحويل والقلب السابق لعملية الإدغام أم بدونهما إذا كان الصوتان الصامتان مطابقين لبعضهما تمام المطابقة ، كما أنّ الذي يلفت النظر هو أنّ هؤلاء النحاة في تعريفهم لا يتصورون الإدغام على أنّه فناء لبعض صفات الصوت الأول في الصوت الثاني بل يجعلونهما لشدة اتصالهما كصوت واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة .

إنّ تعريفاً مانعاً شاملاً للإدغام لا يمكن التوصل إليه ومن هنا نجد أنّ تعريف الرضي وتعريف ابن يعيش قد جاءا يصوران لنا الإدغام بمرحلته الأخيرة فكلمة مثله التي استخدماها لا تشير إلى التماثل فحسب بل تشير إلى المجانسة والمقاربة أيضاً ذلك أنّ كلمة مثله تشير إلى التشبيه وهذا التشبيه قد يكون تاماً فيحدث به التماثل : وهو أن يتفق الصوتان في المخرج والصفات كلّها نحو : إدغام الباء في الباء أو التاء في التاء ...إلخ وقد يكون التشبيه جزئياً وبه يكون : أولاً : التقارب: وهو أن يتفق الصوتان في المخرج وبعض الصفات نحو إدغام الذال في الظاء أو التاء في الضاد ...إلخ ، وثانياً : التجانس : وهو أن يتفق الصوتان في المخرج دون الصفات نحو إدغام الذال في الثاء أو الثاء في الظاء ...إلخ . أمّا تعريف الزجاج فقد قصر الإدغام على نوع واحد فقط وهو إدغام المتقاربين .

أمّا الإدغام عند علماء القراءات ، فقد عبّر عنه ابن الجزري فقال : " اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً " [1] ، وهذا التعريف الموجز يشتمل على عمليات الحذف والقلب والإدغام ، وهذا ما يقتضيه اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً وإلا فلن يكون الصوت مشدّدا.

---

١. النشر في القراءات العشر ، ٢٧٤/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويبدو كما هو واضح من أنّ العلماء جميعاً من لغويين ونحويين وقـرّاء متفقـون على أنّ الإدغام يكون بحذف الحركة من الصوت الأول إن كـان متحركـاً ، ويقلـب الصوت الأول من مثل الثاني وهو الأصل أو من جنسه في بعض الحالات ، وينفـرد النحاة القدماء ببقية المفاهيم التي عددها ابن جني في حديثه عن الإدغـام الأصـغر ، ولكنّ مفهوم القرّاء والنحاة المتأخرين قد غلب آخر الأمر ، فأصبح هو المقصود بلفظة الإدغام وهذا الذي يعنينا في دراسة الإدغام في قراءة الإمام نافع .

أمّا عن الإدغام في قراءة نافع ، فقد " كان نافع لا يكاد يدغم إلا ما كان إظهـاره خروجاً من كلام العرب إلا حروفاً يسيرة " [1] ، نذكر منها : إدغام الذال السـاكنة فـي التاء إذا لقيتها ، نحو[2]: اتّخذتُم ـ اتّختم ، عذْتُ ـ عتّ .. وما شابه ذلك فـي جميـع القرآن ونذكر منها أيضاً الدال الساكنة في الضاد والظاء والجيم إذا لقيتها ، نحو : قـدْ ضلّلت ـ قضلّلت ، فقدْ ظلّم ـ فقظلّم ، قدْ جاءكم ـ قجّاءكم .. وغيرها فـي جميـع القرآن ، كما قرأ بالإدغام ألفاظاً يبينها الجدول الآتي :

الرقم	موطن الإدغام	السورة والآية	طريقة الإدغام في قراءة نافع
١	تَذَكّرون	الأنعام ١٥٢ وغيرها نحو الفرقان ٦٢	تذّكّرون : تشديد الذال ، ذلك أنّ الأصل فيها تتذكّرون حيث أبدلت التاء ذالاً بعد تسكينها ثم أدغمت الذال الساكنة بالذال الثانية
٢	تَزاور	الكهف ١٧	تَزّاور : تشديد الزاي والأصل تتزاور فسكنت التاء الثانية تخفيفاً ثم أبدلت التاء زايا ساكنة وأدغمت بالزاي الثانية .

١. السبعة . ابن مجاهد ، ص ١١٣ .

٢ . عند حدوث الإدغام في الكلمة الواحدة توجب قواعد الرسم أن يكتب المثلان حرفاً واحداً مشدّداً ، ولـيس الأمر كذلك إذا حدث في كلمتين ، ولكن سأقوم برسمه في كلمتين كما هو الحال في الكلمة الواحدة من أجل بيان طريقة نافع في الإدغام .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣	تَشَقَّق	الفرقان ٢٥	تَشَقَّق : تشديد الشين والأصل تتشقق بالتسكين والإبدال والإدغام .
٤	ولا تَيَمّموا	البقرة ٢٦٧	ولا تَيَّمّموا : تشديد التاء والأصل ولا تتيمّموا فسكن التاء الأولى وأدغمها بالتاء الثانية والسبب في عدم تطبيق الطريقة كما في الأمثلة السابقة هو عدم وجود مقاربة بين صوتي التاء والياء .
٥	يَخِصّمون	يس ٤٩	يَخْصّمون : تشديد الصاد والأصل يختَصمون فأسكن التاء ثم أبدلها صاداً وأدغمها بالصاد الثانية دون أن يغير الساكن الأول وهو جمع بين ساكنين .
٦	فَتَخْطَفُهُ	الحج ٣١	فتَخَطَّفُهُ : تشديد الطاء والأصل فتَختَطِفُهُ حيث ألقى حركة التاء على الخاء ثم أسكن التاء وأبدلها طاء ثم أدغمها بالطاء الثانية وهو خلاف ما اتّبعه في الطريقة السابقة .
٧	تصدّقوا	البقرة ٢٨٠	تصّدّقوا : الأصل تتصدّقوا ، حيث سكنت التاءثم قلبت صاداً وأدغمت بالصاد .
٨	تَظَاهرون	البقرة ٨٥	تَظّاهرون : الأصل تتظاهرون ، حيث سكنت التاء ثم قلبت ظاء وأدغمت بالظاء .
٩	تَذَكّرون	الأعراف ٣	تَذّكّرون : الأصل تتذكرون ، حيث سكنت التاء ثم قلبت ذالاً وأدغمت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

			بالذال .
١٠	يوجّهُهُ	النحل ٧٦	يوجّهُ : حيث حذفت الحركة وهي لغة في تسكين حركة الإعراب ثم أدغمت الهاء الساكنة بالهاء حيث لا يستطيع أحد إنكار مدى السهولة والتخفيف الحاصل نتيجة الإدغام
١١	أحَطْتُ	النمل ٢٢	أحطُ : إبدال التاء طاء ثم إدغامها بالطاء مع الإطباق .
١٢	مَنْ يرتَدِدْ	المائدة ٥٤	مَنْ يرتَدَّ
١٣	أفعيِنا	ق ١٥	أفعيّنا
١٤	سوْءاتهما	الأعراف ٢٢،٢،٢٧	سوّاتهما : حيث أبدلت الهمزة واواً ثم أدغمت الواو الساكنة بها
١٥	ورِءْيا	مريم ٧٤	وريّا : حيث أبدلت الهمزة الساكنة ياء ثم أدغمت بالياء .
١٦	حملتْ ظُهورها	الأنعام ١٤٦	حملظُّهورها
١٧	المرفوذ ، ذَلك	هود ٩٩، ١٠٠	المرفوذّلك : في حالة الوصل فقط ، حيث أبدلت الدال ذالاً بعد تسكينها لأنها نهاية الفاصلة ثم أدغمت بالذال حيث حصل التقارب من حيث أنّ الصوتين مجهوران ولكنّ نافعاً غلّب الأضعف صفة على الأقوى خلافاً لما هو معروف في القواعد الصوتية والسبب هو المحافظة على سلامة اللفظة ، فالدال صوت شديد والذال صوت رخو .
١٨	عاداً الأُولى	النجم ٥٠	عادلُولى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٩	منْ راق	القيامة ٢٧	مرّاق
٢٠	بلْ ران	المطففين ١٤	برّان
٢١	ركبك ، كَلا	الانفطار ٨ ، ٩	ركبكّلا :في حال الوصل كما في المثال ١٧مع فارق أنّ الإدغام هنا في المثلين .
٢٢	بل زعمتم	الكهف ٤٨	بزّعمتم : حيث أبدل اللام زايا ثم أدغمه بالزاي
٢٣	كهيعص ذكر	مريم ١	إدغام دال صاد مع الذال على شكل ذال مشددة بالطريقة نفسها في المثال ١٧ .
٢٤	أتعدانني	الأحقاف١٧	أتعدانّي

وهذه الأمثلة جاءت ممثلة لمنهج نافع في الإدغام حيث نلحظ ميل الإمام نافع إلى إبدال التاء الثانية في وزن تتفعّل من جنس الفاء ثم الإدغام حيث أنّي لم أذكر هذا كقاعدة مطلقة تطبق على جميع أصوات اللغة حينما تكون موضع الفاء ؛ لأنّ نافعاً أدغم منها ما كان مقارباً لصوت التاء فنراه يميل إلى حذف إحدى التاءين عندما لا يحدث التقارب الصوتي ، وذلك في ألفاظ مثل قوله تعالى : " توفّاهم " [١] ، والأصل فيه تتوفاهم حيث نلحظ أنّ نافعاً قد مال إلى التخفيف من ثقل التاءين فحذف إحداهما دون أن يؤثر ذلك على بنية الكلمة في كونها فعلاً مضارعاً ، وكذلك الأمر في قوله تعالى : " تَلْقَف " [٢] ، حيث قرأها نافع بتشديد القاف على النحو : " تَلَقَّف " والأصل في هذه القراءة " تتَلَقَّف " فقد مال نافع إلى الحذف دون الإظهار هرباً من ثقل المثلين ولم يدغم لعدم وجود مقاربة صوتية بين التاء واللام ، في حين نراه يدغم المثلين حين لا يكون ما بعد التاء مقارباً لها ومثال ذلك قوله تعالى : " ولا تَيَمَّموا " المذكور في الجدول السابق حيث قرأه بتشديد التاء والذي سهل عليه بلوغ هذه الطريقة هو صوت المد الألف كما

---

١. سورة النساء ، أية ٩٧ .

٢. سورة طه ، أية ٦٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنّ نافعاً في هذه القراءة حافظ على سلامة اللفظ من أن يظن من يقرأ هذا بأنّ لا حرف نفي دون الجزم وأنّ الفعل ماضٍ لا مضارع ، وهي طريقة تدل على براعة في تخيّر اللفظ الأسلم والأنسب على الرغم من أنّ " الجمهور على تخفيف التاء " [1] ، ومن هنا كان التقارب الصوتي مدعاة لإبدال الأصوات وإدغامها على أنّ عدم التقارب الصوتي في مثل هذه الحالة كان مدعاة إلى الحذف ميلاً إلى التسهيل ، ومن هنا قال النحاس : " و تَصَّدَّقوا ، تدغم التاء في الصاد ولا يجوز هذا في تتفكّرون لبعد التاء من الفاء ومن خفف حذف التاء " [2] .

أمّا عن الثقل الحاصل في نطق التاءين ، فيتمثل في صعوبة نطق الصوت ثم العودة إلى ذلك الصوت مرّة أخرى على الرغم من أنّ هذه الطريقة تعدّ أول مراحل التكوين الصوتي عند الطفل وكأنّ العربي الأول شعر بهذا فابتعد عمّا يعيده إلى هذه المرحلة العمرية حتى لو كان في تقليد الصوت .

أمّا عن التاء المحذوفة ، فقد أشار علماء اللغة إلى أنّ التاء الثانية هي المحذوفة ، وفي هذا قال العكبري : " يقرأ بالتخفيف على حذف التاء الثانية لأنّ الثقل حصل بها ولأنّ الأولى حرف يدل على معنى " [3] ، وقال النحاس : " حذفوا التاء الثانية لدلالة الأولى عليها " [4] ، وفي الحقيقة أنّ الثانية من يقع عليه البدل والإدغام وذلك للقرب المكاني ولكن لا يمكن أن يقع عليها الحذف لأنّها أولاً لم تكن السبب في الثقل لأنّها أصلية وأنّ تاء المضارعة زائدة على الرغم مما تحمله من معنى كما أنّه ليس في الاثنتين دلالة على المضارعة في حال حذف إحداهما وإنّما الذي يدل على المضارعة هو الإعراب في نهاية الفعل ، فلو خيف اللبس ما بين الماضي والمضارع لما جاز الحذف . ومن هنا كانت الطريقة الفضلى والأكثر دلالة هي الإدغام لأنّها تصلح كمنهج

---

١. إملاء ما منّ به الرحمن ، ١١٤/١ .

٢. إعراب القرآن . النحّاس ، ٢٩٦/١ .

٣. إملاء ما منّ به الرحمن ، ٤٨/١ .

٤. إعراب القرآن . النحّاس ، ١٩٤/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صوتيّ شامل لا لبس فيه على الرغم من تفضيل علماء اللغة لطريقة الحذف لما في ذلك من تخفيف صوتي وميل نحو التسهيل ، لكنّ الحفاظ على سلامة اللغة أكثر أهمية كون هذه العملية من التخفيف تنحو لأن تكون ظاهرة صوتية يقاس عليها وليس مجرد ألفاظ تحفظ .

أمّا إدغام نافع للذال الساكنة في التاء ، فقد حصل فيها الإبدال والإدغام على الرغم من المفارقات الوصفية بين الصوتين في كون التاء صوتاً شديداً مهموساً والذال رخواً مجهوراً واختلاف المخرج في كون الذال تخرج من بين الأسنان عند وضع اللسان بينهما وأنّ مخرج التاء أسناني لثوي حين يلتقي طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا . ويبدو أنّ المقاربة الصوتيّة الوحيدة هي الانفتاح بالإضافة إلى تقارب المخرجين ، ومعروف في قانون الأصوات أنّ الصوت الأقوى من يحافظ على بقائه ، وهكذا تحولت الذال إلى تاء ثم أدغمت التاء بالتاء ، ونافع في إدغامه لهذين الصوتين كان مائلاً نحو التسهيل من ثقل واضح عند إظهاره لهذين الصوتين .

أمّا إدغام الدال في الضاد والظاء ، فالدال والضاد تشابها في المخرج وهو الأسناني اللثوي وفي صفتي الشدة والجهر ، ولم يختلفا إلا في صفة الإطباق للضاد والانفتاح للدال ، فكان الإطباق أقوى من الانفتاح ، فأبدلت التاء ضاداً ثم أدغمت بالضاد ، في حين أنّ الظاء من مخرج ما بين الأسنان ، وهو صوت رخو مجهور مطبق . والدال صوت شديد مجهور منفتح فتشابها في صفة الجهر وتغلبت الظاء في صفة الإطباق ، وأبدلت التاء ظاء ثم أدغمت ، وكذلك الأمر في الطاء والتاء فهما من المخرج نفسه وهو الأسناني اللثوي كما وتشابهت في جميع الصفات ماعدا الإطباق فهما صوتان يتصفان بالشدة والهمس فكانت الغلبة للصوت المطبق ، وهو التاء الذي حافظ على وجوده ودنا الآخر إليه ، ومن هنا نلاحظ مدى الخفة والسهولة التي أحدثها الإدغام في مثل هذه الأصوات .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمّا من أظهر في مثل هذه المواطن فلا يخفى ما فيه من التكلف وخاصة حينما يتعلق الأمر في كون الإدغام في كلمة واحدة نحو : أخذْتم وأحطْتُ وعذْت وغيرها ، مع أنّ هنالك من يعدّ الإدغام فيها واجباً والحقيقة أنّه ليس واجباً ولكنّه مفضل ، يقول القرطبي : " الطاء إذا سكّنت وبعدها تاء فإنّ الإدغام يجب لتقارب المخرج ويبقى صوت من الإطباق ، كقوله تعالى : " أحطْت " و " فرّطْت " و " فرّطْتم " وكان قياسه قلب الطاء تاء وإدغامها في التاء كما في الحروف المتقاربة مثل : " هلْ ثُوّب " [1] ، و " منْ ربهم " [2] ، وما أشبه ذلك ، إلا أنّه لمّا كان من أحكام الإدغام أنّ الحرف إذا كان له فضيلة ومزية على مقاربه امتنع الإدغام ، وكان للطاء فضيلة ومزية على التاء بالإطباق الذي في الطاء كُره ذهاب إطباقها بالإدغام مع القلب المحض ، فغادروا فيه صويتاً من الإطباق لئلا يجحفوا بها ويسلبوها مزيتها فأدغمت في التاء مع إبقاء شائبة من الطاء لذلك ، وهو بهذا يتحدث عن محافظة الصوت صاحب الصفة الأقوى على صفته إلا أنّ هذا الأمر ليس شرطاً لازماً لأنّه في حال كان هناك محاولة للتعرض لسلامة اللفظة فإنّ الصوت الأضعف هو من يتغلب لأنّ في الحفاظ على سلامة اللفظة أهمية تغلب قانون القوة والضعف في الأصوات وهذا موضح في الجدول السابق في إدغام الدال بالذال مع أنّ الذال هي الأضعف صفة.

ولا يقتصر الأمر على اللفظة الواحدة ففي حال الإظهار في الآخر والأول من كلمتين فإنّ الوقف الجزئي على الآخر هو الطريقة الفضلى في حال عدم الرغبة في الإدغام في نحو الأمثلة السابقة من إدغام التاء في الظاء أو الطاء أو الجيم على الرغم مما فيها من الصعوبة والتكلف .

أمّا إدغام المثلين في " يوجّهُه " فقد كان بالتسكين أولاً لحركة الإعراب ثم الإدغام لتصبح يوجّهُ ، وذلك لأنّ في الإظهار نوعاً من التكلف والصعوبة في النطق ، وقد كان

---

١. سورة المطففين ، آية ٣٦ .

٢. سورة البقرة ، آية ٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منهج قراءة نافع هو الميل إلى التسهيل والتخفيف من عبء الثقل الحاصل ، والـذي لا يخفى على أحد .

أمّا الإدغام في قوله تعالى : " المرفود ، ذلك " في حالة الوصل ، فإنّ هذا الإدغام قد حصل لوجود تقارب في الصفات وهي الجهر والانفتاح ، فالذال مخرجـه أسـناني وصفاته : رخو ، مجهور ، منفتح . في حين أنّ الدال أسناني لثوي وصفاته : شديد و مجهور و منفتح . حيث نلحظ أنّ القراءة أصبحت على النحو التالي : " المرفوذّلك " ، وفيها تغلب صوت الذال الأضعف صفة على صوت الدال الأقوى صـفة وفـي هـذا مخالفة للقاعدة الصوتية القائلة بغلبة الأقوى وخضوع الصوت الأضعف ، ولكن يبـدو أنّ الثقل الذي قد يحدثه صوت الدال في مثل هذا الموطن هو السبب في تغلب الصوت الأضعف كما أنّ تأثر اللفظة قد يكون سبباً آخر ، ومن هنا حدث مثل هـذا الإدغـام لنلحظ مدى الخفة التي حققها الإدغام عند الوصل .

أمّا الإدغام في " سوءاتهما " و " رءيا " وتحولهما بعد عملية تخفيف الهمزة إلـى واو في الأولى ، وياء في الثانية ليلتقي حينها المثلان فيدغما إدغاماً لازماً ، فتصـبحا عل النحو التالي : " سوّاتهما ، ريّا " ، فنلاحظ فيه مدى الخفّة والسهولة في النطق بعد نهاية التبدل الصوتي بالإدغام في قراءة الإمام نافع ، وكذلك الأمر في قوله تعـالى : " عاداً الأولى " فنلاحظ مدى التخفيف الحاصل بعد حذف الهمزة وإلقاء حركتهـا علـى اللام وتلاشي ألف الوصل التي ذهبت بذهاب موجدها وهو سكون لام التعريف وهـذا هو الدليل على أنّ همزة " ال " زائدة من أجل التوصل للابتداء بالساكن ، ومـن هنـا قالوا لام التعريف وهو مفهوم دقيق . ثم بعد ذلك التقت اللام مع التنوين وهـي مـن موجبات الإدغام لنلاحظ أخيراً الفرق في التخفيف الحاصل حينما تحولت اللفظة بعـد عمليات التبدل الصوتي إلى : " عادلّولى " كما قرأها نافع تماماً .

أمّا قوله تعالى : " منْ راق " و " بلْ ران " ، فقد قرأهما نافع بالإدغام وهذا ممـا يجوز فيه الحالتين أي الإدغام والإظهار ولكنّ الإدغام أخفّ على اللسان وأسهل مـن الإظهار .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمّا عن منهج الإمام نافع في النون عندما تلتقي نون الوقاية ، فقد اعتمد أكثر من طريقة للتخفيف من ثقل المثلين هاهنا ، فكان حيناً يدغم كما في قراءة " أتعداننني " حيث قرأها : " أتعدانّي " بالإدغام ، فقد التقى ساكنان أولهما صوت مد ، في حين قرأ :أتمدُنَنِ " [1] بحذف إحدى النونين وحذف الياء في الوقف لتصبح القراءة " أتمدّونِ " بنون واحدة [2] وكذا الأمر في : " أتحاجونّي " [3] ، حيث " قرأ نافع : " أتحاجونِي " بنون مخففة " وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال : هو لحن ، وأجاز سيبويه ذلك " [4] ولكن لماذا آثر نافع في هاتين اللفظتين الحذف مع أنّ الإدغام سهل ولا يخلّ باللفظة كإخلال الحذف ؟ فالجواب على مثل هذا نجده في قول أبي عبيدة : " إنّما كره التثقيل من كرهه للجمع بين ساكنين وهما الواو والنون ، فحذفوها " [5] ، ولكنّ هذا التعليل غير مقنع لأنّ الواو صوت مدّ ، وقد أجاز علماء اللغة مثل هذا في التقاء الساكنين لما فيه من الخفة والسهولة ، ولكنّ الحقيقة أنّ لنافع طريقتين في هذا ، وهما الإدغام والحذف .

وبعد هذا العرض الذي يتسم بالإيجاز لمنهج نافع في الإدغام ، نلحظ أنّ نافعاً لم يكن في إدغامه مخالفاً لما جاء به النحاة من قواعد حول هذه الظاهرة إلا ما ندر ، و ذلك لأنّ الهدف الأسمى في قراءة نافع ، هو الحفاظ عل سلامة اللفظ ، وعدم اختلاطه بغيره ، وعدم إدخاله موضع الشك في المعنى والإعراب ، بالإضافة إلى الهدف الرئيسي من وراء هذا الإدغام وهو الميل المطلق نحو انتقاء أفضل الطرق لإخراج الصوت من أبسط وأسهل المخارج ، بحيث يلحظ من ينعم النظر في هذه الألفاظ مدى السهولة في نطق الألفاظ مما يخفف العبء الواقع على أعضاء النطق .

---

١. سورة النمل ، آية ٣٦ .

٢. انظر : السبعة . ابن مجاهد ، ص ٤٨٢ .

٣. سورة الأنعام ، آية ٨٠ .

٤. إعراب القرآن . النحّاس ، ١/٥٦٠ .

٥. المرجع السابق ، ١/٥٦٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي بدت واضحة المعالم لمن أمعن الدرس فيها أقول : إنّ هذه الدراسة لمنهج الإمام نافع وطريقته المثلى في تجويد القرآن قد بدت جليّة في الطرائق العديدة التي اتّبعها في تخفيف الأصوات ، وهذا ما نراه جلياً عند قراءة مبحث الهمز والإدغام الأكبر وقضية الساكن والمتحرك ، كما أنّه ومن خلال هذه القراءة يتبين مدى الرقي الذي وصلت إليه اللغة العربية في اختيار سبل عديدة تكشف الأبعاد الجمالية في التفنن والزخرفة التي احتوتها اللغة العربية ، وهذا الأمر بدا جلياً عندما اختار الإمام نافع الإمالة منهجا للتدليل على أصول الكلمات فتبين أنّ في الإمالة غنى عن تتبع العديد من الكلمات لمعرفة أصولها بالإضافة إلى ما حوته الإمالة من قدرة على مطابقة الدال للمدلول .

إنّ هذه الدراسة قد كشفت الصورة جلية عن المعجزة اللغويّة في القرآن في أنّ أسباباً متفرقة تتدرج ابتداء من اللفظة وانتهاء بالنص القرآني كانت وراء الكثير من وحدة المعاني بين الاختلافات العديدة في البنى الصرفيّة .

كما أنّ الدراسة قد حوت على معالجة للعديد من اعتراضات العلماء على العديد من نصوص هذه القراءة ، وكان فيها صورة مقبولة إلى حدّ ما في دحض الكثير من هذه الاعتراضات ؛ لتغدو الصورة بينة حول هذه القراءة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جاءت نتائج هذه الدراسة عبر فصليها ، على النحو التالي :

الفصل الأول : القضايا الصوتية في قراءة نافع ، واشتملت على دراسة الظواهر الصوتية التالية :

١. المبحث الأول : الهمز : وقد عمدت في هذا المبحث إلى بيان طرق التسهيل والتحقيق (النبر أو الهمز) التي اعتمدها الإمام نافع ، مقرئ أهل المدينة ، وتبيّن أنّ الميل إلى التسهيل كان الطابع الأبرز مع وجود كثير من المخالفات اللغويّة التي أثارت ضجة في أوساط اللغويّين الأولين ، فركزت عليها ، وبينت ما بينت منها ، وتركت الصورة واضحة فيها ، كما لوحظ ما اشتملت عليه هذه القراءة من السهولة واليسر من حيث اختصار المقاطع الصوتية ، وسهولة المخرج بالإضافة إلى ما احتوته من مخالفات للأصول اللغوية وميله إلى الغرابة أحياناً ، وخرجت بنتيجة أنّ الإمام نافعاً كان ممثلاً للهجة الحجازية تمثيلاً قريباً من الكمال فيما يخص هذه الظاهرة .

٢. المبحث الثاني : الإدغام الأصغر : وقد ركزت في هذا المبحث على دراسة قضيتي الإمالة ، و"الروم والإشمام" ، فتبيّن أنّ الإمالة في قراءة الإمام نافع اتّخذت طابع الشموليّة ، فأمثلة الإمالة جاءت غزيرة في قراءة الإمام نافع ، وهو في هذا لم يكن ممثلاً للهجة الحجازيّة بتمام قواعدها ، وتبيّن مدى المخالفات اللغويّة التي جاءت في هذه القراءة ، على عكس الروم والإشمام الذي جاء محدوداً بألفاظ قليلة.

٣. المبحث الثالث : التقاء الساكنين : قمت بجمع النصوص التي ركز فيها نافع على التخلص من هذا العائق الصوتيّ ، وبيّنت الطرق المختلفة التي حوت جماليات صوتيّة مختلفة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد ركزت على دراسة المخالفات اللغويّة التي تمثلت بالقدرة على النطق بالساكنين في بعض

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الألفاظ ، والتي يظهر فيها طابع الاستحالة ، وبالتالي كانت مثار جدل وتأويلات مختلقة من قبل علماء اللغة .

٤. المبحث الرابع : المتحرك والساكن : وقد ركزت في هذا المبحث على دراسة قضيتي الإشباع ، وياءات الإضافة . من حيث اقتصاره في الإشباع على إشباع الحركة الأخيرة في عدد من الكلمات ، وخاصة حركات الضمائر المتصلة نحو : عليهم ، ومنهم ، وإليه ، ... وفي ياءات الإضافة تطرقت إلى قضية الفتح والإسكان ، وقضية الحذف في ياء الإضافة مع بيان القواعد العامة والأسباب الداعية لذلك .

الفصل الثاني : القضايا الصرفية في قراءة نافع ، واشتملت على دراسة الظواهر الصرفية التالية :

١. المبحث الأول : الاشتقاق : وفي هذا المبحث تناولت الاختلافات الاشتقاقية في قراءة الإمام نافع عن غيره من القرّاء ، وبينت مدى التأثير المعنويّ في هذه الاختلافات ، وأثره في التفسير ، كما بينت أثر النص القرآني ، وعوامل أخرى في توحيد المعنى الذي تؤديه المشتقات المختلفة .

٢. المبحث الثاني : الأفعال : قمت في هذا المبحث بدراسة قضيتي المجرد والمزيد ، والبناء للمعلوم والبناء للمجهول من ناحية اختلاف الإمام نافع فيها عن غيره من القرّاء ، وبيّنت العوامل التي أدت إلى توحيد المعنى على الرغم من هذه الاختلافات .

٣. المبحث الثالث : المفرد والجمع : وفي هذا المبحث تناولت المفرد والجمع من حيث الاختلاف في الصيغ من جهة ، والاختلاف في استخدام المفرد موقع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجمع ، والجمع موقع المفرد ، ودور النص القرآني في إبقاء المعنى في إطار واحد .

٤. المبحث الرابع : الإدغام الأكبر : وقد تبيّن من خلال مناقشة مفردات هذا المبحث ، أنّ الإمام نافعاً قد طابق في إدغامه ما ورد عن علماء اللغة إلا في بعض المفردات ، التي ركزت على دراستها ، وبيان أسباب هذه المخالفات فتبيّن أنّ الهدف من وراء هذا الإدغام هو الميل المطلق نحو انتقاء أفضل الطرق ؛ لإخراج الصوت من أبسط وأسهل المخارج بحيث يلحظ من ينعم النظر في هذه الألفاظ مدى السهولة في نطق الألفاظ مما يخفف العبء الواقع على أعضاء النطق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المصادر والمراجع

أ. الكتب المطبوعة :

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم . القنوجي ، صديق بن حسن ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب . أبو حيان النحويّ ، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، تحقيق : مصطفى أحمد النماس ، ط٢ ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٨٧ .

٣. أسرار العربية . الأنباري ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن ، تحقيق: محمد بهجة البيطار ، المجمع العلميّ العربيّ ، دمشق ١٩٥٧ .

٤. الأصوات اللغويّة . أنيس ، إبراهيم ، مكتبة الإنجلو المصريّة ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٧٩ .

٥. الأصول في النحو . ابن السراج ، أبو بكر ، تحقيق : عبد الحسين الفتيلي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٦. إعراب القرآن . النحّاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد المصريّ ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، مطبعة العانيّ ، بغداد ، ١٩٧٧ .

٧. الأمالي . القالي ، أبو علي إسماعيل بن قاسم ، تحقيق : عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٨. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن . العكبريّ ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، ط ٢ ، مكتبة الحلبي ، مصر ، ١٩٦٩ .

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاويّ . البيضاويّ ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازيّ ، تحقيق : عبد القادر عرفات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠. التبصرة في القراءات . القيسي ، مكي بن أبي طالب ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، ط١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صفاه ، الكويت ، ١٩٨٥ .

١١. التبيان في تفسير غريب القرآن . ابن الهائم ، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري ، تحقيق : فتحي أنوار الدابولي ، ط ١ ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

١٢. تفسير البحر المحيط . أبو حيان النحويّ ، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسيّ ، تحقيق : علي محمد معوّض ، ط ٢ ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٨٣ .

١٣. التيسير في القراءات السبع . الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد ، تصحيح : أوتو يرتزل ، ط ١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ .

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . الطبريّ ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

١٥. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم . الإمام مسلم بن الحجاج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

١٦. الجامع لأحكام القرآن . القرطبيّ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ الأندلسيّ ، أحمد البردوني ، ط ٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ .

١٧. الحجّة في القراءات السبع . ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، تحقيق : مكرم ، عبد العال سالم ، ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ، ١٩٩٠ .

١٨. حجّة القراءات . ابن زنجله ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، تحقيق : سعيد الأفغانيّ ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٩. خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجّة الحمويّ ، تقي الدين أبو بكر علي ، تحقيق : عصام شعيتو ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٢٠. الخصائص . ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، تحقيق : محمد علي النجّار ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢١. ديوان حسّان بن ثابت ، تحقيق : سيد حنفي حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٢٢. ديوان عنترة ، تقديم: عبد القادر محمد مايو ، ط١ ، دار القلم العربي ، حلب ، سورية ، ١٩٩٩ .

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . الألوسيّ ، أبو الفضل محمود ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٤. السبعة في القراءات . ابن مجاهد ، أبو بكر ، تحقيق: شوقي ضيف ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٢٥. سرّ صناعة الإعراب . ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، تحقيق : حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥ .

٢٦. شرح أبيات سيبويه . السيرافي ، أبو محمد يوسف بن الحسن ، تحقيق : محمد الريح هاشم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦ .

٢٧. شرح التصريح على التوضيح . الأزهري ، زين الدين خالد بن عبد الله ، تحقيق : يس بن زين الدين الحمصي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠ .

٢٨. شرح شافية ابن الحاجب . الرضي الاستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسين ، تحقيق: عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢٩. شرح المفصل . ابن يعيش ، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي النحويّ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣٠. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، تحقيق: عمر الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٣١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . الشوكاني ، محمد بن علي ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .

٣٢. القاموس المحيط . الفيروزآبادي ، مجد الدين بن يعقوب الشيرازي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٣. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . شاهين ، عبد الصبور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
٣٤. القواعد والإشارات في أصول القراءات . أبو الرضا الحموي ، شهاب الدين أبو الخير أحمد بن عمر ، تحقيق : عبد الكريم بكار ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦ .
٣٥. الكتاب . كتاب سيبويه . سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ .
٣٦. كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون . ابن عبد الله القسطنطيني ، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي ، تحقيق : حاجي خليفة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٣٧. الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية . المحيسن ، محمد سالم ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٣٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . القيسيّ ، مكي بن أبي طالب ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤ .
٣٩. لسان العرب . ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، تحقيق : أمين عبد الوهاب ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٤٠. اللهجات العربية في القراءات القرآنية . الراجحي ، عبده ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
٤١. اللهجات العربيّة في الميزان . الجندي ، أحمد علم الدين ، الدار العربيّة للكتاب ، طرابلس الغرب ، ١٩٨٣ .
٤٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ط١ ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨
٤٣. مسائل خلافيّة في النحو . العكبريّ ، أبو البقاء ، تحقيق : محمد خير الحلواني ، ط ١ ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٤٤. معاني القرآن ، الأخفش الأوسط ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، تحقيق : فائز فارس ، ط٢ ، الشركة الكويتيّة لصناعة الورق المحدود ، الكويت ، ١٩٨١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤٥. معاني القرآن . الفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٤٦. معجم مقاييس اللغة . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة . ١٩٩١ .
٤٧. معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار . الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : بشار معروف ، شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤.
٤٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام ، جمال الدين بن هشام الأنصاريّ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٨٧ .
٤٩. المقتضب . المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٣ .
٥٠. مناهل العرفان في علوم القرآن . الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ .
٥١. المنصف على تصريف المازني . ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، تحقيق : عبد الله أمين ، إبراهيم مصطفى ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
٥٢. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر لابن الجزري . المحيسن ، محمد سالم ، دار الأنوار ، مصر ، ١٩٧٨ .
٥٣. النشر في القراءات العشر . ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد ، تحقيق : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٠ .
٥٤. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . السيوطي ، جلال الدين بن أبي بكر ، تحقيق عبد السلام هارون ، وعبد العال مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. الرسائل والدوريات :

٥٥. تحليل الظواهر الصوتيّة في قراءة حمزة . ستيتية ، سمير ـــ البلقـــاء للبحـــوث والدراسات ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، جامعة عمان الأهلية ، ١٩٩٦ .

٥٦. الظواهر الصوتيّة في قراءة الأعمش . حنفية ، نادر جمعـــة عثمـــان ، رســـالة ماجستير رقم ٤٣٤٦ ، اليرموك ، ٢٠٠١ .

٥٧. الظواهر الصوتيّة في قراءة الكسائي . بني مصطفى ، عبيـــر نـــواف ، رقـــم الرسالة ٣٤٩٢ ، اليرموك ١٩٩٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Nafi's Reading of the Holy Quran Recitation: A Linguistic Study

By: Omar Abed Al-Darawsheh
Supervisor: Dr. Muhammad Khalaf Al-Hazaymeh

In this study, I have compiled the Quranic scripts illustrating the phonetic as well as the syntactic dissimilarities in *imam* Nafi Al-Madani reading (in Hufs's narrative after that of Asim Al-Koufi). Afterwards, I performed a contrastive study between controversial Quranic scripts demonstrating the linguistic perspective in addition to demonstrating the expostulations of linguists on a number of Nafi's readings. Then, I compared these scripts with other scripts attaining facts that are convincing in refuting the expostulations of grave linguists. Accordingly, I have set the authentic structure of the syntactic along with the phonetic dissimilarities of this reading, i.e., Nafi's.

Phonetics-wise, it has been shown that *imam* Nafi's – a representative of Al-Hijaz people dialect- method employed one of the plainest approaches in articulating sounds; Nafi's reading involves numerous phonetic rules like that of assimilation, eclipse, metathesis...etc which brought a distinct method in the recitation of Quran and in the selection of the easiest points of articulation while reciting.

Besides, this thesis has come out with- this is a field of concern for many scholars- the fact that dissimilarities in the syntactic structures –in the Quranic context- has been almost always perfected by miraculous rule: every elaboration over structure must be accompanied by an elaboration over meaning. This rule has been proven to be imprecise once contrasted with the linguistic miracle of the Holy Quran: the Quranic context is capable of, in many positions, assimilating the different syntactic structures adhering to a singular, unchangeable referent; if these dissimilarities are to be applied on

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

the structures that people use, the image will not match that of Quran despite the fact that some of these dissimilarities have elaborated a further constructive meaning in the field of Quran interpretation.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Nafi's Reading of The Holy Quran Recitation Linguistic Study

By

Omar Abed Ahmad AL- Darawsheh

Supervisor

Dr. Mohammed Khalaf AL-Hazaymeh

Program: Syntax

YARMOUK UNIVERSITY – IRBID 2003

© Arabic Digital Library Yarmouk University